حقوق النبي ﷺ على أمته

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي

الجزء الأول

أضواء السلف

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي المزني

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٢٣٢١٠٤٥ - محول ٥٥٤٩٤٣٨٥.

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

- المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
- قطر: مكتبة ابن القيم . ت ٨٦٣٥٢٣.
- باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت . ت ٧٠١٩٧٤.

حقوق النبي ﷺ

على أمته

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف

الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي

الجزء الأول

أضواء السلف

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذُ باللَّه من شُرور أَنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِهِ اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أنْ لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .

أرسله بين يدى الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وفتح به أعينًا عميًا ، وأذانًا صمًا ، وقلوبًا غُلفًا ، فبلغ الرسالة وأدَّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين من ربه ، صلى عليه وعلى آله وسلم تسليما .

أما بعد : فما من بناء إلا وله أصل وأساس يقوم عليه ، وإن أساس بناء دين الإسلام يقوم على أصلين هما :

١ـ عبادة الله وحده لا شريك له .

٢ ـ الإيمان برسوله ﷺ .

وهذا حقيقة قول « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله » فمن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين .

ومن أجل ذلك فإن من المتعين على كل مسلم أن يعرف ما يدل عليه كل واحد من هذين الأصلين وما يشتمل عليه من أمور وأحكام ، معرفة تخرجه من حد الجهل على أقل الدرجات ، وأن يلتزم بذلك إعتقاداً وقولاً وعملاً لينال بذلك الفوز والسعادة في الحياة الدنيا وبعد الممات .

وهذه الرسالة موضوعها الأصل الثاني من أصلي هذا الدين وقد سميتها

« حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة »

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أهميته بالدرجة الأولى فهو كما أسلفت يُعنى بأحد أصلي الدين « شهادة أن محمدًا رسول الله »

فمن المهم والمفيد أن تبحث جوانب هذا الأصل وتعرف وتعرض وفق ما جاءت بذلك نصوص القرآن والسنه ووفق ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عنهم أجمعين .

وبخاصة أننا نعيش في زمان قد حاد فيه كثير من الناس عن جادة الصواب في هذا الأصل واضطربوا اضطرابا شديدا .

فتجلية الأمر وتوضيح الصواب وبيان الحق في هذا الأصل من الواجبات المتعينة على طلبة العلم في هذا الزمان ، نظراً لعدم توفر كتاب بعينه يكون شاملًا لجميع جوانب هذا الموضوع وتطمئن له النفس من جهة سلامة ما احتواه يمكن إحالة عامة الناس عليه .

فرأيت أن من الرأي القويم أن أكتب في هذا الموضوع لأجمع فيه ما تفرق وأرتب ما تشتت ، وأشرح ما يحتاج إلى شرح ، وذلك وفق ما كان عليه منهج سلفنا الصالح من الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة ونقل كلام الصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين رضي الله عنهم أجمعين .

فأرجو أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع على الوجه المطلوب ، كما وفقت في حسن الاختيار أولا .

٥٥٥٥

عملي في الكتاب

○ ويتلخص عملي في النقاط التالية :

١ـ جمعت المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار مروية عن سلف الأمة ، ونقول وأقوال للمتقدمين والمتأخرين مما له صلة بالموضوع .

٢ـ قسمت ما جمعت على أبواب الرسالة وفصولهاومباحثها ومطالبها ومسائلها ونقاطها ، فرتبت ما تشتت وجمعت ما تفرق واختصرت وانتقيت مما توسع فيه . حسب ما يقتضيه المقام وتدعو إليه الحاجة .

٣ـ جعلت الآيات القرآنية بين قوسين هكذا ﴿ ﴾ وأشرت في الحاشية إلى رقم تلك الآية والسورة التي وردت فيها .

٤ـ جعلت الأحاديث النبوية بين فاصلتين مزدوجتين « » مع تخريج كل حديث أوردته حسب ما يقتضيه المقام ، وفي حالة ورود الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفى بذلك عن عزوه إلى غيرهما

٥ـ عزوت الأثار المروية عن الصحابة والتابعين وأئمةهذا الدين إلى مصادرها بحسب ما وقفت عليه منها .

٦ـ شرحت بعض الكلمات الغريبة معتمدًا في ذلك على كتب غريب الحديث وشروحه والمعاجم اللغوية .

٧ـ وثقت النقول والأقوال والآراء من المصادر والمراجع التي نقلتها منها وذلك بذكر الجزء والصفحة ، وما تصرفت فيه أشرت إلى ذلك بعبارة « بتصرف » في أغلب الأحيان .

٨ـ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة عند أول موضع يرد فيه ذكر العلم

٩ـ وضعت فهارس للأمور التالية :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة .

٣- فهرس للآثار على ترتيب أصحابها .

٤- فهرس للكلمات الغريبة والمواطن والفرق .

٥- فهرس للأعلام المترجم لهم .

٦- فهرس للمصادر والمراجع .

٧- فهرس لموضوعات الرساله .

وبعد : فهذا جهد المقل واستسمح القارىء الكريم عذرًا إذا ما وجد في عملي هذا تقصيرًا ، فهذا جهد بشر ، والمرء يستحضر في هذا المقام قول القائل : إني رأيت أنه لا يكتب انسان كتابًا في يوم إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر[١].

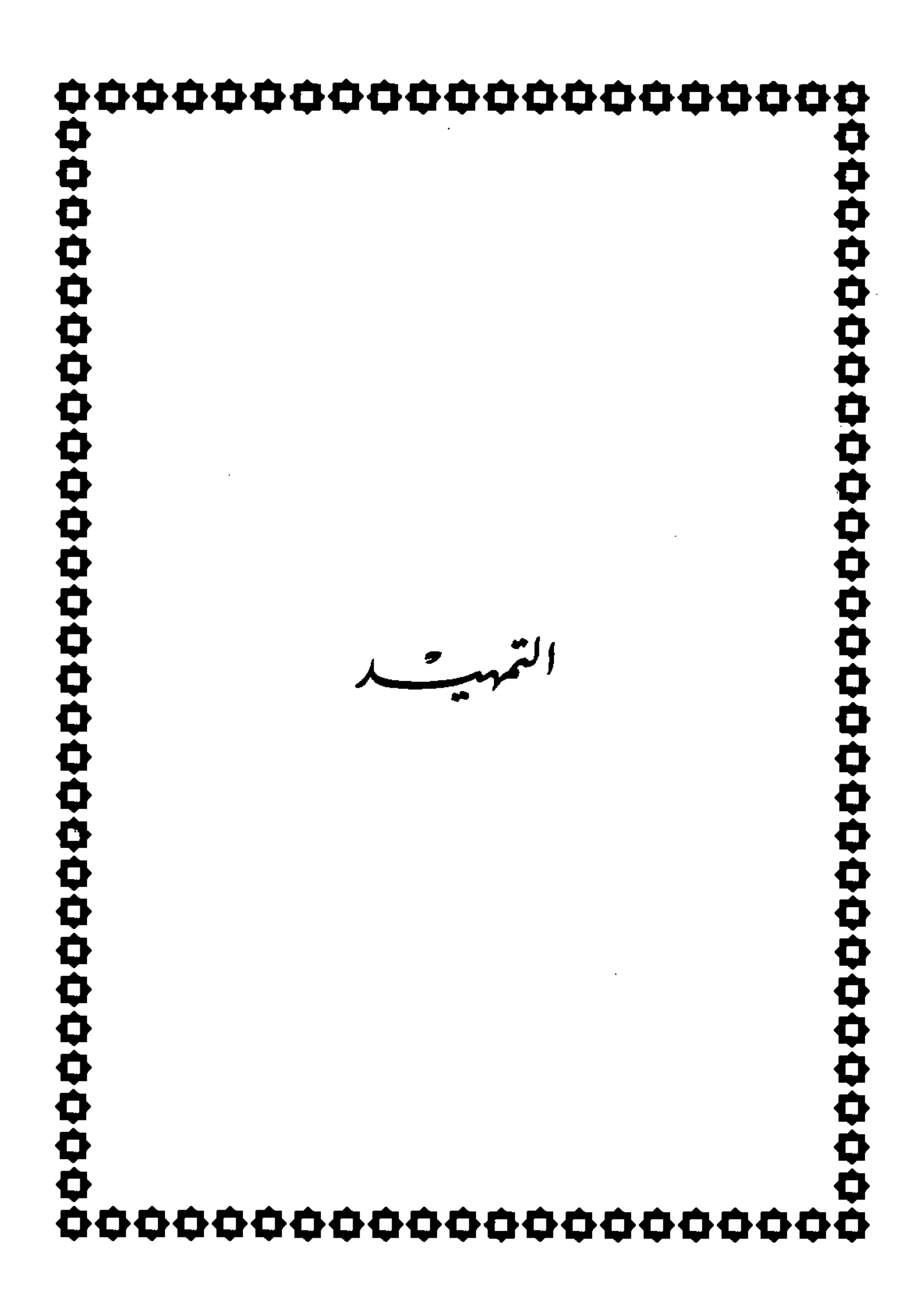
وفي الختام : أتوجه بالشكر إلى الله تعالى الذي سهل لي أمر إعداد هذه الرسالة بفضل منه وتوفيق ، وأسأله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه وأن ينفعنا بما علمنا إنه على كل شيء قدير .

ومن ثم أشكر فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري المشرف على هذه الرسالة على بذله من جهد وعون وتوجيه في إعدادها فجزاه الله خيرا ، وكذلك كل من بذل المساعدة لي في إنجازها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) هذه العبارة للعماد الأصفهانى ، وقد أوردها طه عبد الرؤوف فى مقدمة تحقيقه لكتاب اعلام الموقعين (ص م) .



التمهيد

تمهيد

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام دينًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالدين القيم ، والملة الحنيفية ، وجعله على شريعة من الأمر ، أمر باتباعها ، وأمره بأن يقول ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾(1) صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

وبعد : فان الله عز وجل لم يخلق الخلق عبثًا قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(2) .

بل خلقهم لغاية ذكرها في كتابه الكريم في أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(3) .

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(4) .

وقال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(5) .

فالحكمة من خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . فهذه هي الحكمة من خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا . ولذلك لم يتركهم هملًا ، بل أرسل إليهم رسله ، فكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة

---

(1) الآية (١٠٨) من سورة يوسف .

(2) الآية (١١٥) من سورة المؤمنون .

(3) الآية (٢) من سورة الملك .

(4) الآية (٧) من سورة هود .

(5) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

الرسل وتعميم الخلق بهم ، بحيث يبعث في كل أمة رسولًا ليقيم هداه وحجته كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[١] وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ﴾[٣] وقال تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٤] فالرسل هم الواسطة بين الله عز وجل وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه وإرشاد العباد إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم .

وإن الله تبارك وتعالى جعل محمدًا ﷺ خاتم النبيين ، وأرسله للناس أجمعين ، وأكمل له ولأمته الدين ، وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل ، فأحيا به ما درس من معالم الإيمان ، وقمع به أهل الشرك والكفر من عبدة الأوثان والنيران والصلبان ، وأذل به كفار أهل الكتاب ، وأهل الشرك والارتياب ، وأقام به منار دينه الذي ارتضاه ، وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه .

فالله سبحانه وتعالى أرسل محمدًا ﷺ للناس رحمة وأنعم به نعمة يا لها من نعمة : قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٥] .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾[٦] وهم الذين لم

(١) الآية (٣٦) من سورة النحل .
(٢) الآية (٢٤) من سورة فاطر .
(٣) الآية (٤٤) من سورة المؤمنون .
(٤) الآية (١٦٥) من سورة النساء .
(٥) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .
(٦) الآية (١٢٨) من سورة ابراهيم .

يؤمنوا بمحمد ﷺ . فإرساله أعظم نعمة أنعم الله به على عباده .

فقد جمع الله لهذه الأمة بخاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين ما فرّقه في غيرهم من الفضائل ، وزادهم من فضله أنواع الفواضل ، بل أتاهم كفلين من رحمته ، كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١] .

وقال ﷺ : « إنما أجلكم ـ في أجل من خلا من الأمم ـ ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ، ألا لكم الأجر مرتين ، فغضبت اليهود والنصارى ، فقالوا : نحن أكثر عملًا وأقل عطاءً ، قال الله : هل ظلمتكم من حقكم شيئًا ؟ قالوا : لا ، قال : فإنه فضلي أعطيه من شئت »[٢].

وقد خص الله تعالى محمدا ﷺ بخصائص ميزه الله بها على جميع الأنبياء

---

(١) الآيتان (٢٨ ـ ٢٩) من سورة الحديد .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل . فتح الباري (٦ / ٤٩٥ ـ ٤٩٦) ح ٣٤٥٩ .

والمرسلين ، وجعل له شرعةً ومنهاجًا ـ أفضل شرعه وأكمل منهاج مبين ـ كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله[١] من جميع الأجناس ، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطا عدلًا خيارًا ، فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته ، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام ، فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ، فأخرجهم بذلك من الظلمات إلى النور فحصل لهم ببركة رسالته ويمن سفارته خير الدنيا والآخرة .

فلقد هدى الله الناس ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين وفاقت معرفة العارفين ، حتى حصل لأمته المؤمنين به عمومًا ، ولأُولي العلم منهم خصوصًا من العلم النافع ، والعمل الصالح ، والأخلاق العظيمة ، والسنن المستقيمة ، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علمًا وعملًا ـ الخالصة من كل شوب ـ إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتا تفاوتًا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما فلله الحمد والمنة كما يحب ربنا ويرضى »[٢] .

فهو المبعوث بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فكمل الله به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينًا عميًا ، وأذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام بها الملة العوجاء

---

(١) انظر فى هذا الموضوع وأدلته : المبحث الثالث من الفصل الأول من الباب الثالث .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣) .

وأوضح بها المحجة البيضاء . فبين عن طريقه ﷺ الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقين من الفجار ، فهو المبعوث رحمة للعالمين ، ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين .

ولقد نوه الله عز وجل في كتابه الكريم بهذه النعمة العظمى التي امتن بها على هذه الأمة في آيات كثيرة منها :

* قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1]

* وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2] .

* وقال تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَٱذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[3] .

* وقال تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] .

---

(١) الآية (١٦٤) من سورة آل عمران .

(٢) الآيات (٢ - ٣ - ٤) من سورة الجمعة .

(٣) الآيتان (١٥١ - ١٥٢) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .

وإنما كان إرساله ﷺ إلى الناس أعظم مِنَّة امتن بها على عباده لأن في ذلك تخليص من وفقه الله وهداه منهم من العذاب السرمدي ، وذلك بسبب الإيمان بالله ورسوله والابتعاد عن كل ما يوجب دخول النار والخلود فيها .

ولذلك فإن الناس أحوج ما يكونون إلى الإيمان بالرسول ﷺ والأخذ بما جاء به من الدين فهم أحوج إلى ذلك من الطعام والشراب بل ومن نفس الهواء الذي يتنفسونه ، فإنهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[1] ، أي كذب به وتولى عن طاعته . فهم محتاجون إلى الإيمان بالرسول وطاعته والأخذ بما جاء به والالتزام بذلك في كل مكان وزمان ليلا ونهارًا ، سفرًا وحضرًا سرًا وعلانيةً .

ولما كانت منزلة النبي ﷺ عند ربه بهذه المرتبة وكانت حاجة الناس إليه بهذه الدرجة ، فقد أوجب الله لنبيه ﷺ على هذه الأمة جملة من الحقوق والواجبات تنظم العلاقة التي تربطهم به تنظيمًا دقيقًا لا لبس فيه ولا اشتباه .

وهذه الحقوق منها ما يتصل بجانب الرسالة التي بعث بها ، ومنها ما يتعلق بخاصة شخص الرسول ﷺ تفضيلًا وتكريمًا من الله له .

وقد وردت في شأن تلك الحقوق نصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وضَّحَتْ ، وفَصَّلَتْ ، وبينت جوانب تلك الحقوق .

وهذه الحقوق في جملتها هي الأصل الثاني من أصلي الدين كما يدل عليه قولنا « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله » .

ولذا فقد كان لزامًا على كل من ينطق بهذه الشهادة ، ويدين الله بهذا الدين

(١) الآيات (١٤ - ١٥ - ١٦) من سورة الليل .

أن يحيط بتلك الحقوق معرفة ، ويلتزم بها اعتقادًا وقولًا وعملًا . فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يحصل إيمان العبد الا به .

ومما يؤسف له أن كثيرًا من المسلمين اليوم هم على درجة كبيرة من الجهل بهذه الحقوق . فتراهم لذلك على طرفي نقيض في هذا المقام .

ـ فإما مقصر عن القيام بهذه الحقوق التي أوجبها الله على الأمة فتراه لا يقيم لها وزنًا ولا يلقي لها بالًا .

ـ وإما غال مبتدع منكب على ما ابتدعه ، يظن أنه بما يفعله من أمور مبتدعة في هذا المقام قد أحسن صنعًا وأنه مؤد لما أوجبه الله من حق لنبينا محمد ﷺ وكلا الطرفين صاحب حال مذموم غير محمود . فلما كان عامة أصحاب هذين الطرفين إنما أوقعهم فيما هم فيه ، جهلهم بمعرفة تلك الحقوق على الوجه المطلوب شرعًا .

ولما كانت هذه الحقوق هي من جملة هذا الدين الذي تعبدنا الله به ، فكان لا بد فيها من توفر شرطي القبول :

١ـ الإخلاص .

٢ـ الصواب (الاتباع) .

كما قال تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١)

فقد أحببت أن أوضح تلك الحقوق النبوية وفق ما جاءت بذلك النصوص الشرعية ، وما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها ، عسى أن يكون في هذا البيان والتوضيح تعليم للجاهل ، وتذكير للغافل ، وتحذير وردع للمبتدع ، ومدارسة للعارف .

(١) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

فأسأل الله عز وجل التوفيق والرشاد وأن يرزقنا التمسك بسنة نبيه ﷺ والسير على هديه والتأسي به ، وأن يشرح لذلك صدورنا وينير قلوبنا إنه جوّاد كريم وعلى كل شيء قدير .

○ ○ ○ ○

الباب الأول

وجوب الإيمان بالنبي ﷺ وطاعته واتباع سنته

● وفيه فصلان :

الفصل الأول : وجوب الإيمان بالنبي ﷺ .

الفصل الثاني : وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها .

○ ○ ○ ○

الفصل الأول

وجوب الإيمان بالنبي ﷺ

• وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان وبيان معنى شهادة أن محمدًا رسول الله .

المبحث الثاني : وجوب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ .

المبحث الثالث : وجوب الإيمان بعموم رسالته ﷺ.

المبحث الرابع : وجوب الإيمان بأنه ﷺ خاتم النبيين .

المبحث الخامس : وجوب الإيمان بأن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها .

المبحث السادس : وجوب الإيمان بعصمته ﷺ .

• • • •

المبحث الأول

تعريف الإيمان وبيان معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ

● وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف الإيمان عمومًا .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ــ المعنى اللغوي لكلمة « آمن » .

ب ــ المعنى الشرعي للإيمان .

ج ــ دلالة اسم الإيمان.

المطلب الثاني : تعريف الإيمان بالنبي ﷺ .

المطلب الثالث : معنى شهادة أن محمدا رسول الله .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ــ معناها .

بـ ــ شروط الشهادتين .

ج ــ مراتب الشهادة .

المطلب الرابع : نواقض الإيمان بالنبي ﷺ،وهي على قسمين .

القسم الأول : الطعن في شخص الرسول ﷺ .

القسم الثاني : الطعن فيما أخبر به .

● ● ● ●

المطلب الأول

تعريف الإيمان عمومًا

أ ـ المعنى اللغوي لكلمة « آمن » :

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن.

١ـ ويرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه : التصديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري[١] : « واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق »[٢] .

واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[٣] فقالوا معناه ما أنت بمصدق لنا[٤] .

٢ـ أما علماء السلف[٥] فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما :

أ ـ بمعنى صدق به وذلك إذا عدى بالباء كما في قوله تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ... ﴾ الآية[٦] أي صدق الرسول[٧] .

ب ـ وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾[٨] .

---

(١) هو : محمد بن أحمد بن الأزهر الهروى أبو منصور أحد الائمة فى الغة والأدب ولد سنة ٢٨٢ هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ وهو صاحب كتاب تهذيب اللغة . انظر الأعلام للزركلي (٥ / ٣١١) .

(٢) تهذيب اللغة (٥ / ٥١٣) .

(٣) الآية (١٧) من سورة يوسف .

(٤) لسان العرب لابن منظور ، مادة آمن (١٣ / ٢٣) .

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص ١٤٣) .

(٦) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

(٧) تفسير القرطبى (٣ / ٤٢٥) .

(٨) الآية (٢٦) من سورة العنكبوت .

وقد اعترض السلف على حصر أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا : « إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق ، وإنما هو الإقرار[1] والطمأنينة أيضا »[2]. واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية :

أولا : إن الترداف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه . يوضحها الجدول التالي :

الإيمان	التصديق
- إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك .	- أما كلمة « صدق » فلا تتعدى باللام فلا يقال « صدق له » إنما يقال « صدق به » فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه .
- إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي : الأمن ، والتصديق ، والأمانة .	- أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة .
- إن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب ، فلا يقال لمن قال طلعت الشمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب .	أما لفظ التصديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب ، فمن قال السماء فوقنا ، قيل له : صدقت .
- إن لفظ الإيمان ضده الكفر ، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط بل هو أعم منه ، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يسمى كفرا كما لو قال شخص : أنا أعلم أنك صادق ، ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ، فهذا كفر أعظم .	أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط .

(١) الاقرار : متضمن لمعنيين هما : قول القلب الذى هو التصديق . وعمل القلب الذى هو الانقياد . مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٨ - ٦٣٩) . (٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٥١٩) .

وبهذا يتبين عدم الترادف التام بين اللفظين ، وأن الإيمان ليس التصديق فقط[1] كما أن الكفر ليس التكذيب فقط .

ثانيا : من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر .

فالخبر : يستوجب تصديق المخبر .

والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام ، وهو عمل في القلب جماعه : الخضوع والانقياد للأمر ، وإن لم يفعل المأمور به .

فإذا قوبل الخبر بالتصديق ، والأمر بالانقياد ، فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو « الطمأنينة والاقرار » فان اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة ، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد .

فلوفُسّر الإيمان بالتصديق فقط ، كما قال أهل اللغة ؛ فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر ، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر ؛ لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر .

ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه ، فانه سمع أمر الله فلم يكذب رسولًا ، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له ، واستكبر عن الطاعة فصار كافرًا ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[2] فسماه الله كافرًا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمرالله له بالسجود لآدم .

لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط .

وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٠ - ٣٨١) .

(٢) الآية (٣٤) من سورة البقرة .

إلا التصديق ، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون .

ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هدوا لما هدى إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولًا في القلب ، وعملًا في القلب ، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته ـ وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره فيصدق القلب أخباره تصديقًا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به ، والتصديق هو من نوع العلم والقول ، وينقاد لأمره ويستسلم ، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل ، ولا يكون مؤمنًا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرًا فصار من الكافرين وإن كان مصدقًا ؛ لأن الكفر أعم من التكذيب ، فالكفر يكون تكذيبًا وجهلًا ، ويكون إستكبارًا وظلمًا ، ولهذا لم يوصف ، إبليس إلا بالكفر والاستكبار ، دون التكذيب ، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس .

وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالًا وهو « الجهل » ألا ترى أن نفراً من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء ، فأخبرهم ، فقالوا نشهد أنك نبي ، ولم يتّبعوه ، وكذلك هرقل وغيره ، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق .

ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله ، وقد تضمنت خبرًا وأمرًا ؛ فإنه يحتاج إلى مقام ثان ، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله ، فإذا قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره . « وأشهد أن محمدا رسول الله » تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله .

فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار .

فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين - وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول - ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد ، وإلا فقد يصدق الرسول ظاهرًا وباطنًا ثم يمتنع من الانقياد للأمر ، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس »[1] .

ثالثًا : ما استدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ هو التصديق غير مسلم .

إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها « بأقررت » أقرب من تفسيرها « بصدقت » وذلك لأن لفظ آمن متى عدى باللام يكون بمعنى أقر وليس بمعنى صدق ، إذ لا يكون بمعنى صدق الا إذا عدى بالباء أو بنفسه .

ب - المعنى الشرعي للإيمان :

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان :

١- فتارة يقولون : الإيمان قول وعمل .

٢- وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية .

٣- وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية واتباع سنة[2] .

٤- وتارة يقولون : الإيمان : قول اللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[3] .

---

(١) الصارم المسلول (ص ٥١٩ - ٥٢٠) بتصرف .

(٢) هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه الايمان . انظر (ص ١٦٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٤٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [١] بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول (وكل هذا صحيح)[٢] وعلل ذلك بقوله[٣] :

(فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح) . وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان .

وأما المقصود من قول القلب : فهو إقراره ومعرفته وتصديقه .

وأما عمله : فهو انقياده لما صدق به .

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال .

كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على المرجئة[٤] الذين جعلوه قولا فقط ، فقال بعض السلف ردًا عليهم : بل قول وعمل[٥] .

---

(١) هو شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد ابن تيمية النميرى ، الحرّاني الدمشقي ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة (٦٦١ هـ) بحرّان وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بدمشق ، اشتهر رحمه الله بالعلم والزهد والورع والعبادة والجهاد والدفاع عن عقيدة السلف وقد ألف فى سيرته المؤلفات الكثيرة .

انظر : كتاب الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية تأليف مرعي بن يوسف الحنبلي .

(٢) كتاب الإيمان لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص ١٦٢) .

(٣) كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الايمان (ص ١٦٢ - ١٦٣) .

(٤) المرجئة هم الذين أرجؤا العمل عن مسمى الايمان وهم خمس طوائف سيأتى ذكرهم .

(٥) قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « الناس لهم فى مسمى الكلام والقول عند الاطلاق أربعة أقوال :

١ - فالذى عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا .

٢ - وقيل : بل مسماه اللفظ ، والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه ، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة ، وهو قول النحاة لأن =

وأما من عرفه بقوله هو قول و عمل ونية ؛ فمقصوده بزيادة لفظ « ونية » : أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان .

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك[1] .

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة ، فقد زاد لفظة « واتباع سنة » لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد سئل سهل بن عبد الله التستري[3] عن الإيمان ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونية واتباع سنة .

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر .

وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق .

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة[4] .

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو : أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

= صناعتهم متعلقة بالألفاظ .

٣ ـ وقيل : مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه .

٤ ـ وقيل : بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الأدميين » كتاب الإيمان (ص ١٦٢) .

(١) كتاب الإيمان (ص ١٦٣) .

(٢) كتاب الإيمان (ص ١٦٣) .

(٣) هو : سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ ، عامة كلامه في تصفية الأعمال من المعائب ، وأسند الحديث وأسند عنه .
شذرات الذهب (٣ / ١٨٢) والأعلام (٣ / ١٤٣) .

(٤) كتاب الإيمان (ص ١٦٣) .

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق[١] ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم .

ج ـ دلالة اسم الإيمان :

تتحدد دلالة اسم « الإيمان » بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ « **الإيمان** » إما أن يستعمل :

١ـ مطلقا : أي يذكر مطلقا عن لفظ « العمل » و« الإسلام » .

٢ـ أو مقيدًا : فتارة يقرن بالعمل الصالح ، وتارة يقرن بالإسلام .

فإذا استعمل مطلقا : فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله

---

(١) الذين خالفوا السلف فى مسمى الإيمان هم :

أ ـ المرجئة بطوائفهم الخمس :

١ ـ الجهمية : وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط : أى المعرفة الفطرية التى هى المعرفة بربوبية الله .

٢ ـ الأشاعرة : وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أى التصديق بما جاء به النبى ﷺ من عند الله .

٣ ـ الماتريدية : وقولهم فى الإيمان مثل قول الأشاعرة .

٤ ـ الكرَّامية : قالوا الإيمان قول باللسان فقط .

٥ ـ مرجئة الأحناف (أو مرجئة الفقهاء) قالوا : الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان . وهو قول الكلابية . وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان .

ب ـ الخوارج : قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل ولكنهم يكفرون من أخل بشئ من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر فى الدنيا وفى الآخرة خالد فى النار .

جـ ـ المعتزلة : وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه فى الدنيا فى منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر ، واتفقوا معهم فى باقي الأمور .

انظر تفاصيل هذه الأقوال : فى كتاب الإيمان لابن تيمية ، والجزء السابع من مجموع الفتاوى ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٧٣ ـ ٣٩٢) وكتاب النبوات (ص ١٩٩) .

الباطنة والظاهرة ، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة - من الصحابة والتابعين وتابعيهم - الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ويدخلون جميع الطاعات - فرضها ونفلها - في مسماه)[١] .

ويلاحظ هنا أن لفظ « الإيمان » على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ « العبادة » والعبادة كما هو معروف هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة .

ومن استعمال الشارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة[٢] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[٣] .

فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإسلام .

ومن هذا الاستعمال أيضا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس[٤] رضي الله

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٤٢) .

(٢) أبو هريرة بن عامر واختلف في اسمه إلى عدة أقوال : منها أنه عبد الرحمن ، وهو دوسي أسلم عام خيبر وشهدها ثم لازم رسول الله ﷺ حتى قبضه الله اليه ، وكان من أحفظ الصحابة رضي الله عنهم توفى عام ٥٧ هـ . أسد الغابة (١٢ / ١٦٧) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أمور الدين .
انظر : فتح البارى (١ / ٥١) ح ٩ وأخرجه مسلم « واللفظ له » كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان (١ / ٤٦) .

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي - ابن عم رسول الله ﷺ - ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات فى الشعب أثناء الحصار ، وكان رضي الله عنه ترجمان القرآن وحبر الأمة لعلمه وفهمه ، توفى سنة ٨٤ هـ . الإصابة (٦ / ١٦٧ - ١٧٣) .

عنهما : أن وفد عبد القيس[١] لما أتوا النبي ﷺ أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : « أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم خمس ... » الحديث[٢] .

فلفظ الإيمان استعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور .

وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾[٣] وقوله ﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[٤] .

وقول النبي ﷺ - في حديث جبريل المشهور « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره »[٥] .

فهنا قد يقال : إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف

(١) هي قبيلة كبيرة كانوا يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى - بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن أعمى - ابن دعمى - بضم ثم سكون المهملة وكسر الميم بعدها تحتانية ثقيلة - ابن جديلة بالجيم وزن كبيرة - ابن أسد بن ربيعة بن نزار . انظر : فتح البارى (٨ / ٨٥) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه « واللفظ له » كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان . انظر : فتح البارى (١ / ١٢٩) ح ٥٣ وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء اليه (١ / ٣٥ - ٣٦) .

(٣) الآية (٢٧٧) من سورة البقرة وغيرها .

(٤) الآية (٦٣) من سورة يونس .

(٥) أخرجه بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (١ / ٢٩) . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل بلفظ « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، ولقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث » . انظر : فتح البارى (١ / ١١٤) ح ٥٠ .

الخاص على العام كقوله تعالى : ﴿ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾[١]. وقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ الآية[٢] .

وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين ، فان أحدهما إذا أفرد تناول الآخر ، وإذا جمع بينهما كانا صنفين : كما في آية الصدقة ، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين ، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل »[٣] .

قلت : إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

والقول بأن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإسلام والإيمان فأصبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإسلام اختص بالأمور الظاهرية ، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية .

« فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما ، ودخوله فيه تضمنًا أظهر ، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر ، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس »[٤].

---

(١) الآية (٩٨) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٧) من سورة الأحزاب .

(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٤٧ - ٦٤٨) .

(٤) كتاب زاد المهاجر إلى ربه (الرسالة التبوكية) (ص ٧) بتصرف .

○ فخلاصة القول :

إن اسم الإيمان إذا أفرد : تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب .

وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل .

وإذا اقترن العمل مع الإيمان : فهو من باب عطف الخاص على العام[1] كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ .

○○○○

(١) قال شارح الطحاوية : « اعلم أن عطف الشئ على الشئ يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك فى الحكم الذى ذكر لهما ، والمغايرة على مراتب :

١ ـ **أعلاها** : أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ، ولا جزءًا منه ، ولا بينهما تلازم ، كقوله تعالى : (خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) الآية (١) من سورة الأنعام ، وقال تعالى : (وأنزل التوراة والإنجيل) الآية (٣) من سورة آل عمران ، وهذا هو الغالب .

٢ ـ **ويليه** : أن يكون بينهما تلازم ، كقوله تعالى ، (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) الآية (٤٢) من سورة البقرة ، وقال تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الآية (٩٢) من سورة المائدة .

٣ ـ **الثالث** : عطف بعض الشئ عليه كقوله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) الآية (٢٣٨) من سورة البقرة ، وقال تعالى : (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) الآية (٩٨) من سورة البقرة وقال تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك) الآية (٧) من سورة الأحزاب وفى مثل هذا وجهان : أحدهما : أن يكون داخلًا فى الأول ، فيكون مذكورا مرتين . والثانى : أن عطفه عليه يقتضى أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردًا كما قيل فى لفظ « الفقراء والمساكين » ونحوهما ، تتنوع دلالته بالإفراد والإقتران .

٤ ـ **الرابع** : عطف الشئ على الشئ لاختلاف الصفتين ، كقوله تعالى : (غافر الذنب وقابل التوب) الآية (٣) من سورة غافر . شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨) .

المطلب الثاني

تعريف الإيمان بالنبي ﷺ

(الإيمان بالرسول : هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته)[1]

وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي ﷺ وعن بيان هذه الأمور المطلوبة عند الإيمان به بالنبي ﷺ .

قال العلماء :

أ ـ أما تصديقه ﷺ فيتعلق به أمران عظيمان :

أحدهما : إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله ، وهذا مختص به ﷺ [2].

ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها :

١ـ الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم .

٢ـ الإيمان بكونه خاتم النبين ورسالته خاتمة الرسالات .

٣ـ الإيمان بكون رسالته ناسخةً لما قبلها من الشرائع .

٤ـ الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها وأدَّى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها .

٥ـ الإيمان بعصمته ﷺ .

٦ـ الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكره كمحبته وتعظيمه ﷺ .

وسيأتي تفصيل الأمور الخمسة المتقدمة بأدلتها في المباحث اللاحقة من هذا الفصل بإذن الله تعالى .

---

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص ٩٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٥ / ٩١) .

أما الحقوق الأخرى الواجبة له فسيأتي تفصيلها في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالى .

الثاني : (تصديقه فيما جاء به ، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه . وهذا يجب عليه ﷺ وعلى كل أحد)[١] .

فيجب تصديق النبي ﷺ في جميع ما أخبر به عن الله عز وجل ، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي ، وفيما أحل من حلال وحرم من حرام ، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٢].

قال شارح العقيدة الطحاوية : (يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا مجملًا ، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية)[٣] .

ب ـ طاعته واتباع شريعته : إن الإيمان بالرسول ﷺ كما يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العزم على العمل بما جاء به وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به ﷺ .

وهي تعني : الانقياد له ﷺ وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالًا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[٤].

فيجب على الخلق اتباع شريعته والالتزام بسنته مع الرضا بما قضاه والتسليم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥ / ٩١) .

(٢) الآية (٣ ، ٤) من سورة النجم .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٦) .

(٤) الآية (٧) من سورة الحشر .

له ، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله وأن معصيته معصية لله لأنه هو الواسطة بين الله وبين الثقلين في التبليغ .

وسيأتي بيان هذه المسئلة في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « يجب على الخلق الإقرار[(١)] بما جاء به النبي ﷺ فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل ، فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة »[(٢)].

○○○○

---

(١) يقول ابن تيمية فى بيان معنى الاقرار « إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق ، والإقرار ضُمن قول القلب الذى هو التصديق وعمل القلب الذى هو الانقياد ».

مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٨ ، ٦٣٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٤) .

المطلب الثالث

معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ

أ ـ معناها :

(معنى شهادة أن محمدا رسول الله : طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)(١) .

وهذه الشهادة هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة .

كما أن الإيمان بالنبي ﷺ داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة ، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور . ويلاحظ أننا عرّفنا الشهادة والإيمان به بتعريف واحد ، وهذا الأمر يصح في حالة الإفراد كما سبق وأن ذكرت في لفظ الإسلام والإيمان ، أما في حالة الاقتران فالإيمان به يختص بتصديق القلب وإقراره ، والشهادة يراد بها نطق اللسان واعترافه ، ويجب تحقيق هذه الشهادة معرفة وإقرارًا وانقيادًا وطاعةً(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما الإيمان بالرسول فهو المهم ، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه ، إذ هو الطريق الى الله سبحانه ، ولهذا كان ركنا الإسلام « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله »(٣) .

ب ـ شروط الشهادتين :

بعد ذكر معنى « شهادة أن محمدًا رسول الله » ناسب المقام أن نشير ههنا

(١) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٩) ضمن مجموعة الرسائل المفيدة .

(٢) زاد المعاد (١ / ٣٤) .

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٦٣٨ ، ٦٣٩) .

إلى شروط هذه الشهادة بشقيها ، لأننا في زمان يجهل فيه كثير من الناس هذه الشروط ، إذ يعتقد كثير منهم لجهلهم أن التلفظ وحده يكفي لتحقيق الشهادة ويستغنون بهذا عن العمل بالمقتضى المترتب على هذه الشهادة .

وتصويبًا لهذا الخطأ وإزالة لهذا الجهل أقول : إنه من المعلوم أن العبد لا يدخل في دين الإسلام إلا بعد الإتيان بالشهادتين « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله » .

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[١]

وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله »[٢] .

ومن المعلوم كذلك أن جميع الدين داخل في الشهادتين إذ مضمونهما أن لا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع على لسان رسوله ﷺ ونطيعه فيما جاء به عن ربه سبحانه وتعالى . والدين كله داخل في هذا .

ولهاتين الشهادتين شروط لا بد من توفرها فيهما ، إذ لا يمكن لقائلهما أن ينتفع بهما الا بعد اجتماعها فيهما ، وهذه الشروط مطلوبة في كلا الشهادتين ، وذلك لما بينهما من التلازم ، فالعبد لا يدخل في الدين إلا بهما معا .

□ **وهي سبعة شروط :**

الشرط الأول : العلم :

---

(١) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥٠) ، ومسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدًا رسول الله (٢ / ٣٨) .

إذ العلم بالشيء شرط عند الشهادة به ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

ومن الأدلة على وجوب العلم بالشهادة قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢]،

وقوله النبي ﷺ : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٣].

والعلم المراد به هنا هو معرفة معنى الشهادتين ومقتضاهما واللوازم المترتبة على ذلك .

فلا إله إلا الله معناها : لا معبود بحق إلا الله .

ومقتضاها ولازمها : نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبادة مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به[٤] .

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله : الإقرار والاعتراف للرسول ﷺ أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة[٥] .

ومقتضاها ولازمها : طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أُخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع .

الشرط الثاني : اليقين :

أي استيقان القلب بالشهادتين ، وذلك بأن يعتقدهما اعتقادًا جازمًا لا

---

(١) الآية (٨٦) من سورة الزخرف .

(٢) الآية (١٩) من سورة محمد .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار . انظر (١ / ٤١) .

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٨) .

(٥) دليل المسلم فى الاعتقاد للشيخ عبد الله خياط (ص ٤٥) .

يصاحبه شك أو ارتياب ، لأن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن ، قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : « من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقينًا بها قلبه فبشره بالجنة » الحديث[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة »[3].

الشرط الثالث : الإخلاص :

(وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك)[4] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية[5] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[6]« أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له ».

وقال قتادة[7]في قوله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ شهادة أن لا

---

(١) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤١ - ٤٢) .

(٤) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (١ / ٣٨٢) .

(٥) الآية (٥) من سورة البيّنة .

(٦) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٧) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري . ولد سنة ٦١ هـ وتوفى سنة ١١٨ هـ ثقة ثبت ، مفسر حافظ ضرير أكمه . قال عنه الإمام أحمد : قتادة أحفظ أهل البصرة .
انظر : تهذيب التهذيب (٨ / ٣٥١) وتذكرة الحفاظ (١ / ١١٥)

إله إلا الله »[١] .

وعن عتبان بن مالك[٢] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه »[٤] .

الشرط الرابع : (الصدق فيها المنافي للكذب،وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطىء قلبه لسانه)[٥] .

قال تعالى : ﴿ الم أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[٦] .

« أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٥) .

(٢) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي السالمي صحابي ، من البدريين آخى النبي ﷺ بينه وبين عمر ، مات فى خلافة معاوية وقد كبر .
الاصابة (٢ / ٤٤٥) رقم ٥٣٩٨

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب المساجد فى البيوت .
انظر : فتح البارى (١ / ٥١٩) ح ٤٢٥ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الصلاة ، باب الرخصة فى التخلف عن الجماعة بعذر (٢ / ١٢٦) .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .
انظر : فتح البارى (١١ / ٤١٨) ح ٦٥٧٠

(٥) معارج القبول (١ / ٣٨١) .

(٦) الآيات (١ / ٣) من سورة العنكبوت .

وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة »[١] .

وعن أنس بن مالك[٢] رضي الله عنه أن النبي ﷺ ـ ومعاذ[٣] رديفه على الرحل ـ قال : يا « معاذ بن جبل » قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : « يا معاذ » قال لبيك يا رسول الله وسعديك « ثلاثا » . قال : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار » الحديث[٤] .

الشرط الخامس : المحبة :

(لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها والعاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك)[٥] .

قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٠٤) .

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري أبو حمزة ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة توفي سنة ٩٣ هـ . الإصابة (١ / ٨٤ ، ٨٥) رقم ٢٧٧

(٣) معاذ بن جبل الأنصاري : أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، وقد شهد بعد ذلك المشاهد كلها ، كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام ، توفي سنة ١٧ هـ في طاعون عمواس بالشام . الإصابة (٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) رقم ٨٠٣٩

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه « واللفظ له » كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا . انظر فتح البارى (١ / ٢٢٦) ح ١٢٨ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤٣)

(٥) معارج القبول (١ / ٣٨٣) .

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[١] .

ففي الآية دليل على وجوب محبة الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب[٢] .

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ الآية[٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ الآية[٤] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »[٥] .

الشرط السادس : الانقياد :

أي الانقياد والاستسلام ظاهرا وباطنا لأوامر الله وما أنزله من الشرع على لسان نبيه ﷺ .

---

(١) الآية (٢٣٤) من سورة التوبة .

(٢) تفسير القرطبي (٨ / ٩٥) .

(٣) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٤) الآية (٥٤) من سورة المائدة .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من كره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يلقى فى النار من الإيمان . انظر : فتح البارى (١ / ٧٢) ح ٢١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، واللفظ له . انظر : (١ / ٤٨) .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] .

ففي هذه الآية « يقول تعالى مخبرًا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ، ولهذا قال « وهو محسن » أي في عمله : باتباع ما به أمر ، وترك ما عنه زجر « فقد استمسك بالعروة الوثقي » أي فقد أخذ موثقا من الله متينًا أنه لا يعذبه « وإلى الله عاقبة الأمور »[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[3] .

والآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[4][5] .

الشرط السابع : القبول :

أي قبول الشهادتين والالتزام بمقتضياتها ولوازمها .

قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

---

(١) الآية (٢٢) من سورة لقمان .

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٥٠) .

(٣) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٥) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٩٠) .

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] .

وقال تعالى في شأن من لم يقبلها : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[2] .

وعن أبي موسى الأشعري[3] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية[4] قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجاذب[5] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[6] لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وَعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به[7] » .

فهذه هي شروط الشهادتين يجب على المسلم تحقيقها والإتيان بها على الوجه المطلوب حتى يكون من أهلها .

---

(١) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

(٢) الآيتان (٣٥ - ٣٦) من سورة الصافات .

(٣) واسم أبي موسى : عبد الله بن قيس بن سليم من بني الأشعر من قحطان ، صحابي أسلم بمكة ثم رجع إلى اليمن وقدم مع الأشعريين وكان حسن الصوت بالقرآن ، وكان من الشجعان الولاة الفاتحين توفي بالكوفة سنة ٤٤ هـ ، وقيل غير ذلك . الإصابة (٢ / ٣٥١) رقم ٤٨٩٩

(٤) هي مستنقع الماء في الجبال والصخور . فتح الباري (١ / ١٧٦) .

(٥) هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء . فتح الباري (١ / ١٧٦) .

(٦) بكسر القاف جمع قاع وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت . فتح الباري (١ / ١٧٧) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم واللفظ له .

انظر : فتح الباري (١ / ١٧٥) ح ٧٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم . انظر : (٧ / ٦٣) .

ج ـ مراتب الشهادة :

إذا علم العبد معنى الشهادتين وشروطهما فينبغي له أن يكون على علم بأن للشهادة مراتب يتدرج عليها الشاهد مرتبة بعد مرتبة حتى يتم له تحقيق الشهادة على الوجه المطلوب .

○ ومراتب الشهادة أربع هي[(١)] :

المرتبة الأولى : العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به وثبوته ، فلا بد للشاهد أن يعلم ويعرف معنى الشهادتين وإلا كان الشاهد شاهدًا بما لا علم له به قال تعالى :﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(٢)] .

المرتبة الثانية : تكلمه بالشهادتين وإن لم يُعلم بها غيره ، بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها .

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[(٣)] فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم .

المرتبة الثالثة : أن يُعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له ومرتبة الإعلام والإخبار نوعان : إعلام بالقول ، وإعلام بالفعل .

وهذا شأن كل مُعْلِمٍ لغيره بأمر ، تارة يعلمه به بالقول وتارة بفعل ومما يدل

---

(١) انظر : كتاب الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان من (ص ٣٨ إلى ص ٤٠) بتصرف .

(٢) الآية (٨٦) من سورة الزخرف .

(٣) الآية (١٩) من سورة الزخرف .

على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ ٱللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ الآية [١] فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه[٢] .

المرتبة الرابعة : أن يلتزم بمضمونها ويأتمر به .

ومجرد الشهادة لا يستلزم هذه المرتبة ، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه ، فإنه سبحانه وتعالى شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ الآية[٤] .

والقرآن كله شاهد بذلك .

وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية فقال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِمًا بِٱلْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥] فشهادته سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع وهي : علمه بذلك ، وتكلمه ، وإخباره لخلقه ، وإلزامهم وأمرهم به[٦]

○○○○

---

(١) الآية (١٧) من سورة التوبة .

(٢) الكواشف الجلية (٣٩ - ٤٠) بتصرف .

(٣) الآية (٢٣) من سورة الاسراء .

(٤) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٥) الآية (١٨) من سورة آل عمران .

(٦) الكواشف الجلية (ص ٤٠) بتصرف .

المطلب الرابع

نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

إنّ مما ينبغي معرفته بعد توضيح معنى الإيمان بالنبي ﷺ وتبيين شروط الشهادة ومراتبها أن تعرف نواقض هذا الأمر ومبطلاته حتى يحترز المسلم من الوقوع فيها ، فعن حذيفة بن اليمان[١] رضي الله عنه قال : «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ...» الحديث[٢] .

وعن عمر بن الخطاب[٣] رضي الله عنه « إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية »[٤] .

ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أعظم هذه الأمة إيمانا لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر ، لما علموه من حسن حال الإيمان والعمل الصالح ، وقبح حال الكفر والمعاصي » .

ولمعرفة نواقض الإيمان به ﷺ نقول :

(١) حذيفة بن اليمان العبسي ، شهد أُحدًا وكان من كبار الصحابة وصاحب سر رسول الله ﷺ ، توفى عام ٣٦ هـ الإصابة (١ / ٣١٦ ، ٣١٧) ت رقم ١٦٤٧

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ،كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ انظر : فتح البارى (١٣ / ٣٥) ح ٧٠٨٤ . وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر . انظر : (٦ / ٢٠) .

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل : ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، كان إسلامه فتحا على المسلمين ، شهد المشاهد كلها ، توفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، ولى الخلافة بعد الصديق واستشهد سنة ٢٣ هـ ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي . الإصابة (٢ / ٥١١ ، ٥١٢) ت رقم ٥٧٣٨

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص ٩٠) .

لما كان الإيمان به ﷺ يعني تصديقه وتصديق ما جاء به ﷺ ، والانقياد له ، فإن الطعن في أحد هذين الأمرين ينافي الإيمان ويناقضه فالنواقض على هذا الإعتبار يمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : الطعن في شخص الرسول ﷺ .

القسم الثاني : الطعن فيما أخبر به الرسول ﷺ مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، إما بإنكاره أو بانتقاصه .

القسم الأول : الطعن في شخص الرسول ﷺ :

ومما يدخل تحت هذا القسم نسبة أي شيء للرسول عليه الصلاة والسلام مما يتنافى مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده ، فيكفر كل من طعن في صدق الرسول ﷺ أو أمانته أو عفته أو صلاح عقله ونحو ذلك .

كما يكفر من سب الرسول ﷺ ، أو عابه ، أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه ، أو خصلة من خصاله ، أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو العيب له ، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كفرًا ، وكذلك من لعنه ، أو دعا عليه ، أو تمنى مضرة له ، أو نسب إليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر[١] ومنكر من القول وزور ، أو عَيَّرَهُ بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو تنقصه ببعض العوارض البشرية الجائزة المعهودة لديه »[٢] .

(١) الهجر : بالضم : القبيح من الكلام . لسان العرب (٥ / ٢٥٣) .

(٢) الشفا للقاضي عياض (٢ / ٩٣٢) بتحقيق علي محمد البجاوي .

فالساب إن كان مسلمًا فانه يكفر ويقتل بغير خلاف ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم .

وإن كان ذميًا فإنه يقتل أيضا فى مذهب مالك[١] وأهل المدينة وهو مذهب أحمد[٢] وفقهاء الحديث وهو المنصوص عن الشافعى[٣] نفسه كما حكاه غير واحد »[٤]

وهذا الحكم على الساب والمستهزئ ، يستوى فيه الجاد والهازل بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[٥] .

وهذا نص فى أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر ، (فالسب المقصود بطريق الأولى) ؟ وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جادًا أو هازلًا فقد كفر .

---

(١) مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، وأحد أئمة أهل السنة المشهورين ، وإليه تنسب المالكية له مؤلفات عدة على رأسها (الموطأ) الكتاب المشهور ، ولد بالمدينة ، وتوفى بها عام ١٧٩ هـ . الديباج المذهب (١ / ٨٢ - ١٣٥) والبداية (١٠ / ١٧٤) .

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المشهور فى الفقه والحديث ونصرة الإسلام ، إمام أهل السنة والجماعة أعز الله به السنة وقمع به البدعة وفضائله أكثر من أن تحصر توفى سنة ٢٤١ هـ تاريخ بغداد (٤ / ٤١٢) وطبقات الحنابلة (١ / ٤) .

(٣) محمد بن إدريس الشافعى الإمام المشهور أحد الأئمة الأربعة ولد بغزة بفلسطين ثم سافرت به أمه إلى مكة ، كان ذكيًا فطنًا برع فى الأدب واللغة ثم أقبل على الحديث والفقه وله مصنفات عدة من أشهرها : الأم والرسالة ، توفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ . تاريخ بغداد (٢ / ٥٦) والتذكرة (٣٦٧) .

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤ و ٨) بتصرف .

وقد تعرض شيخ الاسلام لهذه المسائل مفصلة فى هذا الكتاب فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه .

(٥) الآيتان (٦٥ ، ٦٦) من سورة التوبة .

وقد رُوي عن رجال من أهل العلم منهم ابن عمر[١]ومحمد بن كعب[٢]وزيد ابن أسلم[٣]وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، فقال له عوف ابن مالك[٤] كذبت ولكنك رجل منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يارسول الله إنما كنا نلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق .

قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة[٥] ناقة رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة لتنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله ﷺ : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » ما يلتفت إليه ،

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ولد بعد البعثة بثلاث سنوات وهاجر وهو ابن عشر سنين ، وقد كان من أشد الصحابة تتبعًا للسنن ومن أكثرهم عبادة مع زهد وورع توفى عام ٨٤ هـ .
الإصابة (٢ / ٣٣٨ ـ ٣٤١) ت رقم ٤٨٣٤

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني ، كان أبوه من سبي قريظة ، ثقة ، عالم ، ولد سنة أربعين على الصحيح ، ومات سنة ١٢٠ هـ وقيل غير ذلك . وقال عنه ابن حبان : كان من أفاضل أهل المدينة علمًا وفقهًا . تهذيب التهذيب (٩ / ٤٢٠ ، ٤٢٢) .

(٣) زيد بن أسلم المدني الفقيه : كان عالمًا بالتفسير وكان له حلقة بالمسجد النبوي توفي عام ١٣٦ هـ تهذيب التهذيب (٣ / ٣٩٥) .

(٤) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني ، صحابي جليل ، شهد مؤتة ، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ وشهد فتح الشام ، توفى سنة ثلاث وسبعين بالشام .
تهذيب التهذيب (٨ / ١٦٨) والبداية (٨ / ٣٤٦) .

(٥) « النِسْعة » بكسر فسكون : سير مضفور يجعل زمامًا للبعير . لسان العرب (٨ / ٣٥٢) .

ولا يزيده عليه[١] .

فهؤلاء لما تنقصوا النبي ﷺ حيث عابوه والعلماء من أصحابه واستهانوا بخبره أخبر اللّٰه أنهم كفروا بذلك ، وإن قالوه استهزاءً فكيف بما هو أغلظ من ذلك ؟[٢]

ومن الأدلة على كفر الطاعن في شخص الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٣] .

واللعن : الإبعاد عن الرحمة ، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا[٤] .

وفي هذه الآية قرن اللّٰه بين أذى النبي ﷺ وأذاه كما قرن في آيات أُخر بين طاعته وطاعة نبيه ، وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين ، وأن جهة حرمة اللّٰه تعالى ورسوله جهة واحدة ، فمن أذى الرسول فقد أذى اللّٰه ، ومن أطاعه فقد أطاع اللّٰه ، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة النبي ﷺ ، وليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه ، وقد أقامه اللّٰه مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه فلا يجوز أن يفرق بين اللّٰه ورسوله في شيء من هذه الأمور[٥].

ومن الأدلة الواردة في السنة حديث جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنهما[٦] قال :

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٧) .

(٢) الصارم المسلول (ص ٣١ - ٣٣) .

(٣) الآية (٥٧) من سورة الأحزاب .

(٤) الصارم المسلول (ص ٤١) .

(٥) الصارم المسلول (ص ٤٠ - ٤١) بتصرف .

(٦) جابر بن عبد اللّٰه الأنصاري : شهد العقبة الثانية وهو صغير وشهد المشاهد كلها بعد أحد ، وكان من المكثرين الحفاظ للسنة توفي سنة ٧٤ هـ . وقيل غير ذلك .
الإصابة (١ / ٢١٤) ت رقم ١٠٢٦

قال رسول الله ﷺ : « من لكعب بن الأشرف[١] فإنه قد آذى الله ورسوله » فقام محمد بن مسلمة[٢] فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم ... » الحديث[٣]. فعلم من هذا الحديث أن من آذى الله ورسوله كان حقه أن يقتل كما قتل كعب بن الاشرف والأدلة من الكتاب والسنة على هذه المسألة كثيرة ولا مجال لاستيعابها هنا .

ـ **الإجماع** : وقد أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه ، وكذلك حكى غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره .

وقال الإمام إسحاق بن راهوية[٤] أحد الأئمة الأعلام : أجمع المسلمون على أن من سب الله ، أو سب رسوله ﷺ ، أو دفع شيئًا مما أنزل الله عز وجل ، أو قتل نبيًا

(١) كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان ، كانت أمه من « بني النضير » فدان باليهودية وكان سيدًا فى أخواله اليهود . أدرك الاسلام ولم يسلم ، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم والتشبب بنسائهم .
خرج إلى مكة بعد وقعة « بدر » فندب قتلى قريش فيها ، وحض على الأخذ بثأرهم ، وعاد الى المدينة ، فأمر النبي ﷺ بقتله ، فانطلق إليه نفر من الأنصار ، فقتلوه فى ظاهر حصنه .
تاريخ الطبري (٣ / ٢) .

(٢) محمد بن مسلمة الأنصاري ، من فضلاء الصحابة شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك فإنه تخلف بإذن النبي ﷺ له أن يقيم فى المدينة ، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وقيل غير ذلك .
الإصابة (٣ / ٣٦٣ ، ٣٦٤) ت رقم (٧٨٠٨)

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه ـ واللفظ له ـ كتاب المغازي باب قتل كعب بن الأشرف .
انظر : فتح الباري (٧ / ٣٣٦) ح ٤٠٣٧ وأخرجه فى مواضع أُخر .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب قتل كعب بن الأشرف . انظر : (٥ / ١٨٤) .

(٤) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهوية المروزي قال عنه الخطيب البغدادي : كان أحد أئمة المسلمين وعَلَمًا من أعلام الدين اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد توفي سنة ٢٣٨ هـ . تاريخ بغداد (٦ / ٣٤٥) .

من أنبياء اللّٰه عز وجل أنه كافر بذلك وإن كان مقرًا بكل ما أنزل إليه .

وقال الخطابي[1] : لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله .

وقال محمد بن سحنون[2]: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر ، والوعيد جاء عليه بعذاب اللّٰه له ، وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر[3] .

ومن المعلوم أن سب النبي ﷺ تعلق به عدة حقوق :

١ ـ حق اللّٰه سبحانه :

من حيث كفر برسوله ، وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ، ومن حيث طعن في كتابه ودينه ، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة ، ومن حيث طعن في أُلُوهِيته ، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل وتكذيبه تكذيب للّٰه تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته

٢ ـ وتعلق حق جميع المؤمنين :

من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم به ، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به ، بل عامة الخير الذى يصيبهم في الدنيا والآخرة بواسطته وسفارته فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم ، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم

---

(١) أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المجتهدين المكثرين ، له من المصنفات معالم السنن وشرح البخاري وغير ذلك ، توفي بمدينة بست سنة ٣٨٨ هـ . البداية : (١١ / ٣٢٤) .

(٢) محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخي ، أبو عبد اللّٰه فقيه مالكي ، مناظر كثير التصانيف ، توفي سنة ٢٥٦ هـ . الوافي بالوفيات : (٣ / ٨٦) والأعلام (٦ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

(٣) الصارم المسلول (ص ٣ ـ ٤) .

وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين .

٣ - وتعلق حق رسول الله ﷺ به :

من حيث خصوص نفسه ، فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذُ ماله ، وأكثر مما يؤذيه الضرب ، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه ، خصوصًا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة ، فإن هتك عرضه وعلو قدره قد يكون أعظم عنده من قتله ، فإن قتله لا يقدح عند الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره كما أن موته لا يقدح في ذلك ، بخلاف الوقيعة في عرضه فإنها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء الظن به ما يفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة ... »[1]

وبهذا يعلم أن السب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ما ليس في غيره من الأمور كالكفر والمحاربة .

وبما تقدم ذكره من الأدلة يتضح انتقاض إيمان من طعن في شخص الرسول ﷺ بسب أو استهزاء أو انتقاص سواء كان في ذلك جادًا أو هازلًا .

ويستثنى من ذلك المكره بدليل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ ﴾[2]فالآية نزلت في عمار بن ياسر[3]حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم على ذلك مكرَهًا وجاء معتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله

---

(١) الصارم المسلول (ص ٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٢) الآية (١٠٦) من سورة النحل .

(٣) عمار بن ياسر حليف بني مخزوم من السابقين الأولين هو وأبوه وأمه ، هاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها ، قتل بصفين سنة ٣٧ هـ . الإصابة (٢ / ٥٠٥ ، ٥٠٦) ت رقم ٥٧٠٦

هذه الآية ؛ وروى أن مما قاله أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير ، قال : « كيف تجد قلبك » ؟ قال : مطمئنًا بالإيمان ، فقال : « إن عادوا فعد » وفي ذلك أنزل الله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ ﴾

ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ، ويجوز له أن يأبى ، كما كان بلال[1] رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل ... »[2]

القسم الثاني : من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ :

الطعن فيما أخبر به الرسول ﷺ ـ مما هو معلوم من الدين بالضرورة ـ اما بإنكاره أو انتقاصه .

○ فإذا اجتمعت الشروط التالية في المنكر وهي :

أ ـ أن يكون ذلك الأمر المنكر من الأمور التي أجمعت عليها الأمة وأن يكون من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة : أى أن يكون علمه منتشرًا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان ، وعموم رسالته[3] .

ب ـ أن لا يكون المنكر حديث عهد بالإسلام لا يعرف حدوده فهذا إذا أنكر

(١) بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ ، أحد السابقين إلى الاسلام الذين عذبوا بمكة ، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ﷺ فيقول وهو على ذلك أَحَدٌ أَحَدٌ ، فمر به أبو بكر فاشتراه منه وأعتقه ، ومناقبه كثيرة ، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، مات بالشام سنة عشرين . الإصابة (١ / ١٦٩) ت رقم ٧٣٦ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٧ ، ٥٨٨) بتصرف .

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١ / ٢٠٥) .

شيئا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة جهلا به فانه لا يكفر[١] .

ج ـ أن لا يكون المنكر مكرهًا على ذلك ، فإن المكره له حكم آخر كما قدمنا ذلك .

والمنكر في هذه الحالة يحكم بكفره وانتقاض إيمانه . والمنتقص لأمور الدين إذا كان غير مكره فانه يكفر سواء كان جادًا في ذلك أم هازلا .

والأمثلة على هذا القسم كثيرة جدًا نذكر منها على سبيل المثال ما يختص بجانب الإيمان برسالة النبي ﷺ .

أولاً : « أن يعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه وأن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون القانون الوضعي على حكم الشرع ويصفون الشريعة الإسلامية بالقصور والرجعية وعدم مسايرة التطور ، وهذا من أعظم المناقضة لشهادة أن محمدًا رسول الله .

ثانيًا : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فهو كافر[٢] .

ثالثًا : اعتقاد الإنسان أنه يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ .

ولهذا الأمر صورتان :

الأولى : أن لا يرى وجوب تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به ولا وجوب طاعته فيما أمر به وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علمًا وعملًا وأنه يجوز تصديقه وطاعته ولكنه يقول إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدًا ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته وهذا هو

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١ / ٢٠٥) .

(٢) الجامع الفريد رسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٨٢) .

قول الفلاسفة والصابئة[١] وهذا القول لا ريب فى كفر صاحبه (فمن نواقض الإسلام أن يعتقد الانسان عدم كفر المشركين ويرى صحة مذهبهم ، أو يشك فى كفرهم)[٢] .

وهذا القول هو الذى ينادي به فى وقتنا الحاضر من يدعون إلى وحدة الأديان ويروج لهم فى ذلك الماسونية[٣] اليهودية[٤] .

الثانية : من يرى طلب العلم بالله من غير خبره ، أو العمل لله من غير أمره ، وهؤلاء وإن كانوا يعتقدون أنه يجب تصديق الرسول أو تجب طاعته ، لكنهم فى سلوكهم العلمي والعملي غير سالكين هذا المسلك بل يسلكون مسلكا آخر إما من جهة القياس والنظر ، وإما من جهة الذوق والوجدان ، وإما من جهة التقليد ، وما جاء عن الرسول إما أن يعرضوا عنه وإما أن يردوه إلى ما سلكوه .

وإضافة إلى هذه النواقض فإن الإيمان بالنبي ﷺ ينتقض أيضا بالنواقض العامة الأخرى للإسلام وهي :

١ ـ الشرك فى عبادة الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٥]

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٩) .

(٢) الجامع الفريد (ص ٢٨٢) .

(٣) الماسونية : عبارة فرنسية معناها البناؤون الأحرار ، والماسونية حركه يهودية سرية تعمل تحت ستار التآخي بين الأديان وهدفها الرئيسى السيطرة على العالم عن طريق أصحاب الجاه والنفوذ فى بقاع العالم ، وذلك بواسطة المحافل التي تقيمها فى بقاع كثيرة من العالم .

انظر : كتاب الماسونية ذلك العالم المجهول ـ لصابر طعيمة

(٤) كتاب الولاء والبراء (ص ٣٤٤) .

(٥) الآية (٤٨) من سورة النساء .

وقال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٣] .

٢ ـ أن يجعل بينه وبين الله وسائط :

يدعوهم ويسألهم الشفاعة فيما لا يقدر عليه إلا الله ، ويتوكل عليهم فهذا كافر بالاجماع[٤] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[٥]

وقال تعالى : ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٧] .

٣ ـ السحر :

ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضى به كفر[٨] ؛ بدليل قوله تعالى :

---

(١) الآية (٦٥) من سورة الزمر .

(٢) الآية (٨٨) من سورة الأنعام .

(٣) الآية (٧٢) من سورة المائدة .

(٤) الجامع الفريد (ص ٢٨٢) .

(٥) الآية (١٩٤) من سورة الأعراف .

(٦) الآيتان (١٢ ـ ١٣) من سورة الحج .

(٧) الآية (١٨) من سورة الجن .

(٨) الجامع الفريد (ص ٢٨٢) . والمراد بالصرف : التفريق بين الزوجين . والعطف : الجمع بينهما .

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[١] .

٤ ـ (مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين)[٢]

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٣] وهذا من أعظم النواقض التي وقع فيها سواد الناس اليوم فى الأرض وهم بعد ذلك يحسبون على الإسلام ويتسمون بأسماء إسلامية . فلقد صرنا فى عصر يستحى فيه أن يقال للكافر يا كافر .

ومظاهرة المشركين أخذت صورًا شتى فمن الميل القلبي إلى انتحال مذاهبهم الإلحادية إلى مجاراتهم فى تشريعاتهم ، إلى كشف عورات المسلمين لهم ، إلى كل صغير وكبير فى حياتهم ... »[٤]

٥ ـ الإعراض عن دين الله تعالى :

لا يتعلمه ولا يعمل به[٥] والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[٦] .

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرًا ، وأكثر ما يكون وقوعا فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه[٧]

(١) الآية (١٠٢) من سورة البقرة .

(٢) الجامع الفريد (ص ٣٨٣) .

(٣) الآية (٥١) من سورة المائدة .

(٤) كتاب الولاء والبراء فى الإسلام تأليف محمد بن سعيد القحطاني (ص ٨٣) بتصرف بسيط .

(٥) الجامع الفريد (ص ٢٨٤) .

(٦) الآية (٢٢) من سورة السجدة .

(٧) الجامع الفريد (ص ٣٨٤) .

ومعرفة المسلم لهذه الأمور تجعله على بصيرة من أمره ، وتكسبه وتزيده معرفة لأمور عقيدته فبضدها تتميز الأشياء .

o o o o

المبحث الثاني

وجوب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ

□ وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : معنى النبوة والرسالة .

ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ معنى النبي لغة وشرعا .

ب ـ معنى الرسول لغة وشرعا .

المطلب الثاني : الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ .

ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ الأدلة من القرآن .

ب ـ الأدلة من السنة .

ج ـ دليل الإجماع .

المطلب الثالث : دلائل نبوته ﷺ .

ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ القرآن الكريم .

ب ـ انشقاق القمر .

ج ـ نبع الماء بين أصابعه .

د ـ اشباع العدد الكثير من الطعام القليل .

هـ ـ ما اطلع عليه من الغيوب وما سيكون فى المستقبل .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

معنى النبوة والرسالة

جمع اللّٰه لنبيه محمد ﷺ بين النبوة والرسالة قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾[١] .

أ ـ معنى النبي لغة وشرعا :

النبوة فى اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبي)[٢]؟

١ ـ فإذا كانت مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار ، لأن النبأ هو الخبر .

٢ ـ وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفعة والعلو ، لأن (النباوة أو النبوة : هي الشيء المرتفع) .

٣ ـ أما إذا كانت مأخوذة من (النبي) بدون همز ، فيكون معناها الطريق إلى اللّٰه عز وجل لأن معنى « النبي » الطريق .

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعانى إذ النبوة إخبار عن اللّٰه عز وجل ، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم ، وهى الطريق الموصلة إلى اللّٰه سبحانه .

أما النبوة فى اصطلاح الشرع : « فهى خبر خاص يكرم اللّٰه عز وجل به أحدًا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد »[٣] .

(١) الآية (٤٠) من سورة الأحزاب .

(٢) انظر : لسان العرب مادة « نبأ » (١ / ١٦٢ ـ ١٦٣) ومعجم مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٤ ، ٣٨٥) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقى ـ الباب الثاني من شعب الإيمان (ص ٢٧٥) رسالة ماجستير فى الجامعة الإسلامية بتحقيق فالح بن ثاني .

أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه .

ـ فمنهم من قال :هو الذي أوحى الله إليه بشرع[١]ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه .

ـ فمنهم من قال : هو الذى أوحى اللّه إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[٢]؟

ـ ومنهم من قال : هو الذي أوحى اللّه إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره ، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين[٣]وهذا هو الذى اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[٤] يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير[٥]

وكذلك مما يؤكد كون الانبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : « كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث[٦]

« أى تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية . والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه »[٧] .

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٧٥) وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧)

(٢) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطى (٥ / ٧٣٥) .

(٣) كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٥٥) .

(٤) الآية (٥٢) من سورة الحج .

(٥) أضواء البيان (٥ / ٧٣٥) .

(٦) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل . انظر : فتح البارى (٦ / ٤٩٥) ح ٣٤٥٥. وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦ / ١٧) .

(٧) النهاية فى غريب الحديث (٢ / ٤٢١) .

وقد اعترض على القول الثانى بأن الضابط الذى ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولًا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾[1] .

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكان على شريعة التوراة قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[2] .

٤ ـ معنى الرسول لغةً وشرعًا :

الرسول لغة : إما مأخوذ من الرَّسل .

والرِّسل : هو الانبعاث على تؤدة . يقال : ناقة رسله : أي سهلة السير ، وإبل مراسيل : منبعثة انبعاثًا سهلًا . ولفظ الرِّسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث . فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق .

وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أى منبعثة .

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث .

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث[3]

(١) الآية (٣٤) من سورة غافر .

(٢) الآيتان (١٦٣ ـ ١٦٤) من سورة النساء .

(٣) المفردات فى غريب القرآن تأليف أبى القاسم حسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ص ١٩٥) مادة « رسل » .

وإما مأخوذ من الرَّسْلُ وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رَسْلًا أى متتابعة ، ويقال جاءوا أَرْسَالًا : أي متتابعين .

ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق : هو الذى يتابع أخبار الذى بعثه[1]

ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول فى اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل اللّٰه ، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من اللّٰه تعالى .

ولفظ الرسول تارة يقال للقول المُتَحَمَّلِ كقول الشاعر :

ألا بلغ أبا حفص رسولا .

وتارة لمُتَحَمِّل القول والرساله[2] .

والرسول فى الشرع : عرف بعدة تعريفات :

فمن العلماء من عرفه بقوله : هو الذى أوحى اللّٰه إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس ، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه[3].

ومنهم من عرفه بقوله : هو الذى أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته .

وقالوا : إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس الى شريعة رسول قبله[4] .

ومنهم من قال : إن الرسول هو الذى ينبئه اللّٰه ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى

(١،٢) المصدر السابق (ص ١٩٥) ولسان العرب مادة « رسل » (١١ / ٢٨٤) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقى (ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦) بتحقيق فلاح بن ثاني ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧) .

(٤) أضواء البيان (٥ / ٧٣٥) .

من خالف أمره أي إلى قوم كافرين .

أما النبي فهو من أوحى اللّٰه إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره ، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما .

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، واستشهد لذلك بأن نوحًا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك باللّٰه قد وقع فى قومه .

وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبيا مكلمًا ، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون فى هذه القرون أنبياء فقط[1] .

وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال .

أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وأن وضحت فى الكلام على معنى النبي .

وكذا الأمر بالنسبة للقول للثانى فليس من شرط الرسول أن يأتى بشريعة جديدة كما تقدم ذكر ذلك .

○ ○ ○ ○

---

(١) النبوات (ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

المطلب الثاني

الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ

أ ـ الأدلة من القرآن :

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين ـ الإنس والجن ـ الذين أدركتهم رسالة النبي ﷺ ، أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز .

كما أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها :

قال تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2] .

وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[4] .

---

(١) الآيتان (٧ ـ ٨) من سورة الحديد .

(٢) الآية (٨) من سورة التغابن .

(٣) الآية (١٣٦) من سورة النساء .

(٤) الآية (٩) من سورة الفتح .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾[٢] .

والإيمان به ﷺ واحد من ثلاثة حقوق اقترن بها حقه ﷺ مع حق الله تعالى فى القرآن الكريم .

أما الحق الثاني له :

فهو طاعته قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣] ، وسيأتى بيانه فى الفصل الثاني من هذا الباب .

والحق الثالث هو :

محبته قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[٤] وسيأتى بيانه فى الباب الثاني .

« كما أن الإيمان به واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه »[٥] .

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٣) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٥) الشفا للقاضي عياض (٢ / ٥٣٨) بتصرف .

وقال تعالى فى حق من لم يؤمن : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾[١].

وبما تقدم من آيات يعلم وجوب الإيمان بالرسول ﷺ وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، ولذلك كان أول أركان الإسلام « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله » .

ب ـ الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به ﷺ :

وردت فى السنة أحاديث كثيرة جدا تدل على وجوب الإيمان به ﷺ على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته ، سواء كانوا أهل كتاب ، أم ليسوا بأهل كتاب ، ويستوى فى ذلك عربهم وعجمهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلا يسع أحدًا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد لله بغير ما جاء به . لأن الله لا يقبل من أحد عملًا يخالف شرع نبيه محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[٢]. وسأورد ههنا بعضا من تلك الأحاديث الواردة فى هذا الشأن

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »[٣] .

---

(١) الآية (١٣) من سورة الفتح .

(٢) الآية (٨٥) من سورة آل عمران .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١ / ٣٩)

٢ ـ وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمدًا رسول اللّه ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على اللّه »(١) .

٣ ـ عن أبى هريرة رضي اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »(٢) .

٤ ـ وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما فى حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم :« أتدرون ما الإيمان باللّه وحده ؟ قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس .... » الحديث(٣)

٥ ـ وعن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه قال : بعثني رسول اللّه ﷺ فقال : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللّه افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللّه افترض عليهم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » . انظر : فتح الباري (١ / ٧٥) ح ٢٥ . وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه . انظر (١ / ٣٩)

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١ / ٩٣) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣١) .

صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب(١) .

وهذه الأحاديث وغيرها تؤكد وجوب الإيمان به ﷺ وبما جاء به ، وكذلك طاعته ، ويكون ذلك بأن يحل ما أحل الله ورسوله ، ويحرم ما حرم الله ورسوله ، ويوجب ما أوجبه الله ورسوله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويكره ما كرهه الله ورسوله . وقد تقدم معنى الإيمان بالنبي ﷺ فى المبحث الأول فليرجع إليه .

ج ـ دليل الإجماع :

أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبى ﷺ ، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم(٢). لأن الرسول ﷺ هو الذى جاء بذلك وذكره الله فى كتابه وبينه الرسول أيضا فى الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب ، فان الله تعالى أنزل عليه الكتاب والحكمة ، ولم يبتدع المسلمون شيئا من ذلك من تلقاء أنفسهم(٣) .

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (١ / ٣٥) ، وأخرجه بنحوه البخاري فى صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء فى دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى . انظر : فتح الباري (١٣ / ٣٤٧) ح ٧٣٧٢

(٢) إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية . انظر : (٢ / ٩٩) .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١٢٦) .

المطلب الثالث

دلائل نبوته ﷺ

أيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصدق رسالته وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء[1] . ومنها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي ، وكذلك هى متنوعة فمنها ما كان قبل مولده كبشارات الأنبياء به ومنها ما كان وقت ولادته كقصة الفيل والعجائب التي حدثت عام مولده الدالة على نبوته ، ومنها ما كان عند مبعثه كالقرآن الكريم وانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه ﷺ وغير ذلك .

ومن تلك الدلائل ما استمر بعد وفاته ﷺ كالقرآن الكريم ، وما أخبر به من المغيبات كعلامات الساعة ، وما يحدث بعده . ولقد ألف عدد من العلماء مؤلفات فى هذا الشأن جمعوا فيها تلك الدلائل والمعجزات[2] .

وإن من أعظم دعائم الإيمان معرفة المسلم لهذه الدلائل وأخذ العظة والعبرة منها وذلك بتدبر ما فيها من حكم وآيات دلت على صدق رسالة نبينا ﷺ .

والمقام هنا لا يستوعب إيراد هذه الدلائل والمعجزات ، ولكني سأشير الى بعض هذه الدلائل إشارات سريعة على سبيل المثال :

أ ـ القرآن الكريم :

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (١ / ١٤٠) .

(٢) من تلك المؤلفات : دلائل النبوة لأبى نعيم الأصبهاني ، ودلائل النبوة لقوام السنة الأصبهاني ، ودلائل النبوة للبيهقي ، والخصائص الكبرى للسيوطي .

هو أعظم الآيات والبراهين والدلائل والمعجزات التي أعطيها النبي ﷺ ، وليس من آية أبدع ولا أروع منه .

فهو المعجزة الخالدة التي أعطاها الله لرسوله ﷺ لتكون خالدة كخلود رسالته ، ومشهودة لكل من أتى بعد زمانه ليعم الانتفاع بها ولتقوم بها الحجة على أهل كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولقد تعهد الله بحفظه وبقائه فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] فكان في هذا الحفظ دوامه وبقاؤه إلى قيام الساعة .

ولقد ميز الله نبيه بهذه المعجزة عن سائر إخوانه من الأنبياء كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة »[2] .

وفي تخصيص النبي ﷺ للقرآن بالذكر هنا دون المعجزات الأخرى التي أعطيها - والتي تزيد على الألف - إشارة إلى عظم هذه المعجزة ومكانتها حتى أنه أصبح غيرها بالنسبة إليها كلا شيء لشيء .

ولقد تضمنت هذه المعجزة وجوهًا متعددة من الإعجاز ، فالقرآن الكريم معجز بلغته وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار

---

(١) الآية (٩) من سورة الحجر .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » واللفظ له انظر فتح الباري (١٣ / ٢٤٧) ح ٧٢٧٤. وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته . انظر (١ / ٩٢ ، ٩٣) .

وقصص ، ومغيبات ، وعلوم ، فهو معجز من جميع الوجوه ، ولقد تحدى الله قوم النبي ﷺ على أن يأتوا بمثله أو بشئ منه ، فالقرآن الكريم نزل بلغتهم فهم يعرفون حروفه ومعانيه ، إضافة إلى أنه نزل فى أوان وزمان بلغت فيه قريش ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان ، فلقد كان فيهم أولوا الأحلام والنهى والأفهام والألسن الحداد ، والقرائح الجياد ، والعقول السداد .

فالتحدى كان لهم بأمر يعرفون طريقه ولهم بجنسه عهد بل إنهم نبغوا فيه وبلغوا فيه ذروته .

ولذلك فقد توهم كفار قريش فى بداية أمرهم أن باستطاعتهم الاتيان بمثله وقدروا أن فى وسعهم معارضته فقالوا : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾[1] .

فجاءهم التحدى من الله على ثلاث مراحل هى :

المرحلة الأولى :

التحدى بالإتيان بمثل القرآن وذلك كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[2] .

المرحلة الثانية :

تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله حيث قال تبارك وتعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ

---

(١) الآية (٣١) من سورة الانفال .

(١) الآيتان (٣٣ - ٣٤) من سورة الطور .

(٢) الآية (١٣) من سورة هود .

صَادِقِينَ ﴾(٣) .

ثم المرحلة الثالثة :

حيث تحداهم تبارك وتعالى بالإتيان بسورة واحدة فقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَـزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١) .

فعجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مع شدة الإجتهاد وقوة الأسباب فقد كانوا حريصين على تكذيبه وإبطاله بكل طريق ولكن مع هذا كله فقد عجزوا عن ذلك .

ولقد أخبر اللّٰه بعجزهم عند تحدّيه إياهم بالإتيان بسورة من مثله فقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٢) .

ولما عجزوا عن الإتيان بما تحداهم به قطع اللّٰه طمعهم على أن يأتوا بمثله فقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٣) .

وبعد مرحلة قطع الطمع أنزل اللّٰه فواتح السور كـ ﴿ الم ، الر ، المر ﴾ وغيرها . تقريعا وتوبيخا للكفار ، مخبرًا لهم أن ما تحداهم به مكون من حروف هي حروف العربية التي يتحدثون بها والتي بلغوا ذروتهافهم أفصح العرب ، والقرآن نزل بلغة العرب ، ولقد جرت سنة اللّٰه بأن يعطي كل رسول من المعجزات ما

---

(١) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٢٤) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٨٨) من سورة الاسراء .

يناسب ما اشتهر به قومه ، فلقد أعطى موسى العصا لاشتهار من أرسل إليهم بالسحر وما يتعلق به ، وأعطى عيسى معجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى لاشتهار قومه بالطب وهكذا ، فأعطى نبينا محمدًا ﷺ القرآن لما اشتهرت به قريش من الفصاحة والبيان .

فهذا ما كان من أمر التحدي الذى تحدى الله به أهل مكة وغيرهم من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، وسأعرض لذكر بعض جوانب هذا الإعجاز القرآني الذى عجز الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن من جهتها وهى ما يلى :

أولًا :

تحداهم بفصاحة القرآن وعلو أسلوبه ، وأحكامه ، ودقة تعبيره ، ولذا تكلف بعض سفهاء الأحلام منهم أن يأتوا بسور خيل لهم أنها على نمطه وشاكلته ، فأضحكوا على أنفسهم العقلاء ، وأما ذووا العقل والرأى منهم فأسلموا أنفسهم إلى العجز وأيقنوا من قرارة نفوسهم أنه الحق وأنه من عند الله لا من كلام البشر ولكن أكثرهم يجهلون فأبوا إلا الكفر أنفة واستكبارا .

ثانيًا :

تحداهم بتشريعه الكامل الموافق لمقتضى العقل والفطرة ، الهادي جميع البشر إلى سواء السبيل من جوانب الحياة كلها عقيدة وعبادة واقتصادًا وسياسةً وأدبًا وأخلاقًا مع بقاءه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه وسياسة وأدبا وأخلاقا مع بقائه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه في جميع جوانب الحياة إلى يوم القيامة .

ثالثا :

تحداهم بما تضمنه القرآن من الأخبار الغيبية التفصيلية المسهبة ، وبوقوف

الرسول ﷺ من إخوانه المرسلين السابقين موقف المصدق لهم المبين لتحريف أقوامهم لشرائعهم ، المعلن لخزاياهم وفضائحهم فى خروجهم على أنبيائهم بيان الواثق بنفسه المؤمن بما أوحي إليه من ربه ، وهو أمي عاش فى أمة أمية ، ومن أمته أهل الكتاب الذين فضحهم بسوء صنيعهم مع رسلهم وفى شرائعهم ومع ذلك لاذوا بالصمت ولم يردوا عليه ما اتهمهم به تبرئة لأنفسهم ودفعا للنقيصة والعار عنها ، فكان ذلك إيذانًا بأنه رسول اللّٰه الصادق الأمين وأن ما جاء به إنما هو وحي من رب العالمين[١] .

ولقد تضمن القرآن الكريم جوانب أخرى من الإعجاز فنحن فى زمان انتشر فيه سلطان العلم المادي وتباهى الانسان بمعرفته لكثير من الأمور التي خفيت عمن قبله من الأجيال ، ولكن كثيرًا من هذه الأمور التي يدعي الإنسان اكتشافها ومعرفتها ، نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عنها وبينها فعلى سبيل المثال تكوين الإنسان فى بطن أمه تحدثت عنه آيات كثيرة من القرآن قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان بينما لم يتعرف علماء الطب على ذلك إلا فى زمن متأخر وكذا الأمر بالنسبة لكثير من الأمور الأخرى كتكوين الارض وعلوم البحار وعلوم الحيوان وشتى أنواع العلوم الأخرى ، وقد اهتم عدد من العلماء المسلمين بهذا الشأن فأنشؤوا ما يسمى « بهيئة الإعجاز العلمي فى القرآن » لبيان سبق القرآن فى توضيح كثير من أمور العلم التي يدعي كثير من العلماء الماديين أنها لم تعرف إلا فى هذا الزمان .

وهذا كله شاهد بأن كتاب اللّٰه العزيز يبقى المعجزة الخالدة التي لا تنتهي

---

(١) انظر : مجلة البحوث الإسلامية ، العدد التاسع (ص ٢٧ ـ ٢٨) مقال بعنوان بيان ما يسمى معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية إعداد هيئة كبار العلماء .

عجائبها ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[١].

فالقرآن يبقى معجزًا فى عصر العلم كما كان معجزًا فى عصر الفصاحة والبلاغة . ومن الآيات الحسية التي أعطيها النبي ﷺ زمن بعثته .

ب ـ انشقاق القمر :

قال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[٢].

وعن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه « أن أهل مكة سألوا رسول اللّٰه ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[٣]

وعن عبد اللّٰه بن مسعود[٤] رضي اللّٰه عنه قال : « انشق القمر على عهد النبي ﷺ شقين ، فقال : « اشهدوا »[٥] .

ج ـ نبع الماء بين أصابعه :

فعن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه قال : « أُتي رسول اللّٰه ﷺ بإناء وهو

(١) الآية (٨٩) من سورة الأسراء .

(٢) الآيتان (١ ، ٢) من سورة القمر .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبى ﷺ آية ، فأراهم انشقاق القمر . انظر : فتح الباري (٦ / ٦٣١) ح ٣٦٣٧

(٤) عبد اللّٰه بن مسعود الهذلي ، أسلم قديما ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرا والمشاهد بعدها ، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة وكان من فقهاء الصحابة ، توفى عام ٣٢ هـ بالمدينة .
الإصابة : (١ / ٣٦٠ ، ٣٦٢) ت رقم ٤٩٥٤

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية ، فأراهم لنشقاق القمر . انظر : فتح البارى (٦ / ٦٣١) ح ٣٦٣٦

بالزوراء[١] فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم . قال قتادة : قلت لأنس كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة ، أو زهاء ثلاثمائة »[٢]

وقد روى حديث نبع الماء من بين أصابعه ﷺ جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود[٣] .

د ـ إشباع العدد الكثير من الطعام القليل :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة[٤] لأم سليم[٥] : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا

---

(١) الزوراء : موضع بالمدينة عند سوقها في ذلك الوقت . وفاء الوفاء (٤ / ١٢٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه « واللفظ له » كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٨٠) ح ٣٥٧٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ (٧ / ٤٩)

فائدة : قال ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٥٨٥) : « حديث نبع الماء من أصابعه ﷺ جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق . وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين . وعن ابن أبي ليلى والد عبد الرحمن عند الطبراني .انتهى كلامه .

(٣) الشفا (١ / ٤٠٢) .

(٤) أبو طلحة : إسمه زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري النجاري الخزرجي ، مشهور بكنيته ، شهد العقبة ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد ، توفي عام ٣١ هـ وقيل ٣٤ هـ .
الإصابة (١ / ٥٤٩) ت رقم ٢٩٠٥

(٥) أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية وهي أم أنس خادم رسول الله ﷺ إشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل غير ذلك . أسلمت مع السابقين من الأنصار ، ولها مواقف مشهودة تدل على فضلها ومكانتها . الإصابة (٤ / ٤٤١ ، ٤٤٢) ت رقم ١٣٢١

لها ، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ، ولاثتني ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول اللّٰه ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول اللّٰه ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم . فقال لي رسول اللّٰه ﷺ : « آرسلك أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ قلت : نعم ، قال رسول اللّٰه ﷺ لمن معه : « قوموا » فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول اللّٰه ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : اللّٰه ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول اللّٰه ﷺ ، فأقبل رسول اللّٰه ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول اللّٰه ﷺ : « هلمي يا أم سليم ما عندك » فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول اللّٰه ﷺ ففت ، وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول اللّٰه ﷺ فيه ما شاء أن يقول . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : « إئذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : « إئذن لعشرة » فأكل القوم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلًا »[1] .

وأحاديث تكثير الطعام القليل تعددت ، وتكررت فى مواطن متعددة ورويت عن بضعة عشر من الصحابة ، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يُعد بعدهم ، وأكثر هذه الأحاديث مروية فى الصحيح وأكثرها فى قصص مشهورة ، ومجامع مشهورة ، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ، ولا يسكت

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام .
انظر فتح الباري (٦ / ٥٨٦) ح ٣٥٧٨

الحاضر لها على ما أنكر منها[(١)] .

هـ ـ ما أطلع عليه من الغيوب وما سيكون في المستقبل :

« والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ، ولا ينزف غمره . وهي من جملة معجزاته المعلومة على القطع »[(٢)] ومنها على سبيل المثال حديث حذيفة ابن اليمان قال : « قام فينا رسول اللّٰه ﷺ مقاما ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه »[(٣)] .

وبعد فهذا جزء يسير جدا من دلائل نبوته المعنوية والحسية وصدق رسالته ﷺ ، أيد اللّٰه بها نبيه ليقيم الحجة على الخلق فيحيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

فيجب على كل مسلم أن يتدبر في دلائل نبوته ﷺ ويَطّلع عليها، فان فيها عظة وعبرة وتزيد من إيمان المرء ويقينه بنبوة خاتم المرسلين وإمامهم ، الذي أعطاه اللّٰه من الآيات والبراهين ما لم يعط أحدًا من الأنبياء قبله .

○ ○ ○ ○

---

(١) الشفا (١ / ٤١٩) بتصرف .

(٢) الشفا (١ / ٤٧٠) وقد ذكر طرفا من هذه الأحاديث فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٨ / ١٧٢) .

المبحث الثالث

وجوب الإيمان بعموم رسالته ﷺ

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على عموم رسالته .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « الناس » .

ب ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « العالمين » .

ج ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « كافة » و « جميعًا » .

د ـ الآية التي ورد فيها لفظ (ومن بلغ)

هـ ـ الآيات التي ورد فيها خطاب الجن .

و ـ الآيات التي ورد فيها دعوة أهل الكتاب .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على عموم رسالته .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ السنة القولية .

ب ـ السنة العملية .

المطلب الثالث : دليل الإجماع على عموم رسالته .

● ● ● ●

تمهيد

إن من الإيمان بنبوة محمد ﷺ الإيمان بجميع ما جاء به ، ومما جاء به ﷺ الإخبار بعموم رسالته للإنس والجن بجميع أجناسهم وأشكالهم وألوانهم ومللهم ولغاتهم . لذا فإنه يجب أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدًا ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن وأنه أوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته ، وأنه لا يسع أحدًا من هؤلاء الخروج عن شريعته ولا أن يدين لله بغير ما جاء به « ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله »[١] قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٢].

وعموم رسالة النبي ﷺ وعالميتها هى إحدى الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء قبله ، إذ كان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا الى من يبلغهم أمر الله عز وجل ، أما محمد ﷺ فقد بعثه الله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا ، فهو المبعوث رحمة للعالمين ، فعمت رسالته جميع المكلفين إنسهم وجنهم ، كما صحبت كذلك الزمان فى مسيرته ، فإذا انتهى جيل من الناس فإن الجيل الذى يليه مخاطب ومكلف بها .

والإيمان بعموم الرسالة وعالميتها هو الذى يدين به كل مسلم يؤمن بالله ورسوله ، فهذا ما جاءت به آيات الكتاب الكريم ونصوص السنة الثابتة ، فهو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي أجمعت عليها الأمة .

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٤٢٢) .

(٢) الآية (٨٥) من سورة آل عمران .

المطلب الأول

الأدلة من القرآن على عموم رسالته

وردت آيات كثيرة فى كتاب اللّٰه العزيز تثبت عموم دعوته وعالمية رسالته ﷺ ومن سمة هذه الآيات أنها اتصفت بتنوع العبارة مع اتحاد فى المضمون الذى هو الدلالة على عموم الرسالة وعالميتها .

وسوف نعرض لهذه الآيات بحسب اتحادها فى السياق .

أ ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « الناس » منها :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[(٥)] .

وقوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾[(٦)] .

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

(٣) الآية (٧٩) من سورة النساء .

(٤) الآية (١٧٤) من سورة النساء .

(٥) الآية (٢) من سورة يونس .

(٦) الآية (٥٢) من سورة إبراهيم .

وقوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّور بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(١) .

والشاهد من هذه الآيات أنها بينت شمول رسالة محمد ﷺ للناس(٢) جميعا .

قال صاحب اللسان : « الناس قد يكون من الإنس ومن الجن »(٣) .

فلفظ الناس يطلق على الجن والإنس كما فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾(٤) فسمى اللّه الجن فى هذا الموضع ناسًا كما سماهم فى موضع آخر رجالًا ، فقال : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾(٥) فجعل الجن رجالا وكذلك جعل منهم ناسا(٦) .

وهناك رأي آخر يقول إن لفظ الناس دخل فيه الجن تغليبا(٧) .

والذى أراه أن الآيات تفسر بالمعنى الشامل للإنس والجن إذ لا مخصص للعموم هنا .

وكنموذج لتفسير ما أوردته من آيات فى هذا الشأن أذكر ما قاله بعض علماء التفسير فى بيان قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

---

(١) الآية (١) من سورة إبراهيم .

(٢) لفظ « الناس » فيه وجهان : أحدهما : أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه وانما واحده « إنسان » وواحدته « إنسانة » . والوجه الآخر : أن يكون أصله « أناس » أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها تخفيفا ، ثم أدخلت الألف واللام المعرفتان ، فأدغمت اللام التي دخلت مع الألف فيها للتعريف فى النون . انظر : تفسير الطبرى (١ / ١١٦) .

(٣) لسان العرب (٦ / ٢٤٤) مادة نوس .

(٤) الآيتان (٥ - ٦) من سورة الناس .

(٥) الآية (٦) من سورة الجن .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠ / ٣٥٦) .

(٧) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٧٥) .

قال أبو جعفر الطبرى[١] فى تفسيرها : « قل يا محمد للناس كلهم ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ لا إلى بعضكم دون بعض ، كما كان من قبلي من الرسل مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض ، فمن كان منهم أرسل كذلك ، فان رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم »[٢] .

وقال ابن كثير[٣]: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أى جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة[٤] .

ب ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « العالمين » : ومنها

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٧] .

---

(١) هو محمد بن جرير الطبري ، المؤرخ المفسر الإمام ، كان مولده سنة أربع وعشرين ومائتين ، روى الكثير عن الجم الغفير ، صنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل الذى لا يوجد له نظير توفي سنة ٣١٠ هـ . البداية (١١ / ١٤٥ - ١٤٧) .

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٨٦) .

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي ، حافظ مؤرخ فقيه ولد سنة ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ وهو صاحب كتاب تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية . شذرات الذهب (٦ / ٢٣١) والأعلام (١ / ٣٢٠) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥) .

(٥) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .

(٦) الآية (٩٠) من سورة الأنعام .

(٧) الآية (١٠٤) من سورة يوسف .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(١).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٣) .

والمراد بالعالمين هنا هم الإنس والجن إذ هم المكلفون .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « العالمون الجن والإنس ، دليله قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ولم يكن نذيرًا للبهائم »(٤) .

ج الآيات التي ورد فيها لفظتا « كافة » و « جميعا » وهي :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٥) . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٦). وهناك ثلاث عبارات هي « الناس » و « كافة » و « جميعا » دلت جميعها على العموم .

د ـ الآية التي ورد فيها لفظ « ومن بلغ »

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾(٧) .

---

(١) الآية (١) من سورة الفرقان .

(٢) الآية (٥٢) من سورة القلم .

(٣) الآيتان (٢٦ ، ٢٧) من سورة التكوير .

(٤) تفسير القرطبي (١ / ١٣٨) .

(٥) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

(٦) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٧) الآية (١٩) من سورة الأنعام .

فالشاهد من الآية هو قوله تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ فلفظ من فى قوله ﴿ وَمَن بَلَغَ ﴾ من صيغ العموم ، فالآية نص فى عموم رسالة النبي ﷺ .

ومعنى الآية أن الله يأمر رسوله ﷺ أن يقول لقومه إن الله أوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة ، أو يا معشر العرب ومن بلغه هذا القرآن سواء كان عربيا أو عجميا وسواء كان موجودًا الآن ، أم سيأتي بعد إلى أن تقوم الساعة ، وهذا هو الذى ذكره أهل التفسير عند هذه الآية[١] .

هـ ـ الآيات التي ورد فيها خطاب الجن : ومنها

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[٢] إلى آخر الآيات التي نزلت فى شأن دعوة الجن إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ وسميت هذه السورة بسورة الجن .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣]

والآيات نزلت فى جن نصيبين[٤] عندما سمعوا القرآن ، فآمن به من آمن منهم ثم ولوا إلى قومهم منذرين ، ثم أتوا إلى النبي ﷺ فبايعوه على الإسلام

---

(١) انظر على سبيل المثال ، تفسير الطبري (٧ / ١٦٢ ، ١٦٣) وتفسير ابن كثير (٢ / ١٢٦) .

(٢) الآيتان (١ ، ٢) من سورة الجن .

(٣) الآيات (٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١) من سورة الأحقاف .

(٤) مدينة تقع فى تركيا بالقرب من الحدود السورية . أطلس العالم (ص ٥٢) .

بشعب معروف بمكة ، والأحاديث بذلك كثيرة مشهورة فى الصحيح والسنن والمسند وكتب التفسير والفقه وغيرها(١) .

وكذلك فإن سورة الرحمن هى خطاب للثقلين الإنس والجن معا .

و ـ الآيات التي وردت فى دعوة أهل الكتاب :

ومنها : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٢) .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

وبالجملة فإن فى القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام(٤) .

○○○○

---

(١) كتاب النبوات لابن تيمية (ص ٣٩٦) .

(٢) الآية (٢٠) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (١٩) من سورة المائدة .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١١٢) .

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على عموم رسالته

الأدلة على عموم رسالته ﷺ وعالميتها كثيرة جدًا فى السنة النبوية سواء من الناحية القولية أو الناحية العملية وسنعرض هنا لكلتا الناحيتين بإذن اللّٰه .

أ ـ السنة القولية :

١ ـ عن أبي الدرداء[1] رضي اللّٰه عنه قال : « كانت بين أبي بكر[2] وعمر محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عنه عمر مغضبا ، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل ، حتى أغلق بابه فى وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول اللّٰه ﷺ ، فقال أبو الدرداء ونحن عنده : فقال رسول اللّٰه ﷺ : « أما صاحبكم هذا فقد غامر »[3] .

قال : وندم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ ، وقص على رسول اللّٰه ﷺ الخبر قال أبو الدرداء : وغضب رسول اللّٰه ﷺ ، وجعل أبو بكر يقول : واللّٰه يارسول اللّٰه ، لأنا كنت أظلم .

---

(١) واسم أبي الدرداء كما قيل عويمر بن عامر ، ولعل كنيته هي اسمه ، أنصاري أسلم يوم بدر وشهد المشاهد بعدها ، وكان أحد الحكماء العلماء الفضلاء توفى فى عهد عثمان .
الاستيعاب (٤ / ٥٩ ـ ٦٠) .

(٢) واسمه عبد اللّٰه بن عثمان بن عامر : ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر ، صحب النبي ﷺ سنين قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طوال إقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى الغار وفى المشاهد كلها إلى أن مات ، وولى الخلافة من بعده فكان أول الخلفاء الراشدين ، ومناقبه كثيرة رضي الله عنه توفي سنة ١٣ هـ الإصابة (٢ / ٣٣٣ ـ ٣٣٦) ت رقم ٤٨١٧

(٣) غامر : أى خاصم غيره ، ومعناه : دخل فى غمرة الخصومة ، وهى معظمها والمغامر الذى يرمي بنفسه فى الأمور المهلكة . النهاية : (٣ / ٣٨٤) .

فقال رسول اللّه ﷺ : « هل أنتم تاركوا لى صاحبي هل أنتم تاركوا لي صاحبى ؟ إني قلت يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعا ، فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت »[١] .

٢ ـ وعن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »[٢] .

٣ ـ وعن أبى هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون »[٣]

٤ ـ وعن أبى ذر[٤] رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أوتيت

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعا ﴾ . انظر : فتح الباري (٨ / ٣٠٣) ح ٤٦٤٠ ، وأخرجه أيضا في كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا » . انظر : فتح الباري (٧ / ١٨) ح ٣٦٦١

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب التيمم واللفظ له . انظر فتح الباري (١ / ٤٣٥ ـ ٤٣٦) ح ٣٣٥ ـ وكذلك ٤٣٨ ـ ٣١٢٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد (٢ / ٦٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد (٢ / ٦٤) .

(٤) أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب ابن جنادة بن السكن ، وكان من السابقين إلى الإسلام ، توفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها . الإصابة (٤ / ٦٣ ـ ٦٥) ت رقم ٣٨٤

خسمًا لم يؤتهن نبي قبلي ، نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي ، وبعثت إلى الأحمر والأسود »[١] .

٥ ـ وعن أبى هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار »[٢] .

وذكر اليهود والنصارى تنبيهًا على من سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى[٣] .

٦ ـ وعن أبى موسى الأشعري رضي اللّٰه عنه عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : « من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بي دخل النار »[٤].

ب ـ السنة العملية :

إن المتأمل في سيرته ودعوته ﷺ يعلم حرصه ﷺ على نشر الرسالة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٤٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (رجاله رجال الصحيح) (٨ / ٢٥٩) وأخرجه أيضا من طرق أخر عن ابن عباس (١ / ٢٥٠) وأبى أمامة (٥ / ٢٤٨) .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٩) (رجال أحمد ـ أي في هذا الحديث ـ ثقات) وجد عمرو بن شعيب (٢ / ٢٢٢) .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٧) (رجاله ثقات) وقال أحمد شاكر (إسناده صحيح) (١٣ / ١٦) ـ المسند بتحقيقه .

(٢) تقدم تخريجه . انظر (ص ٧١) .

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ١٨٨) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٩٦ ـ ٣٩٨) .

وإبلاغها لجميع المكلفين ، فقد دعا ﷺ الإنس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ، سواء كانوا أهل كتاب أم ليسوا بأهل كتاب ، كما دعا الجن كذلك فآمن له من آمن منهم وبايعوه على الإسلام .

ولقد صدع النبي ﷺ بعالمية الرسالة وعمومها فى أوائل دعوته عندما انتقل من المرحلة السرية فى الدعوة إلى المرحلة الجهرية حيث قال ﷺ بعد أن حمد الله :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها للجنة أبدًا أو النار أبدًا »[١] .

وإن المتأمل للآيات القرآنية التي نصت على عموم رسالته وعالميتها يجد أن جلها كان مكي النزول ، وهذا يؤكد أن عالمية الرسالة مقررة منذ بداية الوحي .

ومن المعلوم أن طريقة الدعوة كانت تتبع أسلوب التدرج فى التبليغ وهذا التدرج لم يكن ينافي شمول الدعوة لكل المكلفين ، لأن المرحلية كانت ضرورية لدعوته ﷺ ، ولقد دلت السيرة النبوية أن النبي ﷺ اتبع أسلوب التدرج فى إبلاغ الرسالة ، فأول ما بدأ به هو الدعوة السرية لهذا الدين فآمن له من آمن .

ثم انتقلَ إلى الدعوة الجهرية ونهج فيها كذلك أسلوب التدرج فبدأ بأهل مكة عندما نزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٢] فدعاهم ﷺ إلى الإسلام .

ثم بعد ذلك أخذ رسول الله ﷺ يدعو الناس فى مجامعهم وأسواقهم ويبلغهم دعوة الله .

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢ / ٦١) .

(٢) الآية (٢١٤) من سورة الشعراء .

ثم ذهب إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام ولكنهم لم يجيبوه لذلك ، ثم عاد الى مكة وأخذ يعرض دعوته على القبائل فى الموسم إلى أن التقى بالخزرج وهم من أهل المدينة وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأسلم النجاشي من قبلهم وكان على النصرانية .

ومن هنا كانت بداية المرحلة الجديدة فى الدعوة فبعد تمكن الإسلام بالمدينة ، هاجر النبي ﷺ إليها فاتسع بذلك نطاق الدعوة حتى شمل أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بالمدينة حواليها حينئذ ، كما تنوعت كذلك أساليب الدعوة إلى هذا الدين فشرع الجهاد فى سبيل الله واتسعت رقعة الدعوة فشملت قبائل العرب ومن كان فى جزيرة العرب من أهل الكتاب كيهود المدينة وخيبر ونصارى نجران واليمن وغيرهم ، واستمر التدرج إلى أن كان عام الحديبية ومهادنة قريش فأرسل النبي ﷺ فى ذلك الوقت إلى جميع الطوائف يدعوهم إلى الإسلام .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى[١] .

ثم جاءت بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى حيث بدأ النبي ﷺ بغزو النصارى فأرسل جيشًا بقيادة زيد بن حارثة فقاتلوا النصارى بمؤتة من أرض الكرك[٢] ثم غزاهم بنفسه وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه ولم يأذن بالتخلف لأحد ، وغزا فى عشرة آلاف فى غزوة تبوك وأقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل (٥ / ١٦٦) .

(٢) تقع حاليا في الأردن .

عربهم وعجمهم ، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه .

ثم بعد ذلك جهز جيشا بقيادة أسامة بن زيد[١] ولكنه ﷺ لحق بالرفيق الأعلى قبل أن يخرج الجيش ، فأوصى وهو فى سكرات الموت بإرسال هذا الجيش فقال : « أنفذوا بعث أسامة » .

ولقد سار أصحابه رضوان الله عليهم من بعده على نهجه واستنوا بسنته حتى فتح الله عليهم بلاد فارس والروم وغيرها فانتشر الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجًا .

والشاهد من هذا كله أن سيرته ﷺ هى مثال تطبيقي عملي على شمول دعوته وعالمية رسالته التي من أجلها كرس النبي ﷺ حياته لكى ينشرها ويبلغها للناس كافة ، لتقوم بذلك الحجة على الناس أجمعين .

وما ذكرته ههنا ليس إلا إشارات سريعة فمن أراد الاستزادة فعليه بكتب الحديث والسيرة ففيها الغنية بإذن الله .

o o o o

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة ، الحب بن الحب ، ولد فى الإسلام ، صحابي جليل ، توفي سنة أربع وخمسين هجرية . الإصابة (١ / ٤٦) .

المطلب الثالث

دليل الاجماع على عموم رسالته

إن الإجماع منعقد من أئمة المسلمين وعامتهم على أن محمدًا ﷺ أرسل إلى جميع الأمم ـ أهل الكتاب وغير أهل الكتاب[١] ـ فإن الذي يدين به المسلمون هو أن محمدًا ﷺ بعث رسولًا إلى الثقلين الإنس والجن ، أهل الكتاب وغيرهم ، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب اللّٰه ، مستحق للجهاد ، وهو مما أجمع أهل الإيمان باللّٰه ورسوله عليه ، لأن الرسول ﷺ هو الذى جاء بذلك وذكره اللّٰه فى كتابه ، وبينه النبي أيضا فى سنته .

وهذا الإجماع تواترت فى نقله كتب أهل العلم وهو منقول عندهم نقلًا متواترًا يعلمونه بالضرورة . وكتب التوحيد والسنة مليئة بهذا .

وبما تقدم إيراده من الأدلة والنصوص يعلم ثبوت عموم رسالته وشمولها كما يعلم كذلك انتفاء كل دعوى تخالف هذا الأمر أو تطعن فيه كدعوى أنه رسول للعرب خاصة ، أو دعوى أن رسالته ليست ناسخة لما قبلها من الرسالات وأنه يسع الناس التدين بما جاء قبله من الرسالات .

فنصوص القرآن والسنة والاجماع ترد هذه الدعاوى وتفندها وتبطلها .

وبالنسبة إلى ما تعلق به أصحاب هذه الأقوال من شبه ظنوها أدلة لهم ، فإنما مردها إلى سوء فهمهم وجهلهم بمعانى النصوص التي أوردوها وكما قيل :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[٢]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١٢٤) .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي (ص ٢٣٢) .

ولا يتسع المجال هنا لأيراد تلك الشبه وتفنيدها[1] كما أن معرفة الحق تغنى وكما قيل : بضدها تتميز الأشياء .

وإن الواجب على كل مسلم اعتقاد عموم رسالته وشموليتها وعالميتها لجميع المكلفين وإنه لا يسع أحدًا الخروج عنها أو أن يدين للّه بغيرها .

كما أنه لا يسع المسلم أن يجهل مثل هذا الأمر لأنه من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، ومن الواجب عليه كذلك أن يرد على كل من يطعن فى هذا الأمر أو يشكك فيه سواء ممن ينتسبون إلى الإسلام أو من غيرهم . وبالخصوص أننا أصبحنا فى زمان ظهرت فيه الدعوة إلى وحدة الأديان وتقاربها بدعوى أنها جميعا تدعو إلى عبادة إله واحد وأن مصدرها واحد إلى غير ذلك من الأمور التي يروج لها أصحاب هذه الدعوة والتي لا تنطلى إلا على ساذج لا يعي الأمور الضرورية من دينه .

o o o o

(١) لمزيد من التفصيل فى هذا الموضوع : انظر كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١٢٨) وما بعدها .

المبحث الرابع

وجوب الإيمان بانه ﷺ خاتم النبيين

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : معنى ختم النبوة .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ معنى الختم فى اللغة .

ب ـ معنى ختم النبوة .

المطلب الثانى : الأدلة من القرآن على ختم النبوة .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ آية ختم النبوة .

ب ـ الآيات الدالة ضمنًا على ختم النبوة .

المطلب الثالث : الأدلة من السنة على ختم النبوة .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ الأحاديث التي ورد فيها التصريح بأنه ﷺ خاتم النبيين .

ب ـ الأحاديث التي ورد فيها ضربه ﷺ الأمثال لختم النبوة .

ج ـ الأحاديث التي ورد فيها تصريحه ﷺ بانقطاع النبوة وأنه لا نبي بعده .

د ـ الأحاديث التي ورد فيها تحذيره ﷺ من المتنبئين بعده .

هـ ـ الحديث الذى ورد فيه التصريح بأنه آخر الأنبياء وأن مسجده آخر المساجد وأن أمته آخر الأمم .

و ـ دلالة بعض أسمائه ﷺ على كونه خاتم الأنبياء .

المطلب الرابع : ما ورد عن الصحابة رضوان اللّه عليهم فى تأكيد ختم النبوة . ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ روايتهم للأحاديث الواردة فى هذا الشأن .

ب ـ إجماع الصحابة على قتال المتنبئين .

ج ـ ما ورد من الأقوال المأثورة عنهم والتي تضمنت التأكيد على ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد وفاة الرسول ﷺ .

المطلب الخامس : إجماع الأمة .

○ ○ ○ ○

تمهيد

من الخصائص التي خص الله بها رسوله ﷺ ورسالته جعله خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الرسالات ، فانفرد ﷺ بهذا الأمر وبغيره عن إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فأصبح ختم النبوة من خصائصه ﷺ .

ولذا فان من حقه ﷺ على كل من يؤمن به ، أن يعتقد بهذا الأمر ويؤمن به لثبوته بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة ، بل هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر المسلم بجهلها ولمزيد من البيان لهذه الخاصية والحق الواجب له ﷺ ، سوف أتحدث فى هذا المبحث عن الجوانب التالية :

● ● ● ●

المطلب الأول

معنى ختم النبوة

أ ـ معنى الختم في اللغة :

الختم في اللغة ورد لعدة معان هي :

١ ـ الطبع :

قال صاحب المحكم : « ختمه ، يختمه ، ختمًا : طبعه »[١]

وقد ذكر هذا صاحب اللسان[٢] والقاموس المحيط[٣] .

وفي تاج العروس : « معنى ختم وطبع واحد في اللغة »[٤] .

٢ ـ تغطية الشيئ والاستيثاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء:

قال صاحب المحكم : « والختم على القلب ألا يفهم شيئًا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع . ومعنى ختم وطبع في اللغة واحد ، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال عز وجل : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٥]. [٦]

وذكر هذا صاحب اللسان[٧] وصاحب تاج العروس[٨] .

---

(١) المحكم لابن سيده (٥ / ٢٦) بتحقيق إبراهيم الأبياري .

(٢) لسان العرب (١٢ / ١٦٣) .

(٣) القاموس المحيط (٢ / ١٥) بترتيب الزاوي .

(٤) تاريخ العروس للزبيدى (٨ / ٢٦٦) .

(٥) الآية (٢٤) من سورة محمد .

(٦) المحكم (٥ / ٢٦) .

(٧) لسان العرب (١٢ / ١٦٣) .

(٨) تاج العروس (٨ / ٢٦٦) .

٣ ـ آخر الشيء ونهايته :

قال صاحب المحكم : « وختم الشيء يختمه ختمًا بلغ آخره ، وخاتم كل شيء : عاقبته وآخرته ، وختام كل مشروب آخره ، وفى التنزيل ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾[١] أي آخِرُه ، وختام القوم وخاتمهم آخرهم ... وفى التنزيل ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾[٢] أي آخرهم »[٣].

وقال صاحب المفردات فى معرض كلامه عن الصور التي يرد بها لفظ الختم : « وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل : ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره ... إلى أن قال : « وخاتم النبيين لأنه ختم النبوة ، أى تممها بمجيئه ﷺ »[٤].

وقال صاحب القاموس : « والخاتم من كل شيء : عاقبته وآخرته ، وآخر القوم كالخاتم »[٥] .

« هذه هي المعاني اللغوية لفعل « الختم » واسم فاعله « خاتم » كما أوردها أعلام اللغة فى مصنفاتهم عن العرب ، وهي مع تعددها وتعدد ألفاظها المعبرة عنها والتي هي : الطبع على الشيء وإنهاؤه وتغطيته وآخر القوم وعاقبة الأمر ، هي مع ذلك كله تتمشى مع دلالة قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ على أن النبوة قد طبع عليها فلا تفتح ، وأنها قد انتهت وسدت بمحمد ﷺ ، وأنه آخر الأنبياء وشرعه آخر

(١) الآية (٢٦) من سورة المطففين .
(٢) الآية (٤٠) من سورة الأحزاب .
(٣) المحكم (٥ / ٢٦) .
(٤) المفردات (ص ١٤٢ ـ ١٤٣) .
(٥) القاموس (٢ / ١٥) بترتيب الزاوى .

الشرائع وعاقبتها »[١] .

ب ـ معنى ختم النبوة :

تقدم معرفة معنى الختم فى اللغة ، وتقدم أيضا معرفة معنى النبوة فى المبحث الثانى من هذا الفصل .

« فإذا ما ركبا فى جملة واحدة هي « ختم النبوة » فإنه يكون معناها « إنتهاء إنباء اللّٰه للناس وانقطاع وحي السماء »[٢] .

○○○○

(١) كتاب عقيدة ختم النبوة للدكتور أحمد بن سعد الغامدي (ص ١٣)

(٢) المصدر السابق (ص ١٦) .

المطلب الثاني

الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة

أ ـ آية الختم :

قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ .

والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد ﷺ وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثا فلا نبى بعده ولا رسول .

وقد سبق الربط بين دلالة الآية والمعنى اللغوي لكلمة ختم .

وتتميمًا للفائدة سأعرض بعض ما ذكره علماء التفسير عند تفسير هذه الآية .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : « يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة[1] ولا أبا أحد من رجالكم ، الذين لم يلده محمد ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذى ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد من بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء »[2].

وقال ابن كثير رحمه الله : « فهذه الآية نص فى أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فكل رسول نبي ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة

---

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبى ، تبناه النبي ﷺ وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت الآية (ادعوهم لآبائهم) شهد بدرًا وما بعدها واستشهد فى غزوة مؤتة.الإصابة (١ / ٥٤٥ ـ ٥٤٦) .

(٢) تفسير الطبري (٢٢ / ١٦) .

عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ... إلى أن قال : فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد ﷺ ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له .

وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله ﷺ فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبى بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل »[١] .

وأقوال المفسرين عموما متفقة على أن المراد من الآية هو ختم النبوة وأن رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء مبعثًا ، ولم ينقل عن أحد من أهل التفسير خلاف ذلك .

وقد تعرض أهل التفسير للقراءات الواردة فى قوله « خاتم » من هذه الآية فذكروا أن فيها قراءتين .

الأولى : قراءة الكسر « خاتِم » .

وهى الأشهر عند أهل اللغة والتفسير الذين أجمعوا أن قراءة الكسر هى قراءة الجمهور وعامة قراء الأمصار[٢]وعلى هذه القراءة « وخاتِم النبيين » يكون المعنى أنه : « ختم النبيين » لأنه ختم به النبيون فهو خاتمهم .

الثانية : قراءة الفتح « خاتَم »

وهى الأقل استعمالا بين القراء ولهذا فان المفسرين لا يعزونها إلا إلى أفراد القراء كعاصم[١] وابن عامر[٢] وغيرهما .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٩٤) .

(٢) تفسير الطبري (٢٢ / ١٦) وتفسير البغوي (٦ / ٥٦٥) وتفسير القرطبي (١٤ / ١٩٦) .

فعلى هذه القراءة « وخاتَم النبيين » يكون المعنى أى آخر النبيين مبعثا فبه انتهت النبوة .

وبالرغم من ورود القرائتين فى الآية إلا أن المفسرين لا يرون أن فى ذلك تأثيرًا على المعنى وهو انقطاع النبوة بعد نبينا محمد ﷺ .

ب ـ الآيات الدالة ضمنًا على ختم النبوة :

فى القرآن الكريم آيات كثيرة دلت ضمنا على ختم النبوة والرسالة بنبينا محمد ﷺ .

ومن هذه الآيات آيات عموم الرسالة وعالميتها والتي تقدم ذكرها فى المبحث الثالث ، حيث إن عموم الرسالة من الناحيتين الزمانية والمكانية يدل على كونها خاتمة الرسالات ، لأن البشرية على هذا الحال لا تحتاج إلى دين جديد مادام هذا الدين قد خاطبهم جميعا على اختلاف أجناسهم وأماكنهم وأزمانهم .

ومن الأدلة كذلك الإخبار بإكمال هذا الدين وإتمامه :

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[٣] .

فالآية تؤكد أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها ، لأن اللّٰه سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله ﷺ ، ثم رضيه له

---

(١) عاصم بن أبي النجود الضرير الكوفي ، أحد القراء السبعة ، توفي سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (٥ / ٣٨ ـ ٤٠) .

(٢) عبد اللّٰه بن عامر اليحصبي ، أحد القراء السبعة ، كان قاضي دمشق في أيام الوليد بن عبد الملك وإمام مسجد دمشق وتوفي بها سنة ثماني عشرة ومائة . تهذيب التهذيب (٥ / ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

(٣) الآية (٣) من سورة المائدة .

ربها ، لأن اللّٰه سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله ﷺ ، ثم رضيه له ولأمته دينًا يعبدون اللّٰه به إلى يوم القيامة[١] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : « هذه أكبر نعم اللّٰه تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، ولهذا جعله اللّٰه تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن ... »[٢]

ο ο ο ο

---

(١) كتاب عقيدة ختم النبوة (ص ٢٧ ـ ٢٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ١٢) .

المطلب الثالث

الأدلة من السنة على ختم النبوة

إلى جانب ما ورد في القرآن من أدلة على كون النبي ﷺ خاتم النبيين ورسالته هى خاتمة الرسالات ، فقد ورد فى السنة كذلك أحاديث كثيرة أكدت هذا الأمر وبينته ونبهت عليه .

وقد وردت هذه الأحاديث بعبارات متعددة متنوعة لكنها جميعا أكدت على مدلول واحد ، هو انقطاع الوحي بعد النبي ﷺ وختم النبوة به . وقد بلغ بعض هذه الأحاديث حد التواتر ، كما أنها فى جملتها متواترة تواترا قطعيا .

ونظرا لتنوع ألفاظ تلك الاحاديث واختلاف صورها فى الدلالة على هذا المعنى وتأكيده ، فإن من المناسب أن أعرضها لك على النحو التالى :

أ ـ الأحاديث التي ورد فيها التصريح بأنه ﷺ خاتم النبيين ، ومنها :

١ ـ عن أبى هريرة رضي اللّه عنه قال : « أُتي رسول اللّه ﷺ بلحم ، فرفع إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس[١] منها نهسة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مما ذلك ؟ » ثم ذكر ﷺ يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه ﷺ ، فذكر ﷺ أنهم يقولون : « أنت رسول اللّه ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، تشفع لنا إلى ربك ... » الحديث[٢] .

(١) النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، والنهش الأخذ بجميعها . النهاية (٥ / ١٣٦) .
(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التفسير ، باب (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا) . انظر فتح الباري (٨ / ٣٩٥ ، ٣٩٦) ح ٤٧١٢ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى الجنة منزلة فيها (١ / ١٢٧) .

٢ ـ عن ثوبان[(١)] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوِي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض[(٢)] وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة ، ولا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[(٣)] وإن ربي قال لي يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، ولا أهلكهم بسنة بعامة ، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها ، أو قال بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضًا ، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق » .

قال ابن عيسى : « ظاهرين » ثم اتفقا » لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »[(٤)] .

---

(١) ثوبان مولى رسول الله صحابي مشهور اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ فخدمه إلى أن مات . ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ، ومات بها سنة ٥٤ هـ . الإصابة (١ / ٢٠٥) ت رقم ٩٦٧

(٢) أي الذهب والفضة . النهاية (١ / ٤٣٨) .

(٣) أي مجتمعهم ، وموضع سلطانهم ، ومستقر دعوتهم . النهاية (١ / ١٧٢) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في السنن ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤ / ٤٥٠ ، ٤٥٢) ح ٤٢٥٢ وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٢٧٨) وابن ماجة في السنن ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن (٢ / ١٣٠٤) . وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه إلى قوله « يسبي بعضهم بعضا » كتاب الفتن ، باب هلاك هذه الأمة (٨ / ١٧١) . =

والشاهد من هذا الحديث هو قوله : « وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » فهذا نص فى كونه ﷺ هو خاتم الأنبياء .

٣ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أنا قائد المرسلين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر »[1] .

ب ـ الأحاديث التي ورد فيها ضربه ﷺ الأمثال لختم النبوة ومنها :

١ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها ، إلّا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة » متفق عليه[2] وعند مسلم بزيادة لفظ : « فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » .

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟

= وكذلك أخرج مسلم آخره من قول « لا تزال طائفة من أمتي .... » كتاب الإمارة باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... الخ » (٦ / ٥٢) ، وأخرج الترمذي في السنن بعضه من قوله « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى « إلى قوله » لا نبي بعدي » كتاب الفتن ، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤ / ٤٩٨ ، ٤٩٩) ح ٢٢١٨ ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

(١) أخرجه الدارمى في السنن (١ / ٢٧) وقد اعتبره صاحب المشكاة من قسم الحسان وارتضاه الألباني المحقق (٣ / ١٢٨) .

(٢) البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب خاتم النبيين ﷺ . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٥٨) ح ٣٥٣٤ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل : باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٧ / ٦٥)

قال : « فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[١] .

ج ـ الأحاديث التي ورد فيها تصريحه ﷺ بانقطاع النبوة وأنه لا نبي بعده : ومنها

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون ... » الحديث[٢] .

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كشف رسول الله ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له »[٣] .

٣ ـ وعن سعد بن أبي وقاص[٤] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا[٥] فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ واللفظ له . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٥٨) ح ٣٥٣٥ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٧ / ٦٤) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٦٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٢ / ٤٨) .

(٤) سعد بن أبي وقاص واسم أبيه مالك بن أهيب وكان سابع من أسلم ، وقد شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، وأحد العشرة ، وكان مجاب الدعوة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله توفي سنة ٥٤ هـ . الإصابة (٢ / ٣٠ ـ ٣٢) ت رقم ٣١٩٤

(٥) علي بن أبي طالب ولد قبل البعثة بعشر سنين تربى في حجر النبي ﷺ وشهد معه المشاهد كلها ماعدا غزوة تبوك ، حيث استخلفه النبي على المدينة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين ومناقبه كثيرة ، قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم عام ٤٠ هـ .
الإصابة (٢ / ٥٠١ ـ ٥٠٣) ت رقم ٥٦٩٠

قال : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبى بعدى »[١] .

د ـ الأحاديث التي ورد فيها تحذيره ﷺ من المتنبئين بعده ومنها :

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ... »[٢] .

٢ ـ عن جابر بن سمرة[٣] رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم »[٤]

هـ ـ الحديث الذى ورد فيه التصريح بأنه آخر الأنبياء وأن مسجده آخر المساجد وأن أمته آخر الأمم .

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « صلاة فى مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، فإن

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ، انظر فتح الباري (٨ / ١١٢) ح ٤٤١٦ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبى طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، واللفظ له .انظر : فتح الباري (١٣ / ٨١ ، ٨٢) ح ٧١٢١ ، وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٨ / ١٧٠)

(٣) جابر بن سمرة بن جنادة العامري له ولأبيه صحبة ، وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص ، توفي سنة ٧٤ هـ . الإصابة (١ / ٢١٣) ت رقم ١٠١٨

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الناس تبعا لقريش (٦ / ٤) .

رسول الله ﷺ آخر الأنبياء وان مسجده آخر المساجد ... »

قال عبد الله بن إبراهيم قارظ[١] أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد »[٢] .

و ـ دلالة بعض أسمائه ﷺ على كونه خاتم الأنبياء :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذى يمحى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي[٣] »

والأحاديث فى مسألة ختم النبوة كثيرة لا يتسع المقام هنا لإيرادها جميعها ، وقد جمع هذه الأحاديث صاحب كتاب « عقيدة ختم النبوة » فمن أراد الزيادة فليرجع إليه[٤] .

o o o o

(١) ويقال إبراهيم بن عبد الله بن قارظ الكناني وهما واحد ، روى عن جابر بن عبد الله وأبي هريرة وغيرهم ، ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب (١ / ١٣٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٤ / ١٢٤ ، ١٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٥٤) ح ٣٥٣٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ ، واللفظ له (٧ / ٨٩) .

(٤) وهي رسالة ماجستير مطبوعة .

المطلب الرابع

ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم فى تاكيد عقيدة ختم النبوة

لقد كان موقف الصحابة رضوان الله عليهم تجاه هذا الأمر متمثلا فى الأمور التالية

أ ـ روايتهم للأحاديث الواردة عن النبي ﷺ فى هذا الشأن والتي بلغت حد التواتر على تنوع عبارات تلك الأحاديث واختلاف المناسبات التي قيلت فيها ، وهذا مما يدل على اعتقادهم لهذا الأمر وحرصهم على إبلاغة لهذه الأمة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه خالف هذا الأمر ، ولو كانت هناك أدنى شبهة عن أحد منهم لنقلت لنا « وقد بلغ عدد الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الختم سبعة وثلاثين صحابيًا »[١]

ب ـ إجماع الصحابة على قتال المتنبئين بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فلقد سير أبو بكر رضي الله عنه الجيوش ـ والتي كان معظم جندها من الصحابة رضوان الله عليهم ـ وذلك لقتال مسيلمة الكذاب[٢] وطليحة الأسدى[٣] اللذين ادعيا النبوة .

---

(١) عقيدة ختم النبوة (ص ٥٥) .

(٢) هو : مسيلمة بن ثمامة بن كبير الكذاب ، ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ ، وذلك في أواخر سنة عشر وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته ، فلما انتظم الأمر لأبي بكر رضي الله عنه ، انتدب له خالد بن الوليد على رأس جيش قوي فقتل مسيلمة الكذاب . البداية (٥ / ٤٩ ـ ٥٢ ، ٦ / ٣٢٣ ـ ٣٢٧) والأعلام (٧ / ٢٢٦)

(٣) طليحة بن خويلد الأسدي ، قدم على النبي ﷺ في وفد من بنى أسد سنة ٩ هـ ، وأسلموا ، ولما رجعوا ارتد طليحة ، وادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ . سير إليه أبو بكر خالد بن الوليد ، فانهزم طليحة وفر إلى الشام ثم أسلم وحسن بلاؤه في الفتوح ، واستشهد في نهاوند سنة ٢١ هـ . الإصابة (٢ / ٢٢٦) ت رقم ٤٢٩٠ ، والأعلام (٣ / ٢٣٠) .

ج ـ ما ورد من الأقوال المأثورة عنهم والتي تضمنت التأكيد على ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد وفاة الرسول ﷺ ، ومن تلك الأقوال : ما رُوي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي فى عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ... »[1] .

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ .

قال فى تفسيرها : « إن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولدًا ذكرًا يصير رجلًا ... »[2] .

وعن ابن أبي أوفى[3] رضي الله عنه لما سئل عن إبراهيم ولد النبي ﷺ قال : « مات صغيرا ، ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه ولكن لا نبي بعده »[4] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « كان إبراهيم ـ يعنى ابن النبى ﷺ ـ قد ملأ الأرض ، ولو بقي لكان نبيا ولكن لم يبق إلا نبيكم آخر الأنبياء »[5] .

---

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب الشهداء العدول .
انظر : فتح الباري (٥ / ٢٥١) ح ٢٦٤١

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٦ / ٥٦٥) .

(٣) هو : عبد الله بن أبي أوفى واسمه علقمة بن خالد الأسلمي ﷺ له ولأبيه صحبة ، شهد الحديبية ، وروى أحاديث شهيرة نزل الكوفة ، ومات بها سنة ثمانين . الإصابة (٢ / ٢٧١) ت رقم ٤٥٥٥

(٤) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من سمى بأسماء الأنبياء .
انظر : فتح الباري (١٠ / ٥٧٧) .

(٥) أخرجه أحمد فى المسند (٣ / ١٣٣) .

المطلب الخامس

إجماع الأمة

تلقت الأمة النصوص الواردة فى الكتاب والسنة بشأن ختم النبوة بالقبول التام فحصل بهذا إجماعها على كون النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي ولا رسول بعده ، ورسالته هى خاتمة الرسالات وآخرها .

وقد نقل هذا الاجماع غير واحد من العلماء ، اذكر على سبيل المثال قول بعض منهم :

قال ابن عطية[(١)] فى معرض كلامه على آية الختم : « وهذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاةعلى العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده ﷺ »[(٢)] .

وقال القاضي عياض[(٣)] : « أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده ، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين ، وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره ، وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص »[(٤)] .

---

(١) واسمه عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي مفسر فقيه ، عارف بالأحكام والحديث ، توفي سنة ٥٤١ هـ .
طبقات المفسرين للداودي (١ / ٢٦٥) والأعلام (٣ / ٢٨٢) .

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ١٩٦) .

(٣) عياض بن موسى بن عياض البستي ، أبو الفضل : عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، توفي عام ٥٤٤ هـ . الأعلام (٤ / ٩٩) .

(٤) الشفا (٢ / ١٠٧١) .

قال الألوسى[١]: « وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصدعت به السنة ، وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر[٢] » .

ولقد تكلم علماء الأمة على تقرير هذه المسألة وأقوالهم محفوظة فى ذلك ، فإن شئت فارجع إلى كتب التفسير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾

وارجع كذلك إلى كتب العقيدة فقل أن يخلو كتاب من الحديث فى هذا الأمر وتقريره بما ورد في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ومن بعدهم من علماء الأمة .

وبما تقدم من أدلة على تقرير ختم النبوة فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله أن يؤمن بهذا الأمر ويعتقده .

○ ○ ○ ○

---

(١) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، مفسر محدث ، أديب وهو صاحب كتاب روح المعاني ، توفي سنة ١٢٧٠ هـ الأعلام (٧ / ١٧٦) .

(٢) روح المعاني (٢٢ / ٣٢ ، ٣٩) .

المبحث الخامس

وجوب الإيمان بأن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها

من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن أكمل لهم دينهم فلا ينقصه أبدًا ، ولا يحتاج إلى زيادة أبدًا ، واقترن هذا الإكمال برضاه سبحانه بأن يكون هذا الدين الكامل دينا نتعبده به ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

وهذه الآية دليل على كمال الدين وحيًا من الله ، وتبليغًا من رسوله ﷺ ، ولقد نزلت هذه الآية الكريمة والنبى ﷺ واقف بعرفات فى حجة الوداع ، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة .

وهى شهادة من الله تعالى لنبيه ﷺ على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله وبذلك جعله الله خاتم النبيين ، لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم ﷺ ليكمل لهم دينهم ، كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر وذلك لكمال دينهم .

ووجه الدلالة من الآية على ذلك « أن الله أخبر فى هذه الآية بأنه قد أكمل الدين ، وإنما كمل بما بلغه ، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه ، فعلم من ذلك أنه ﷺ قد بلغ جميع الدين الذى شرعه الله لعباده »[1] .

وما كان من النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة إلا أن استشهد الناس على ذلك فى نفس المناسبة التي نزلت فيها الآية .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تركت

---

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٥ ، ١٥٦) بتصرف .

فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ، كتاب اللّٰه ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس « اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ... » الحديث[١] .

فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته رضوان اللّٰه عليهم وكانوا فى ذلك الموقف نحوًا من أربعين ألفا[٢] .

ولقد أمر اللّٰه تبارك وتعالى رسوله ﷺ فى مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن يبلغ أمور هذا الدين البلاغ المبين الواضح فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ﴾[٦] .

وهذا الأمر والحث من اللّٰه لرسوله ﷺ على البلاغ لشرع اللّٰه والدين الذى أوحاه إليه نابع من كون الرسول ﷺ هو الطريق الوحيد الذي يعرف بواسطته ما شرعه من دين يدين العباد له به ، فليس ثمت طريق آخر إلى معرفة شرع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (٤ / ٤١) .
(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٧٧) .
(٣) الآية (٦٧) من سورة المائدة .
(٤) الآية (٨٢) من سورة النحل .
(٥) الآية (٥٤) من سورة النور . و الآية (١٨) من سورة العنكبوت .
(٦) الآية (٤٨) من سورة الشورى .

الله وأوامره ونواهيه إلا طريقه ﷺ فهو المبلغ عن الله تعالى ، وهذه هي سنة الله في خلقه حيث جعل طريق معرفته وعبادته عن طريق من أرسله من الرسل « فلا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل ، كما أنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث والحلال من الحرام إلا من جهتهم ، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير »[1]وبهذا وبغيره نلمس عظم الحاجة إلى تبليغ الرسل .

ومما لا شك فيه أن الرسول ﷺ أعظم الأنبياء بلاغًا فقد كان ﷺ حريصا على هداية أمته ، وقد قال تعالى في حقه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وسيرته ﷺ كلها دليل على مدى حرصه على إبلاغ رسالة ربه والتفاني في إبلاغها دون أن تأخذه في الله لومة لائم . وهو ﷺ أحق الناس بالوصف الوارد في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[3] « فقد امتدح الله تبارك وتعالى في هذه الآية الذين يبلغون رسالته إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ولا يخافون أحدًا سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد

(١) زاد المعاد ، لابن القيم (١ / ٦٩) .

(٢) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٣٩) من سورة الأحزاب .

إبلاغ رسالات اللّٰه ، وسيد الناس فى هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول اللّٰه ﷺ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب وإلى جميع أنواع بنى آدم ، وأظهر اللّٰه كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع »[١].

ولقد أيد اللّٰه تبارك وتعالى رسوله محمدًا ﷺ بكل ما يلزم لتبليغ وحي اللّٰه وشرعه ، فأعطاه العصمة فى التبليغ فقال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٢] فهذه الآية دليل واضح على عصمته ﷺ فى كل أمر بلغه عن ربه تبارك وتعالى ، كما أنها شهادة وتزكية من اللّٰه تبارك وتعالى لنبيه ﷺ على سلامة شرعه الذي أوحاه إليه من كل ما ينقص منه .

وقال ﷺ : « إذا حدثتكم عن اللّٰه شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على اللّٰه »[٣].

وبالإضافة إلى عصمته فى أمر التبليغ فقد عصمه اللّٰه كذلك من الناس حتى يتم له أمر إبلاغ هذا الدين وإكماله قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فاقترن تعهد اللّٰه بعصمة رسوله من قتل الناس وإيذائهم له مع الأمر للنبي ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه ، وفى هذا الاقتران دليل جلي على أن عصمة اللّٰه تعالى وحفظه ونصره وتأييده على أعدائه قد صاحبت النبي ﷺ حتى تم له إبلاغ هذا الدين ونشره بين الناس .

ومع عصمة اللّٰه لنبيه فى التبليغ ، وعصمته من الناس ، فكذلك عصم اللّٰه كتابه الذي أنزله إليه ليكون محفوظا من كل تحريف أو تغيير قال تعالى : ﴿ إِنَّا

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٩٢) بتصرف .

(٢) الآيتان (٣ ، ٤) من سورة النجم .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا (٧ / ٩٥) .

نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١] .

كما تعهد كذلك بحفظ هذا الدين وإبقاء طائفة في كل زمان من الأزمنة تنصر هذا الدين وتحفظه وتبلغه ، كما جاء عن النبي ﷺ ، وفى الحديث « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله »[٢].

وفى هذه الأمور ضمان لاستمرار هذا الدين وإبلاغه لكل أهل زمان ، لأنه شامل لكل الناس فى كل وقت إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

وقد أخبر ﷺ فى مواطن متعددة بأنه قد أبلغ أمور الرسالة وأوضحها لأمته ، وهو ﷺ الصادق المصدوق ومن ذلك قوله ﷺ : « قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك »[٣]وهذا هو الحق فقد بلغ وحي ربه وصدع بأمره ، ونهض بأعباء الرسالة كما أراد الله منه ، فأدى الأمانة ونصح لأمته وجاهد فى الله حق جهاده ، وما ترك لأمته من شيء يقربهم إلى الجنة إلا وقد دلهم عليه ورغبهم فيه ، ولا من شيء يبعدهم عن النار إلا وقد حذرهم به وحذرهم منه ، وبين لهم كل ما فيه صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم فهذه هى مهمته ورسالته ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وقد أتم عليه الصلاة والسلام ما أوكل إليه على أتم وجه وأكمله فأبان الطريق ودل على

---

(١) الآية (٩) من سورة الحجر .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ... » (٦ / ٥٢ ، ٥٣) .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٤ / ١٢٦) واللفظ له ، وابن أبي عاصم فى السنة (١ / ٢٧) ح ٤٩ . وابن ماجة فى السنن ، المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١ / ١٦) ح ٤٣ ، والحاكم فى المستدرك (١ / ٩٦) وقال الألباني فى ظلال الجنة فى تخريج السنة (١ / ٢٧٠) . « حديث صحيح »

صراط الله المستقيم وترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

ولقد شهد الصحابة رضوان الله عليهم بهذا.فهم الذين كان النبي ﷺ بين ظهرانيهم ، وكانوا ملازمين له في كل أحواله وحركاته فهم أعلم بما كان . وسأورد بعض ما ورد عنهم في هذا الشأن .

فقد سئل سلمان الفارسي[1]رضي الله عنه ، فقيل له أقد أعلمكم نبيكم ﷺ كل شئ حتى الخراءة ؟

فقال : « أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجى برجيع[2]أو بعظم »[3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : « لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا »[4].

وعن عائشة[5]رضي الله عنها قالت : « من حدثك أن محمدًا كتم شيئًا مما

---

(١) سلمان أبو عبد الله الفارسي أصله من رام هرمز وقيل من أصبهان سمع بالنبي ﷺ قبل مبعثه فتغرب بحثًا عنه وتسبب ذلك إلى وقوعه في الرق ومنَّ الله عليه بالإسلام . أول مشاهده الخندق ، وكان رضي الله عنه خيرًا فاضلًا حبرًا عالمًا زاهدًا ، توفي عام ٣٥ هـ .
الإصابة (٢ / ٦٠ ، ٦١) ت رقم ٣٣٥٧

(٢) الرجيع : القذرة والروث ، سمي رجيعًا لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعامًا أو علفًا . النهاية (٢ / ٢٠٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب الاستطابة (١ / ١٥٤) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٥٣) .

(٥) هي الصديقة أم المؤمنين واسمها عائشة بنت أبي بكر الصديق ولدت بعد البعثة بأربع سنوات أو خمس وتزوجها النبي ﷺ وهي بنت تسع وكانت رضي الله عنها من أعلم الصحابة وأفقههم ، وكانت أحب نساء النبي ﷺ ، توفيت عام ٥٨ هـ . الإصابة (٤ / ٣٤٨ - ٣٥٠) ت رقم ٧٠٤ .

أنزل الله عليه فقد كذب ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[١].

وفى رواية « من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه ، إن الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « لو كتم رسول الله ﷺ شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾[٣] [٤].

فمن حقه ﷺ على أمته أن يقروا له بفضله وصدقه وأمانته فى تبليغ رسالة ربه التي إئتمنه عليها ، وكلفه أن يقوم بها . فلا يكون إيمان للمرء إذا لم يقر للرسول ﷺ بأنه قد بلغ الرسالة أعظم ما يكلون التبليغ ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام واحتمل فى سبيلها أشق ما يحتمله البشر . ومن أنكر شيئا من ذلك أو شك فى صدقه فهو كافر مارق عن الإسلام مكذب لله ولرسوله .

o o o o

---

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ﴾ ، انظر : فتح الباري (٨ / ٢٧٥) ح ٤٦١٢

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ انظر : فتح الباري (١٣ / ٥٠٣) ح ٧٥٣١

(٣) الآية (٣٧) من سورة الأحزاب .

(٤) أخرجه الطبري فى تفسيره (٢٢ / ١٣) .

المبحث السادس

وجوب الإيمان بعصمته ﷺ

● ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف العصمة .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ المعنى اللغوي .

ب ـ المعنى الشرعي .

المطلب الثاني : الجوانب التي عصم فيها النبي ﷺ .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ العصمة في التبليغ ودعوى الرسالة .

ب ـ العصمة من الكفر والشرك .

ج ـ العصمة من الكذب في غير الوحي والتبليغ .

د ـ العصمة من الكبائر التي دون الشرك .

المطلب الثالث : مسألة وقوع الخطأ منه ﷺ .

○ ○ ○ ○

تمهيد

تقدم فى المبحث السابق الحديث عن وجوب الإيمان بأن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها ، وأشرت إلى أن هذا البلاغ قد اقترن بعصمة اللّه لنبيه ﷺ فى كل ما يبلغه عن ربه عز وجل .

ولقد رأيت أن أفرد هذا المبحث فى الحديث عن عصمته ﷺ فى هذا الجانب وفى الجوانب الأخرى التي عصم فيها باعتبار أن أمر الإيمان بعصمته من الأمور الداخلة فى الحقوق الواجبة له والتي يجب على الأمة الإيمان له بها .

وقد ضمنت هذا المبحث ثلاثة مطالب :

O O O O

المطلب الأول

تعريف العصمة

أ ـ المعنى اللغوي :

العصمة وردت في اللغة لعدة معان منها :

١ ـ المنع :

قال صاحب اللسان : « العصمة في كلام العرب : المنع ، وعصمة الله عبده : أن يعصمه مما يوبقه . عَصَمه ، يَعْصِمه ، عَصْمًا : منعه ووقاه »[١] .

٢ ـ الحفظ :

قال صاحب اللسان : « والعصمة الحفظ ، يقال : عصمته فانعصم ، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية »[٢]

٣ ـ القلادة :

قال صاحب اللسان : « العصمة القلادة »[٣] .

وكذا في القاموس المحيط[٤] .

٤ ـ الحبل :

قال الزجّاج[٥] : « أصل العصمة : الحبل وكل ما أمسك شيئًا فقد

(١) لسان العرب (١٢ / ٤٠٣) مادة عصم .

(٢) لسان العرب (١٢ / ٤٠٤) .

(٣) المصدر السابق (١٢ / ٤٠٥) .

(٤) ٤ / ١٥٢ ، ١٥٣) .

(٥) الزجّاج ـ بفتح الزاي والجيم المشددة ـ أبو اسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي =

عصمه »[١] .

٥ ـ السبب :

قال الطبرى : « وللسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته : عاصم ومنه قول الشاعر :

إلى المرء قيس أطيل السرى وآخذ من كل حي عصم[٢]

يعنى بالعصم : الأسباب ، أسباب الذمة والأمان »[٣] .

قلت : إذا أمعنت النظر فى هذه المعاني وجدتها جميعًا ترجع إلى المعنى الأول الذي هو (المنع) فالحفظ منع للشيء من الوقوع في المكروه أو المحظور ، والقلادة تمنع سقوط الخرز منها . والحبل يمنع من السقوط والتردي ، والسبب يمنع صاحبه عما يكره .

المعنى الشرعي :

أما عصمة النبي ﷺ فقد عرفت بعدة تعريفات ولعل من أحسنها وأسلمها ما ذكره صاحب كتاب نسيم الرياض بأنها « لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء »[٤] .

ο ο ο ο

= كان عالما أديبًا دينًا صنف كتابًا في معاني القرآن ، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما ، توفي في بغداد سنة ٣١١ هـ . وفيات الأعيان (١ / ٣٢) .

(١) لسان العرب (١٢ / ٤٠٥) .

(٢) ديوان الأعشى (ص ٣٧) بشرح الدكتور محمد حسين .

(٣) تفسير الطبري (٤ / ٢٦) .

(٤) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض (٤ / ٣٩) .

المطلب الثاني

الجوانب التي عصم فيها النبي ﷺ

أ ـ العصمة فى التبليغ ودعوى الرسالة :

وهذه العصمة هي التي عليها المناط ؛ فبها يحصل المقصود من البعثة فتبليغ شرع الله إلى الخلق هي مهمة الرسل من أولهم إلى آخرهم فهم الواسطة بين الله وبين خلقه الذين أرسلوا إليهم ، فبطريقهم يهتدي البشر ويرشدون إلى دين الله إذ هم المبلغون عن الله أمره ونهيه وشرعه .

ولذلك فقد أوجب الله العصمة لأنبيائه ورسله في هذا الجانب حتى تصل الرسالة إلى العباد كاملة تامة غير منقوصة ولا محرفة ، وبذلك تقوم الحجة على العباد .

ولقد دلت نصوص القرآن والسنة على عصمة نبينا محمد ﷺ فى هذا الجانب ، وانعقد إجماع الأمة على ذلك .

فمن القرآن

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

فالآية نص فى عصمة لسانه ﷺ من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملًا موفورًا من غير زيادة ولا نقصان .

وهذه الآية شهادة وتزكية من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ فى كل ما بلغه للناس من شرع الله .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ

لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[١] .

فالآيات نصت على أن اللّٰه سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه .

ولو كان محمد ﷺ من هذا الجنس كما يزعم الكافرون فيما حكاه اللّٰه عنهم ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[٢] ـ وحاشاه ﷺ من ذلك ـ لأنزل اللّٰه به من العقوبة ما ذكره في هذه الآيات ، وحيث إن الرسول ﷺ لم يقع له شيء من ذلك فلم يهلكه اللّٰه ولم يعذبه ، فهو على هذا لم يتقول على اللّٰه ما لم يقله ولم يفتر شيئا من عند نفسه ، وبهذا تثبت عصمته في كل ما بلغه عن ربه عز وجل .

قال ابن كثير بعد أن فسر هذه الآيات : « والمعنى في هذا بل هو صادق راشد لأن اللّٰه عز وجل مقر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات »[٣] .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[٤] .

وهذه الآيات دالة على عصمة اللّٰه وتثبيته لنبيه ﷺ في تبليغ ما أوحى إليه ، ومعناها مقارب لمعنى الآيات التي ذكرناها قبلها « فقد أخبر تعالى عن تأييده

(١) الآيات (٤٤ إلى ٤٧) من سورة الحاقة .
(٢) الآية (٢٤) من سورة الشورى .
(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٤١٧) .
(٤) الآيات (٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥) من سورة الاسراء .

لرسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره ، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها »[١] .

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها :

١ ـ حديث طلحة بن عبيد الله[٢] وجاء فيه قوله ﷺ :

« ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله »[٣] والحديث نص على عصمته ﷺ من الكذب فيما يخبر به عن الله .

٢ ـ حديث عبد الله بن عمرو[٤] رضي الله عنهما قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق »[٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٣) .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي أبو محمد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين للإسلام ، توفي سنة ست وثلاثين من الهجرة . الإصابة (٢ / ٢٢٠ ، ٢٢٢) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٢٢) .

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه وكان رضي الله عنه فاضلا ، حافظًا عالمًا ، توفي بالشام سنة ٦٥ هـ وقيل غير ذلك . الإصابة (٢ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ١٦٢ ، ١٩٢) ، وأبو داود في سننه ، كتاب العلم ، باب في كتاب العلم (٤ / ٦٠) ح ٣٦٤٦ ، والحاكم في المستدرك (١ / ١٠٤ ، ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي .

٣ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إني لا أقول إلا حقًّا » قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يارسول الله . قال : « إني لا أقول إلا حقا »[١] .

دليل الإجماع :

نقل غير واحد من العلماء إجماع الأمة واتفاقها على عصمته ﷺ فى تبليغ ما أوحى إليه من ربه عز وجل .

قال القاضي عياض : « وأجمعت الأ... ...ن طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به ، لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا »[٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه ، وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه » ... « والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين »[٣] .

ب العصمة من الكفر والشرك :

الحديث عن عصمته ﷺ فى هذا الجانب ذو شقين هما :

الأول : عصمته قبل مبعثه ﷺ .

الثاني : عصمته بعد مبعثه ﷺ .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٤٠ ، ٣٦٠) . والترمذي في سننه ، كتاب البر والصلاة ، باب ما جاء في المزاح ٤ / ٣٥٧ ح ١٩٩٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح

(٢) الشفا (٢ / ٧٤٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٨٩ ، ٢٩٠) .

أما الشق الأول : وهو عصمته من الشرك والكفر قبل بعثته ونزول الوحي إليه ﷺ فقد دلت النصوص الثابتة على أن النبي ﷺ معصوم منذ نشأته من الكفر والشرك فلم يعهد عنه ﷺ أنه سجد لصنم أو استلمه أو إلى غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه . فقد فطره اللّٰه على معرفته والاتجاه إليه وحده وهذا هو المعلوم من سيرته . فمن النصوص التي يستدل بها على هذا الأمر ما يلى :

* حديث أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره[1]- فقالوا : إن محمدًا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره »[2].

فالحديث نص على إخراج جبريل لحظ الشيطان منه ﷺ وتطهيره لقلبه فلا يقدر الشيطان على إغوائه إذ لا سبيل له عليه . وهذا دليل على تنزيهه من الشرك منذ صغره ﷺ .

* وعن زيد بن حارثة رضي اللّٰه عنه قال : كان صنم من نحاس يقال له اساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول اللّٰه ﷺ فطفت معه ، فلما مررت مسحت به ، فقال رسول اللّٰه ﷺ لا تمسه . فقال زيد : فطفت فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يكون فمسحته ،

(١) أي مرضعته .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول اللّٰه ﷺ (١ / ١٠١ ، ١٠٢) .

فقال رسول اللّه ﷺ : ألم تنه ؟

قال زيد : فوالذى هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنمًا حتى أكرمه اللّه بالذى أكرمه وأنزل عليه »[١] .

وهذا الحديث نص فى بعده ﷺ عن عبادة الأوثان التي كان عليها أهل مكة فنهيه لزيد ، الذى كان ابنه بالتبني فى ذلك الحين ـ يؤكد نفرته ﷺ من تلك الأوثان التي كان يعكف عليها أهل مكة .

ولقد كان النبي ﷺ لا يحضر مع أهل مكة ما يقيمونه من أعياد لأصنامهم فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : حدثتني أم أيمن[٢] قالت : كان بيوانة صنم يحضره قريش يومًا فى السنة ، وكان أبو طالب[٣] يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول اللّه ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن عليه يؤمئذ أشد الغضب وجعلن يقلن : إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وجعلن يقلن يا محمد : ما تريد أن تحضر لقومك عيدًا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء اللّه ثم رجع إلينا مرعوبًا فزعًا فقلن عماته : ما دهاك ؟ قال :

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣ / ٢١٦ ـ ٢١٧) وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ١٤٥) . وأخرجه البيهقي فى دلائل النبوة (٢ / ٣٤) بتحقيق عبد المعطي قلعجي . وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية (٢ / ٢٨٨) . وأورده السيوطي فى الخصائص الكبرى (١ / ١٥١ ، ١٥٢) .

(٢) أم أيمن مولاة النبي ﷺ وحاضنته واسمها بركة بنت ثعلبة ، وهى أم أسامة بن زيد بن حارثة . الإصابة (٤ / ٤١٥ ، ٤١٦) .

(٣) أبو طالب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ شقيق أبيه كفل النبي ﷺ وذب عنه ونصره بعد بعثته ولم يمت على الإسلام . الإصابة (٤ / ١١٥ ، ١١٨) .

« إني أخشى أن يكون بي لمم » فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت ؟ قال : « إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه » فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبئ[١] .

كما عصم ﷺ من الحلف بأسماء تلك الأصنام التي كان يعبدها قومه ويحلفون بها تعظيمًا لها فقد جاء فى قصة بحير الراهب[٢] أنه استحلف النبي ﷺ باللات والعزى حينما لقيه بالشام فى سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي لما رأى فيه علامات النبوة فقال بحيرا للنبي ﷺ : يا غلام أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه .

فقال له النبي ﷺ : « لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت بغضهما شيئًا قط »[٣] .

والنصوص فى مثل هذا كثيرة وقد عنى بجمعها من ألف فى دلائل النبوة مثل الحافظ أبي نعيم الأصبهانى[٤] فقد عقد فصلا فى كتابه دلائل النبوة بعنوان

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٤) . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٥١) وعزاه إلى ابن سعد وأبي نعيم وابن عساكر .

(٢) راهب من رهبان النصارى يقال إنه كان من عبد القيس وكان اسمه : جرجيس . البداية (٢ / ٢٨٦) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٢٥ - ١٢٨) ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٢٦ ، ٢٧) بتحقيق عبد المعطي قلعجي . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٤٢ ، ١٤٤) وعزاه للبيهقي .

(٤) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني وأبو نعيم . حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية ، ولد ومات بأصبهان عام ٤٣٠ هـ من مؤلفاته : حلية الأولياء ودلائل النبوة ، والأعلام (١ / ١٥٧) .

« ذكر ما خصه الله عز وجل به من العصمة وحماه من التدين بدين الجاهلية ... » وقد أورد تحت هذا العنوان العديد من الأحاديث والشواهد فى هذا الشأن[١] .

وكذلك فعل البيهقي[٢] فى دلائل النبوة أيضا فعقد عنوانا لهذا الموضوع فقال : « باب ما جاء فى حفظ الله تعالى رسوله ﷺ فى شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها ، لما يريده به من كرامته برسالته حتى يبعث رسولًا »[٣] .

ومثلهما السيوطي فى الخصائص الكبرى[٤] حيث قال : « باب اختصاصه ﷺ بحفظ الله إياه فى شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية »[٥] .

الإجماع :

نقل الجرجاني[٦] إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعد حيث قال : « وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم فى ذلك »[٧] .

---

(١) انظر (ص ١٤٣ - ١٤٧) .

(٢) أحمد بن الحسين البيهقي ، صاحب التصانيف المشهورة ومنها : السنن الكبرى ، وشعب الإيمان ، ودلائل النبوة ، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفى سنة ٤٥٨ هـ .
تذكرة الحفاظ (٣ / ١١٣٢) والأعلام (١ / ١١٦) .

(٣) انظر (٢ / ٣٠ ، ٤٢) .

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حافظ مؤرخ أديب له نحو (٦٠٠ مصنف) ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ . الأعلام (٣ / ٣٠١ - ٣٠٢) .

(٥) انظر : (١ / ١٤٨ ، ١٥٢) .

(٦) هو : علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٨١٦ هـ له كتاب التعريفات ، وشرح المواقف وغيرهما . الأعلام (٥ / ٧) .

(٧) شرح المواقف (ص ١٣٤) .

وهذا هو الحق فاللّٰه سبحانه وتعالى قد نزه نبيه ﷺ عن الكفر والشرك وعصمه من الوقوع فيهما وذلك داخل فى باب إعداده لتحمل الرسالة ، ومثل ذلك صيانة اللّٰه لنسبه الذى تناسل منه فعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال : قال رسول اللّٰه ﷺ « لم يلتق أبواي على سفاح لم يزل اللّٰه ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبًا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما »[1] .

وكل ذلك حتى لا يبقى لمنتقص حجة يتعلق بها لتنفير الناس من رسول اللّٰه ﷺ فمن المعلوم أن كفار قريش كانوا حريصين أشد الحرص على تجريح النبي ﷺ ووصفه بما ينقص من قدره ويحط من شأنه لتنفير الناس منه وصدهم عن دعوته فلقد رموه واتهموه بالسحر والجنون وغير ذلك من النقائص ولكن لم يكن الشرك والكفر من ضمن ما رموه به فسكوتهم عن ذلك دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل ، وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة كما حكى اللّٰه ذلك عنهم فى قوله تعالى : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾[2] .

وبهذا يتبين أن النبي ﷺ لم يكن على دين قومه من عبادة الأصنام وتعظيمها ، فقد عصمه اللّٰه من ذلك فلم يجعل لكفار قريش طريقًا عليه فلذلك لجؤوا إلى تلفيق التهم الباطلة المتناقضة كاتهامه بالسحر تارة وبالجنون تارة وبالكهانة تارة أخرى .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ٢٤) من عدة طرق والحديث له شواهد متعددة أوردها السيوطي فى الخصائص الكبرى (١ / ٦٣ ، ٦٦) .

(٢) الآية (١٤٢) من سورة البقرة .

وإذا كان الله قد عصم نبيه ﷺ فيما هو دون الشرك من الأمور المنكرة التي كان عليها أهل الجاهلية ففي ذلك دليل على أن عصمته من أمور الشرك من باب أولى .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه : يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة ، قال فحله فجعله على منكبه فسقط مغشيا عليه فما رؤي بعد ذلك عريانًا ﷺ[1] .

إزالة ما يوهم عدم إيمان نبينا وضلاله قبل بعثته :

وردت بعض النصوص التي قد يتوهم منها البعض أن رسول الله ﷺ كان على كفر وضلال قبل بعثته ، وسوف أعرض لهذه النصوص وأبين التوجيه الصحيح لها بما يبين الحق ويصحح الفهم ويزيل ما يقع من الوهم إن شاء الله .

أ ـ فمن تلك النصوص قول الله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ ﴾[2] .

فقد يتوهم البعض أن هذه الآية تعني انتفاء معرفة النبي للإيمان بالكلية قبل بعثته بمعنى أنه لم يكن مؤمنا .

والجواب على ذلك أن هذا الفهم خاطئ لأن الإيمان في قوله (ولا الإيمان) مصدر بمعنى المفعول فيكون المعنى المراد : أي ما يجب الإيمان به من الفرائض

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها . انظر فتح الباري (١ / ٤٧٤) ح ٣٦٤ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة (١ / ١٨٤) .

(٢) الآية (٥٢) من سورة الشورى .

والأحكام الشرعية التي كلف بها علمًا وعملًا ، فالمنفي هو الإيمان التفصيلي لا الإجمالي .

فقد كان النبي ﷺ قبل نزول الوحي إليه مبغضًا للشرك وعبادة الأصنام ومتجها إلى الله وحده كما سبق الإستدلال على ذلك ، فلما نزلت عليه الفرائض والأحكام الشرعية التي لم يكن يدري بها قبل الوحي آمن بها وطبقها .

فهذا هو المعنى الصحيح للآية ، كما ذكر ذلك علماء التفسير عند تفسيرها قال ابن كثير : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » على التفصيل الذي شرع لك في القرآن »[1] .

وقال الشوكاني[2] ومعنى (ولا الإيمان) أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها[3] .

ب ـ ومن النصوص كذلك قول الله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾[4] فقد يتوهم البعض أن الآية تعني أن نبينا كان على ضلال قبل مبعثه وهذا فهم خاطئ وباطل ترده النصوص التي سبق إيرادها والتي نصت على أن النبي ﷺ كان من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصومًا من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان .

وقد أشار إلى بطلان هذا الفهم القرطبي عند تفسيره لهذه الآية حيث قال :

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٢٢) .

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فقيه مجتهد ، من كبار علماء اليمن له (١١٤ مؤلفا) ولد سنة ١١٧٣ هـ وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ . الأعلام : (٦ / ٢٩٨) .

(٣) فتح القدير (٤ / ٥٣٠) .

(٤) الآية (٧) من سورة الضحى .

« فأما الشرك فلا يظن به »[١] .

وأما المعنى الصحيح لهذه الآية فقد أشار العلماء إلى عدة معان صحيحة لهذه الآية تشترك جميعها في تنزيه النبي ﷺ عن أن ينسب إليه شيء من الشرك أو الكفر قبل بعثته ، ومن تلك المعاني ما يلي :

١ـ أن يفسر الضلال هنا بمعنى الغفلة كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[٢]، وكما في قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ ﴾[٣] والمعنى أنه وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة[٤] .

٢ـ وقال بعضهم معنى (ضالا) لم تكن تدرى ما القرآن والشرائع فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام ، وهو بمعنى قوله تعالى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) وعلى هذا التفسير يكون المعنى : أي وجدك ضالاً عن شريعتك التي أوحاها إليك لا تعرفها قبل الوحي إليك ، فهداك إليها[٥] .

٣ـ وقال بعضهم معنى الآية أى وجدك فى قوم ضلال فهداهم الله بك[٦] .

٤ـ وقال بعضهم الضلال بمعنى الطلب أي وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها[٧] كما فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[٨] .

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٩) .

(٢) الآية (٥٢) من سورة طه .

(٣) الآية (٣) من سورة يوسف .

(٤) تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٦) وفتح القدير (٥ / ٤٥٨) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٥ / ٥٢٣) وتفسير القرطبي (٢٠ / ٩٦ ، ٩٧) وفتح القدير (٥ / ٤٥٨) .

(٦ ، ٧) انظر : تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٧) وفتح القدير (٥ / ٤٥٨) .

(٨) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

ولقد أورد العلماء عددًا من المعاني لهذه الآية منها ما هو معنوي ومنها ما هو حسي وهي معان كلها حسان[١] .

ج ـ ومن النصوص كذلك قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ ﴾[٢] .

فليس المقصود بالغفلة هنا الشرك والغواية إنما المقصود منها الغفلة عن قصة يوسف مع أبيه وإخوته كما يوضح ذلك سياق الآية . فهذه القصة وأمثالها لا تعلم إلا من الوحي فلهذا لا يلحقه نقص بسببها .

وهذا هو ما ذكره علماء التفسير عند هذه الآية .

قال القرطبي : أي من الغافلين عما عرفناكه[٣] . وقال الشوكاني : والمعنى أنك من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عن هذه القصة[٤] .

د ـ ومن تلك النصوص ما رواه عثمان بن أبي شيبة(٥) بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه « أن النبي ﷺ قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم ، فسمع ملكين من خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلفه ، فقال الآخر : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام ، فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم »[٥] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٧) بتصرف .

(٢) الآية (٣) من سورة يوسف .

(٣) تفسير القرطبي (٩ / ١٢٠) .

(٤) فتح القدير (٣ / ٤) .

(٥) هو : عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي ، من حفاظ الحديث ، وله من المصنفات : المسند ، والتفسير ، ولد سنة ١٥٦ هـ وتوفي سنة ٢٣٩ هـ . تاريخ بغداد (١١ / ٣٨٢) .

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤ / ١٤٤٧) والخطيب في تاريخ بغداد (١١ / ٢٨٦) =

والمنكر من هذا الحديث قوله عن الملك (عهده باستلام الأصنام) والجواب عن هذا الحديث ذو شقين هما :

أولا : الكلام على سند الحديث :

تكلم العلماء على سند الحديث وأوردوا عللًا منها :

١- أن عثمان بن أبي شيبة لم يتابع عليه[(١)] .

ولكن الذهبى[(٢)]أجاب عن هذا بقوله (عثمان لا يحتاج إلى متابع ولا ينكر له أن ينفرد بأحاديث لسعة ما روى ، وقد يغلط ، وقد اعتمده الشيخان فى صحيحيهما ... »[(٣)] .

٢- قال الدارقطنى[(٤)]: يقال إن عثمان بن أبى شيبة وهم فى إسناده ، وغيره يرويه عن جرير[(٥)]عن سفيان بن عبد اللّه[(٦)] بن محمد بن زياد بن جدير مرسلًا

= وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، والعقيلى في الضعفاء ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١ / ١٦٦) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٣٥) . وأورده الذهبي في الميزان (٣ / ٣٥) وأورده ابن حجر في لسان الميزان (٣ / ٥٣) وأورده ابن كثير في التاريخ (٢ / ٢٨٨) وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٥٢) .

(١) العلل المتناهية لابن الجوزي (١ / ١٦٧) .

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، حافظ ، مؤرخ ، علامة محقق له تصانيف كثيرة كبيرة تقارب المئة ، منها : سير أعلام النبلاء ، وتذكرة الحفاظ وغيرها ، ولد سنة ٦٧٣ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ . الأعلام (٥ / ٣٢٦) .

(٣) ميزان الاعتدال (٣ / ٣٥) .

(٤) علي بن عمر الدارقطني الشافعي إمام عصره في الحديث ، لد سنة ٣٠٦هـ وتوفي سنة ٣٨٥ هـ وله كتاب « السنن » و « العلل » . الأعلام (٤ / ٣١٤) .

(٥) جرير بن عبد الحميد الظبي نزيل الري وقاضيها ثقة صحيح الكتاب مات سنة ثمان وثمانين ومائة . تهذيب التهذيب (٢ / ٧٥) .

(٦) سفيان بن عبد اللّه بن زياد بن جدير « مجهول » . لسان الميزان (٣ / ٥٣) .

وهو الصواب[١] .

ومن كلام الدارقطنى يتبين لنا علتان :

أ ـ أن الحديث مرسل وليس متصلًا .

ب ـ جعله لسفيان الثوري[٢] مكان سفيان بن عبد اللّٰه وهذا وهم فى السند فسفيان بن عبد اللّٰه مجهول ، وأما الثوري فهو ثقة[٣] .

٣ـ أن فى سند حديث عثمان بن أبي شيبة ، عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل[٤] وهو ضعيف عند القوم[٥] .

وبهذا يتبين ضعف إسناد الحديث .

ثانيا : الكلام على متن الحديث :

بالإضافة إلى ضعف هذا الحديث الذي لا تقوم به حجة . فإن ظاهر اللفظ وهو قوله « إنما عهده باستلام الأصنام » يخالف ما عرف عن النبي ﷺ من أنه لم يكن على شيء مما كان عليه أهل مكة من الشرك ، وذلك منذ ولادته إلى أن بعثه اللّٰه رسولًا نبيًا إليهم ليدعوهم إلى عبادة اللّٰه وحده ، لا شريك له ، وترك ما يعبد من دونه .

ولقد سبق إيراد الأدلة على ذلك فليرجع إليها .

---

(١) العلل المتناهية (١ / ١٦٧) .

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ثقة حافظ ، فقيه ، عابد ، إمام ، حجة ، مات سنة إحدى وستين ومائة . تهذيب التهذيب (٤ / ١١١) .

(٣) لسان الميزان (٣ / ٥٣) بتصرف .

(٤) عبد اللّٰه محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي ، كان فاضلًا خيرًا موصوفًا بالعبادة ، ولكن لم يكن متقنا في الحديث فضعفوه . تهذيب التهذيب (٦ / ١٣ ـ ١٦) .

(٥) العلل المتناهية (١ / ١٦٧) .

وقد ذكر بعض العلماء : أن ظاهر الحديث ليس مرادًا ، فليس المقصود أنه باشر الاستلام ، وإنما المقصود أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم[١].

الشق الثاني : عصمته ﷺ من الكفر والشرك بعد النبوة :

بعث اللّه تعالى نبيه محمدًا ﷺ ليدعو الناس إلى عبادة اللّه وحده وترك ما هم فيه من الكفر والشرك .

ولقد كان ﷺ فى تطبيق ما أمر به هو المثل الأعلى الذى يحتذى به . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢] .

فهو منزه عن كل ضلال وغواية كما أخبر اللّه بذلك فى كتابه العزيز ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[٣] فهذه شهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ولا غاو ، بل هو صلوات اللّه وسلامه عليه فى غاية من الإستقامة والاعتدال والسداد والهداية .

وإجماع الأمة منعقد على ذلك قال الرازي[٤] : « واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة »[٥] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ففى الجملة كل ما يقدح فى نبوتهم

---

(١) ميزان الاعتدال (٣ / ٣٥) وتاريخ بغداد (١١ / ٢٨٦) .

(٢) الآيتان (١٦٢ ، ١٦٣) من سورة الأنعام .

(٣) الآية (٢) من سورة النجم .

(٤) هو محمد بن عمر الرازي الملقب بالفخر الرازي ، ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ . الأعلام (٤ / ٣١٣) .

(٥) عصمة الأنبياء (ص ١٨) .

وتبليغهم عن الله تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه »[١].

وقال الآمدي[٢]: « فما كان منها كفرًا فلا نعرف خلافًا بين أهل الشرائع في عصمتهم عنه »[٣].

ولم يخالف هذا الإجماع إلا من لا يعتد بخلافهم[٤].

والمعلوم من خلال سيرته ﷺ أنه كان حربا على الكفر والشرك على

(١) منهاج السنة النبوية (١ / ١٣٠).

(٢) علي بن محمد بن سالم التغلبي أبو الحسن سيف الدين الآمدي أصولي باحث ، ولد سنة ٥٥١ هـ وتوفي سنة ٦٣١ هـ ، من أشهر مؤلفاته : الإحكام في أصول الأحكام . الأعلام (٤ / ٣٣٢).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١ / ١٢٨).

(٤) الذين خالفوا في هذه المسألة هم :

أ ـ الأزارقة : وهم فرقة من فرق الخوارج وقد نقل عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته . انظر الإحكام في أصول الأحكام (١ / ١٢٨) والمواقف للإيجي (٣٥٨ ، ٣٥٩)

ب ـ والفضيلية : وهم من فرق الخوارج ويقولون بجواز الكفر على الأنبياء من جهة كونهم يعتقدون جواز صدور الذنوب عن الأنبياء وكل ذنب هو كفر ـ على حسب اعتقادهم ـ فمن هذا الباب جوزوا صدور الكفر عنهم .

انظر : عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨) والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١ / ١٢٨).

ج ـ الرافضة : فقد جوزوا على الأنبياء إظهار الكفر على سبيل التقية عند خوف الهلاك ، بل نقل عنهم أنهم أوجبوه .

ويعللون ذلك بقولهم : إن إظهار الإسلام إن كان مفضيا إلى القتل كان إلقاء للنفس في التهلكة ، وإلقاء النفس في التهلكة حرام لقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ الآية ١٩٥ من سورة البقرة ، وإذا كان إظهار الإسلام حرامًا كان إظهار الكفر واجبًا .

انظر : عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨).

د ـ ذكر ابن حزم في كتابه الفصل (٤ / ٢) « أنه رأى في كتاب أبي جعفر السمناني قاضي الموصل صاحب الباقلاني أنه كان يقول : كل ذنب دق أو جل فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب في التبليغ فقط ، قال : وجائز عليهم أن يكفروا ».

اختلاف صوره وألوانه ، فلم يدع طريقا أو سبيلا لهدم الشرك والكفر إلا وقد سلكه مستخدمًا فى ذلك لسانه وسنانه ، وهذا كله يؤكد عصمته ﷺ من الكفر والشرك وهذا أمر مشتهر وأعظم من أن يحتاج إلى دليل يؤكده .

ج ـ عصمته ﷺ من الكذب فى غير الوحي والتبليغ .

من المعروف عن سيرته ﷺ قبل البعثة وبعدها أنه متصف بكل خلق فاضل من صدق وأمانة وبر وصلة رحم وإحسان وجود إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته ، وحري به ﷺ أن يكون كذلك فقد اختاره الله لحمل الأمانة العظمى التي هى أداء الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة ، فكان لابد من إعداده لهذه المهمة ، ولذا فقد فطره الله على كل خلق فاضل كريم وقد جمع الله له خصال الخير كلها ، فلم يكن يدعى إلا بالأمين ، ومن الأدلة التي يستدل بها على اتصافه بالصدق قبل بعثته ما يلى :

١ ـ قول خديجة بنت خويلد[١] رضي الله عنها حينما أتاها النبي ﷺ خائفا بعد أن لقيه جبريل فى غار حراء وقال لها : « إني قد خشيت على نفسي » فقالت له : « كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، فوالله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق »[٢] .

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثه مطلقًا ، توفيت بعد خروج بني هاشم من الشعب .
الإصابة (٤ / ٢٧٣ ـ ٢٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التفسير .
انظر : فتح الباري (٨ / ٧١٥) ح ٤٩٥٣

٢ـ إجماع قريش على الإقرار بصدقه حينما جمعها ليصدع بالدعوة جهرًا فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب[٢] وقريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي .

قالوا : ما جربنا عليك إلا صدقا .

قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ... » الحديث[٣]

فالشاهد من الحديث قولهم « ما جربنا عليك إلا صدقا » فالنبى ﷺ انتزع منهم هذه الشهادة الجماعية بصدقه وانتفاء الكذب عنه ، لعلمه بما قد سيقع من تكذيبهم له عند إخبارهم بأمر الرسالة .

٣ ـ على تكذيب قريش للنبي ﷺ فى دعوة النبوة إلا أن أحدًا منهم لم يجرؤ على وصفه بالكذب فى سواها فقد قال أبو جهل[٤] للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب الذى جئت به[٥] فأنزل الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا

---

(١) الآية (٢١٤) من سورة الشعراء .

(٢) اسمه عبدالعزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وهو أحد أعمام الرسول ﷺ ، كان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ولدينه . تفسير ابن كثير (٤ / ٥٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير ، باب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ انظر : فتح الباري (١٨ / ٥٠١) ح ٤٧٧٠ ، واللفظ له .

(٤) اسمه عمرو بن هشام ، وكان من أشد الناس عداوة للنبى ﷺ قتل يوم بدر . ابن الأثير (١ / ٢٣ ـ ٤٧) .

(٥) انظر : تفسير الطبري (٧ / ١٨٢) .

يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[١] .

وكذلك عندما سأل الأخنس بن شريق[٢] أبا جهل بعد ما خلا به يوم بدر فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك ، والله إن محمدًا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش[٣] ؟ .

٤ ـ ومما يستدل به كذلك جواب أبي سفيان[٤] لهرقل[٥] عندما سأله عن النبي ﷺ ، عندما أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ هادن فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فكان مما سأله عنه : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

فقال أبو سفيان : لا

فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله[٦] .

---

(١) الآية (٣٣) من سورة الأنعام .

(٢) الأخنس بن شريق الثقفي ، كان من المؤلفة ، وشهد حنينا ، ومات في أول خلافة عمر .
الإصابة (١ / ٣٩ ـ ٤٠) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧ / ١٨٢) . وأورده ابن كثير في تفسيره (٢ / ١٣٠) .

(٤) اسمه صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان القرشي الأموي ، مشهور باسمه وكنيته ، أسلم عام الفتح وشهد حُنَيْنًا والطائف وكان من المؤلفة ، توفي في آخر خلافة عثمان .
الإصابة (٢ / ١٧٢ ، ١٧٣) .

(٥) هرقل هو ملك الروم ، وهرقل اسمه ـ وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، ولقبه قيصر ، كما يلقب ملك الفرس كسرى ونحوه . فتح الباري (١ / ٣٣) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي .
انظر : فتح الباري (١ / ٣١) ح ٧ .

وبعد فهذه نماذج على صدقه ﷺ وعصمته من الكذب قبل بعثته .

وكذا الحال بعد بعثته ﷺ فهذه أخبار نبينا محمد ﷺ وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستوفاة تفاصيلها لم يرد في شيء منها تداركه ﷺ لخبر صدر منه رجوعًا عن كذبة كذبها ، أو اعترافا بخلف في خبر أخبر به ولو وقع شيء من ذلك لنقل إلينا .

ومن المعلوم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق النبي ﷺ في جميع أقواله ، والثقة بجميع إخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت ، دون توقف أو تردد في شيء منها أو استثبات عن حاله تلك هل وقع فيها سهوا أم لا »[1] .

وهذا كله يؤكد عصمته ﷺ من الكذب بأي حال من الأحوال .

قال القاضي عياض : « وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أوفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو ، أو صحة أو مرض ، أو رضا أو غضب وأنه معصوم منه ﷺ .

هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب ، فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره .

وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته ، وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم ، كقوله : « إني حاملك على

---

(١) الشفا (٢ / ٧٦٨ - ٧٦٩) .

ولد الناقة »[١] وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها : « أهو الذي بعينه بياض »[٢] وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة ، وكل إنسان بعينه بياض ، وقد قال ﷺ : « إني أمزح ولا أقول إلا حقًّا »[٣]، [٤] .

د ـ عصمته ﷺ من الكبائر التي دون الشرك :

جَبَلَ اللَّه نبيّه محمدًا ﷺ على كل خلق فاضل كريم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٥] فخلقه بأكرم السجايا ، وجميل الأخلاق ، وحسن الطوية وصفات الخير جميعها ، كما نزهه عن كل ما يحط من قدره وينقص من منزلته ، قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ فهو ﷺ منزه من كل ضلال وغواية ، وقد كان من صيانة اللّه وحفظه له أن حماه من أقذار الجاهلية قبل مبعثه ونزول الوحي إليه ، فهو معصوم عن كل ما يحط من قدره ويطعن في شخصه ومما ورد في هذا الشأن من الأحاديث ما يلي :

* حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ كان ينقل

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في المزاح (٥ / ٢٧٠ ـ ٢٧١) ح ٤٩٩٨ ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح (٤ / ٣٥٧) ح ١٩٨٩ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٢) عزاه السيوطي الى ابن أبي الدنيا . انظر : مناهل الصفا (ص ٢٣٣) ح رقم ١٢٧٠

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٤٠) ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح (٤ / ٣٥٧) وقال : حديث حسن صحيح . وأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير عن ابن عمر كما في المجمع (٨ / ٨٩) وقال الهيثمي وفيه من لم أعرفه والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما في المجمع (٩ / ١٧) وقال الهيثمي : إسناده حسن .

(٤) الشفا (٢ / ٨٧٧ ، ٨٧٨) .

(٥) الآية (٤) من سورة القلم .

معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمه[١] يا ابن أخي لو حللت إزارك ، فجعلته على منكبك دون الحجارة قال فحله على منكبه فسقط مغشيا عليه فما رؤي بعد ذلك عريانًا ﷺ[٢] .

* وعن علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني اللّٰه منهما ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان فقال : بلى ، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير قلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب اللّٰه أذنى فواللّٰه ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلت شيئا ، ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له : ليلة أخرى أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة ، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب اللّٰه على أذني فواللّٰه ما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ قلت : لاشيء ثم أخبرته الخبر ، فواللّٰه ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني اللّٰه بنبوته »[٣] .

---

(١) العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي عم الرسول ﷺ ، ولد قبل الرسول ﷺ بسنتين يقال إنه أسلم وكتم إسلامه ، هاجر إلى المدينة قبل الفتح بقليل ، وشهد الفتح وثبت يوم حنين ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين . الإصابة (٢ / ٢٦٣) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٣٩) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٣) . والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٣٣ ، ٣٤) . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٤٩ ، ١٥٠) ، وعزاه لابن راهويه في مسنده =

وعن علي رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : هل عبدت وثنًا قط ؟
قال : « لا » .
قالوا : فهل شربت خمرًا قط ؟
قال : « لا ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان »[١] .

فهذا عن عصمته قبل مبعثه فما بالك بعد مبعثه والأمر لا يتعلق بنفسه فقط بل يتعداه لغيره بكونه هو القدوة ومعلم الناس وهاديهم ومرشدهم بل إن كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله يعد تشريعا تأخذ به أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأمر عصمته ﷺ من الكبائر أمر دلت عليه النصوص من القرآن والسنة ويكفى المسلم أن يقرأ فى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فهذه تزكية من الله لرسوله ﷺ توجب سلامته من كل ما يحط من منزلته ويقدح فى نبوته بما في ذلك الكبائر .

وكذلك قوله ﷺ : « أما والله إني لأخشاكم لله وَأتقاكم له » الحديث[٢] ومما يندرج تحت هذه الخشية والتقوى،بُعده عن كل ما يسخط الرب عز وجل ومن ضمن ما يسخطه ارتكاب الكبائر ، فهو ﷺ أبعد الناس عنها لكمال

= وابن اسحاق والبزار والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر وقال : قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ورجاله ثقات . وأورده ابن كثير فى البداية (٢ / ٢٨٧) .

(١) أورده السيوطي فى الخصائص الكبرى (١ / ١٥٠) وعزاه لأبى نعيم وابن عساكر .

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح .
انظر : فتح الباري (٩ / ١٠٤) ح ٥٠٦٣ ، وأخرجه مسلم فىصحيحه ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه . (٤ / ١٢٨) .

خشيته وتقواه لربه عز وجل ، فلقد زكاه الله وطهر نفسه ولم يجعل للشيطان عليه من سبيل ، وقد تقدم إيراد الحديث الذي جاء فيه أن جبريل شق قلب النبي ﷺ وهو صغير فاستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك[١].

○○○○

(١) انظر تخريجه (ص ١٥١) .

المطلب الثالث

مسالة وقوع الخطا منه

تقدم ذكر الأمور التي عصم فيها ﷺ ، وبقي أن نعلم هل يقع الخطأ منه في غير ما تقدم ؟ والجواب على هذا : أن القول الذى عليه أكثر علماء الإسلام[١] والذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة أن الخطأ يقع منه ﷺ في غير ما تقدم ذكره ولكنهم يعتقدون الأمور التالية :

١ ـ أن اللّٰه لا يقره على هذا الخطأ الذي وقع منه بل يوجهه اللّٰه للحق وقد يحصل له العتاب على ذلك .

٢ ـ أن الخطأ يقع منه ﷺ على سبيل الاجتهاد من غير أن يتعمده ولذلك لا تسمى « معصية » فهذه العبارة تعد إساءة أدب معه ﷺ ولا يصح إطلاقها في حقه ﷺ .

٣ ـ أن ما يقع منه من هذا القبيل ليس مما يقدح فى حقه أو ينقص من منزلته وقدره ، ولقد سبق بيان الأمور التي عصم فيها ﷺ وتلك الأمور هي التي في حالة وقوعها تقدح في حقه ومنزلته ، وقد عصم فيها .

٤ ـ أن التوبة حاصلة منه عن هذا الخطأ ، وهذا مما يرفع من قدره ويعلي منزلته[٢] كما أن اللّٰه قد وعده بالمغفرة بقوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣١٩) .

(٢) المرجع السابق (١٠ / ٢٩٣) .

(٣) الآية (٢) من سورة الفتح .

وأما النصوص التي يستدل بها على هذا القول فمنها :

قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾[١] .

فهذه الآيات نزلت عتابًا من الله تعالى لنبيه ﷺ[٢] فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم[٣] وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله ﷺ من شيء ويلح عليه وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته ، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾[٤] .

وكذلك قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[٦] .

---

(١) الآيات (١ ، ٢ ، ٣) من سورة عبس .

(٢) تفسير القرطبي (١٩ / ٢١٢) .

(٣) ابن أم مكتوم اختلف في اسمه فقيل : عمرو وقيل : عبد الله ، وعمرو أكثر وهو ابن قيس بن زائدة القرشي ، أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الأولين ، قيل : استشهد بالقادسية وقيل مات بالمدينة . الإصابة (٢ / ٥١٦ - ٥١٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٧٠) .

(٥) الآيتان (٦٧ ، ٦٨) من سورة الأنفال .

(٦) الآية (٤٣) من سورة التوبة .

قال قتادة : « ثنتان فعلهما النبي ﷺ ولم يؤمر بهما ، إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه ولم يكن له أن يمضي شيئا إلا بوحي ، وأخذه من الأسارى الفدية ، فعاتبه الله كما تسمعون »[١] .

وأما ما يقع من الخطأ منه في جانب الأمور الدنيوية فمن الأدلة على ذلك حديث رافع بن خديج[٢] رضي الله عنه قال : قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يؤبرون النخل يقولون يلقحون النخل ، فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : كنا نصنعه . قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا . فتركوه ، فنقصت قال : فذكروا ذلك له ، فقال : « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر »[٣] .

وفي رواية أنس : « أنتم أعلم بأمر دنياكم »[٤]. وفي رواية طلحة : « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لا أكذب على الله عز وجل »[٥]

وكما حكى ابن اسحاق[٦] أنه ﷺ لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن

---

(١) تفسير القرطبي (٨ / ١٥٤ ، ١٥٥) .

(٢) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي ، عرض على النبي ﷺ يوم بدر فاستصغره وأجازه يوم أحد فخرج بها وشهد ما بعدها ، مات في زمن معاوية . الإصابة (١ / ٤٨٣ ، ٤٨٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي (٧ / ٩٥) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٧ / ٩٥) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٧ / ٩٥) .

(٦) محمد بن اسحاق بن يسار المدني المطلبي ، مولاهم ، نزيل العراق ، إمام المغازي ، مات سنة ١٥٠ هـ . تهذيب التهذيب (٩ / ٣٨) .

المنذر[١] : أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : « لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة » .

قال : فإنه ليس بمنزل ، انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، فنشرب ولا يشربون .

فقال : أشرت بالرأي وفعل ما قاله[٢] .

قال القاضي عياض : « فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها بعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها ، يجوز عليه فيه ما ذكرنا[٣] إذ ليس فى هذا كله نقيصة ولا محطة ، وإنما هى أمور اعتيادية يعرفها من جربها ، وجعلها همه وشغل نفسه بها ، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة ، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ، ولكن هذا[٤] إنما يكون فى بعض الأمور ، ويجوز فى النادر فيما سبيله التدقيق فى حراسة الدنيا واستثمارها ، لا فى الكثير المؤذن بالبله والغفلة »[٥] .

وكذلك الأمر بالنسبة لأحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ، ومعرفة المحق من المبطل ، وعلم المصلح من المفسد ، فهذه أمور اجتهادية يجتهد فيها برأيه فقد قال ﷺ : « إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرًا مات في خلافة عمر . الإصابة (١ / ٣٠٢) .

(٢) الشفا للقاضي عياض (٢ / ٨٧١ ، ٨٧٢) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣ / ٣١ - ٣٥) وعزاه السيوطي في مناهل الصفا (ص ٨٠) لابن اسحاق والبيهقي عن عروة والزهري وجماعة .

(٣) أى من وقوع الخطأ .

(٤) أي الخطأ .

(٥) الشفا (٢ / ٨٧٢ ، ٨٧٣) .

بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار »(١) .

قال القاضي عياض : « وتجرى أحكامه ﷺ على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ، ويمين الحالف ، ومراعاة الأشبه ، ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله فى ذلك »(٢) .

فاقتضت حكمته تعالى أن لا يكون معصومًا فى هذا الجانب وذلك حتى تقتدي به الأمة من بعده فى النظر فى القضايا والأحكام على ما كان يقضي به بين الناس ، لأنه قد استوى فى ذلك هو وغيره من الناس .

وكذا الأمور بالنسبة لما يقع عليه من الأسقام والأمراض فهو ﷺ بشر من البشر يقع عليه مثل ما يقع على غيره من البشر .

وهذا هو الحق الذي دلت وأرشدت عليه النصوص الثابتة فى القرآن والسنة .

وهذا هو القول الوسط بين أهل الإفراط وأهل التفريط فى هذه المسألة .

فمن قال بالعصمة المطلقة وهم الرافضة(٣) وبعض المعتزلة(٤) وبعض

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات ، باب من أقام البينة مع اليمين .
انظر : فتح الباري (٥ / ٢٨٨) ح ٢٦٨٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ، واللفظ له (٥ / ١٢٨ ، ١٢٩) .

(٢) الشفا (٢ / ٨٧٥) .

(٣) الرافضة : عبارة تطلق على الشيعة الغلاة وهم عدة فرق من أشهرها الإمامية الإثنا عشرية ، ولهم مخالفات كثيرة في الاعتقاد من أشهرها : مسائل الإمامة ، والصحابة ، والغلو في آل البيت وأصل تسميتهم بالرافضة مأخوذ من قول زيد بن علي بن الحسين عندما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما ، فرفضه جماعة من أتباعه فقال : رفضتموني فسموا رافضة .
مقالات الإسلاميين (١ / ٨٨ ، ٨٩ ، ١٤٤) والملل والنحل (١ / ١٧٣ - ١٧٤) .

(٤) أتباع واصل بن العطاء الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى ولهم مخالفات كثيرة في =

المتأخرين[١] فهؤلاء قد خالفوا نصوص القرآن والسنة وتعسفوا في دفعها وتأويلها بتأويلات هي من جنس تأويلات الجهمية[٢] والباطنية[٣] ومن تدبر تلك التأويلات تبين له فسادها وعرف أنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه[٤].

وأما من نفى عنه العصمة من الذنوب وأجاز عليه الإقدام على الكبائر والصغائر وهم الكرامية[٥] والأزارقة[٦] والفضيلية[٧] وغيرهم[٨] فهؤلاء قوم فرطوا في حق النبي ﷺ ، فذكروا عنه ما دل القرآن والسنة على براءته منه ، وأضافوا إليه ذنوبا نزهه الله منها فقولهم هذا مخالف للقرآن والسنة وواضح البطلان .

= مسائل الاعتقاد ، منها أنهم يقولون بنفي الصفات ، والمنزلة بين المنزلتين . ميزان الاعتدال (٣ / ٢٧٤) والفرق بين الفرق (٢٠ ، ٢١) ، والملل والنحل (١ / ٤٩) .

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٢٠) .

(٢) الجهمية فرقة من الفرق التي ظهرت في بداية القرن الثاني وانتحلت مذهب الجهم بن صفوان في مسائله المدونه في كتب المقالات ومن أشهرها نفي الأسماء والصفات والقول بالجبر ، وفناء الجنة والنار . الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص ٦٥) . تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص ٥٩ ، ٦٠) .

(٣) عبارة تطلق على عدة فرق من أشهرها الإسماعيلية ، القرامطة ، والنصيرية ، وهم الذين يجعلون لكل ظاهر من الكتاب باطنا ولكل تنزيل تأويلا . الملل والنحل (١ / ٤٢٦ - ٤٤٧) والفرق بين الفرق (ص ١٦٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣١١ - ٣١٤) بتصرف .

(٥) أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفي سنة ٢٥٥هـ لهم عدد من المخالفات في مسائل العقيدة ، منها : التشبيه في الصفات ، والإرجاء في الإيمان . الملل والنحل (١ / ١٨٠ ، ١٩٣) ، والفرق بين الفرق (٣٠ ، ١٣٧) .

(٦) إحدى فرق الخوارج ، وهم أتباع نافع بن الأزرق ، كانت أكثر فرق الخوارج عددًا وأشدهم شوكة الفرق بين الفرق (ص ٨٣) .

(٧) من الخوارج ؛ ذكرهم الأشعري في المقالات (ص ١١٨) .

(٨) الفصل (٤ / ٢) ، وعصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨) ، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١ / ١٢٨) .

الفصل الثاني

وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها

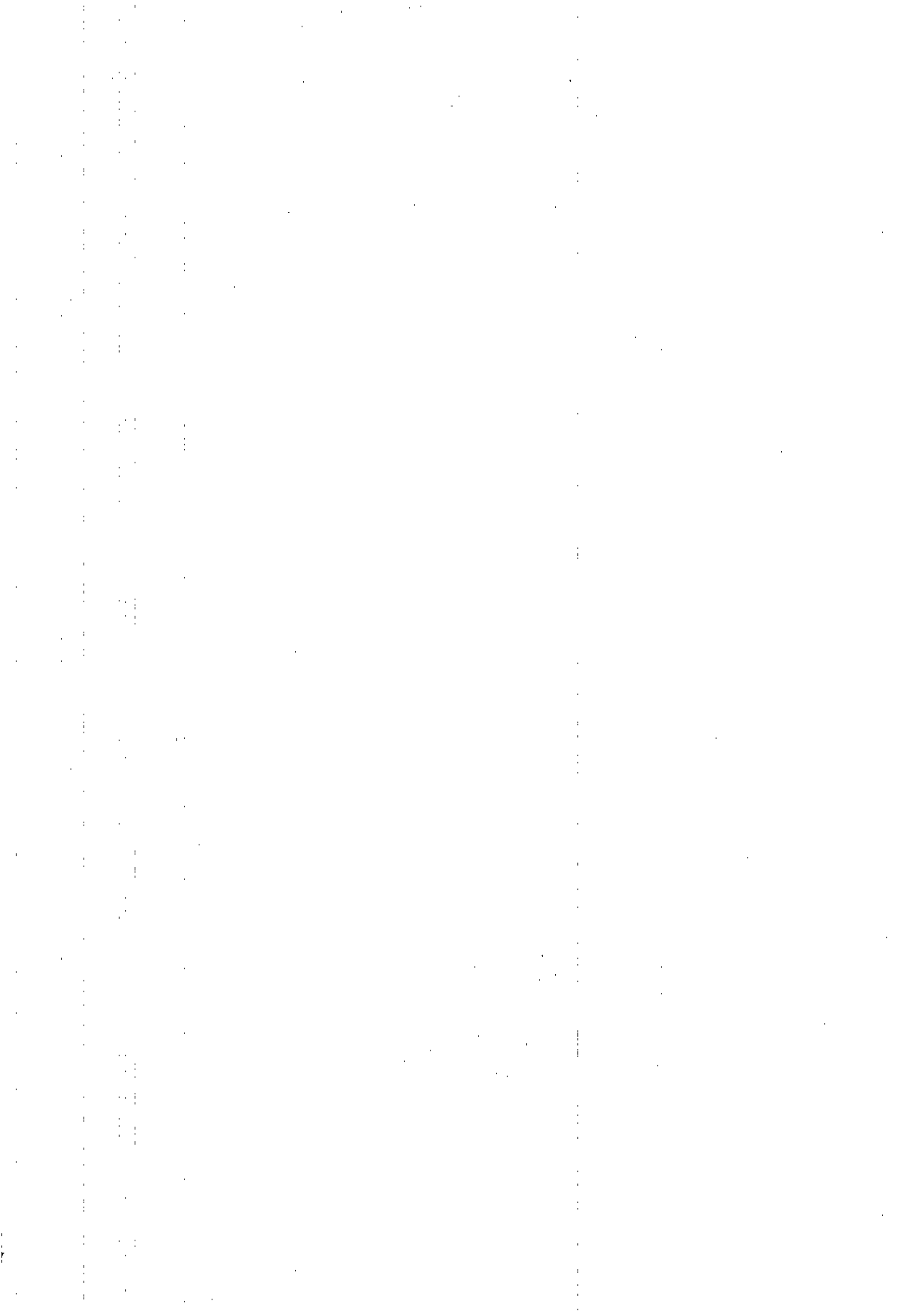
● وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأدلة على وجوب طاعته ﷺ .

المبحث الثاني : منهج السلف في اتباعه وطاعته ﷺ .

المبحث الثالث : التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه .

○ ○ ○ ○



تمهيد

« فرض الله على جميع الخلق الإيمان بنبيه ﷺ وطاعته واتباعه وإيجاب ما أوجبه وتحريم ما حرمه وشرع ما شرعه . وبه فرق الله بين الهدى ، والضلال ، والرشاد ، والغي ، والحق ، والباطل ، والمعروف ، والمنكر . وهو الذي شهد الله له بأنه يدعو إليه باذنه ، ويهدي إلى صراط مستقيم وأنه على صراط مستقيم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣]

وهو الذي جعل الرب طاعته طاعة له فى مثل قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥] .

وهو الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته ، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته ، وبه يمتحنون فى القبور ، قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٦] .

---

(١) الآيتان (٤٥ ، ٤٦) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٥٢) من سورة الشورى .

(٣) الآية (٤٣) من سورة الزخرف .

(٤) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٥) الآية (٦٤) من سورة النساء .

(٦) الآية (٦) من سورة الاعراف .

وهو الذي أخذ الله له الميثاق على النبيين وأمرهم أن يأخذوا على أممهم الميثاق أنه إذا جاءهم أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه .

وهو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار ، فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1] .

والوعد بسعادة الدنيا والآخرة والوعيد بشقاء الدنيا والآخرة معلق بطاعته .

فطاعته هي الصراط المستقيم وهي حبل الله المتين ، وهي العروة الوثقى وأصحابها هم أولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون .

والمخالفون له هم أعداء الله حزب إبليس اللعين .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَاتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) الآيتان (١٣ ، ١٤) من سورة النساء .

(٢) الآيات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) من سورة الفرقان .

(٣) الآيات (٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨) من سورة الاحزاب .

ٱلْكَافِرِينَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ ﴾[٤] .

وجميع الرسل أخبروا أن اللّه أمر بطاعتهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥] .

فهم يأمرون بعبادة اللّه وحده وخشيته وحده وتقواه وحده ، ويأمرون بطاعتهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾[٦] .

وقال نوح عليه السلام : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[٧] .

وقال فى سورة الشعراء : ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[٨] .

---

(١) الآية (٣٢) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٤) الآية (٦٩) من سورة النساء .

(٥) الآية (٦٤) من سورة النساء .

(٦) الآية (٥٢) من سورة النور .

(٧) الآية (٣) من سورة نوح .

(٨) الآية (١٠٨) من سورة الشعراء .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب ولوط[١].

والناس محتاجون إلى الإيمان بالرسول وطاعته في كل مكان، وزمان، ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، سرًا وعلانية، جماعة وفرادى، وهم أحوج إلى ذلك من الطعام والشراب بل من النفس، فإنهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٢] أي كذّب به وتولى عن طاعته كما قال في موضع آخر: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾[٦].

والله تعالى قد سماه سراجًا منيرًا، وسمى الشمس سراجًا وهاجًا والناس إلى هذا السراج المنير أحوج منهم إلى السراج الوهاج، فإنهم محتاجون إليه سرًا وعلانية، ليلًا ونهارًا، بخلاف الوهاج، وهو أنفع لهم فإنه منير ليس فيه أذى بخلاف الوهاج فإنه ينفع تارة ويضر أخرى »[٧].

---

(١) انظر الآيات (١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٩) من سورة الشعراء.

(٢) الآية (١٤ ، ١٥ ، ١٦) من سورة الليل.

(٣) الآية (٣١ ، ٣٢) من سورة القيامة.

(٤) الآية (١٥ ، ١٦) من سورة المزمل.

(٥) الآية (٤١) من سورة النساء.

(٦) الآية (٤٢) من سورة النساء.

(٧) الرد على الأخنائي (ص ١٨٠ - ١٨٣).

ولما كانت حاجة الناس إلى الرسول بهذه الدرجة فقد أوجب اللّٰه سبحانه وتعالى على العباد طاعة الرسل واتباعهم فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1] فهذا الإلزام ناشيء من ضرورة العباد وحاجتهم للرسالة إذ لابد لهم منها ، بل إن حاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء .

« فالرسالة ضرورية في إصلاح العباد في معاشهم ومعادهم ، فكما أنه لا صلاح لهم في أخرتهم إلا باتباع الرسالة ، فكذلك لاصلاح لهم في معاشهم ودنياهم إلا باتباع الرسالة .

والإنسان مضطر إلى الشرع لأنه بين حركتين : حركة يجلب بها ما ينفعه . وحركة يدفع بها ما يضره .

والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره ، والشرع نور اللّٰه في أرضه ، وعدله بين عباده ، وحصنه الذي من دخله كان آمنا .

وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم ، فإن الحمار والجمل يميز بين الشعير والتراب . وإنما المراد بالشرع التمييز بين الأفعال التي تنفع فاعلها والأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده ، كنفع الإيمان والتوحيد والعدل والبر والتصدق والإحسان ، والأمانة والعفة ، والشجاعة والحلم والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والإحسان إلى المماليك والجار ، وأداء الحقوق وإخلاص العمل للّٰه والتوكل عليه ، والاستعانة به والرضا بمواقع القدر به ، والتسليم لحكمه والانقياد لأمره ، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ، وخشيته في

---

(١) الآية (٦٤) من سورة النساء .

الغيب والشهادة ، والتقوى إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه ، واحتساب الثواب عنده ، وتصديقه وتصديق رسله فى كل ما أخبروا به وطاعتهم فى كل ما أمروا به ، مما هو نفع وصلاح للعبد فى دنياه وآخرته وفى ضد ذلك شقاوته ومضرته فى دنياه وآخرته .

فلولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار فى المعاش والمعاد فمن أعظم نعم اللّه على عباده وأشرف منة عليهم أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبين لهم الصراط المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة البهائم بل أشر حالا منها .

فمن قَبِلَ رسالة اللّه واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأَسْوَءُ حالًا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم »[1].

والرسل هم وسائط بين اللّه وبين خلقه فى أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده ، يبلغونهم شرع ربهم ويرشدونهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم ، وقد جعلهم اللّه ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2] .

وقد بعث الرسل جميعا بأصول ثلاثة هي :

١ ـ الدعوة الى اللّه .

٢ ـ إرشاد العباد وتعريفهم بالطريق الموصل إلى اللّه .

٣ ـ بيان حال العباد فى معادهم .

فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر ، وذكر أيام اللّه فى

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٩ ، ١٠٠) بتصرف .

(٢) الآية (١٦٥) من سورة النساء .

أوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم .

والأصل الثاني : يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة ، وبيان ما يحبه الله ويكرهه .

والأصل الثالث : يتضمن الإيمان باليوم الآخر ، والجنة والنار والثواب والعقاب .

فعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر بل السعادة والفلاح موقوفة عليها ، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل ، فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها ، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة[1].

ومن أجل ذلك فان الله خص بالفلاح من اتبع رسوله ونصره فقال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] أي لا مفلح إلا هم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3] فخص هؤلاء بالفلاح كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم ويؤمنون بما أنزل إلى رسوله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة بالهدى والفلاح قال تعالى : ﴿ الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4] فعلم بذلك أن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٦) بتصرف .

(٢) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٣) الآية (١٠٤) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (١ إلى ٥) من سورة البقرة .

الهدى والفلاح دائر على الرسالة وجودًا وعدمًا .

كما جعل اللَّه سعادة العباد ونجاتهم في يوم المعاد متعلقة بطاعته وطاعة رسوله وجعل شقاءهم وهلاكهم متعلقًا بمعصيته ومعصية رسوله قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١) .

وخاتم المرسلين وسيدهم وأكرمهم على ربه ـ نبينا محمد ﷺ الذي جعله اللَّه رحمة للعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢) وأرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا ، فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعينا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء ، فبين عن طريقه ﷺ الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقين من الفجار ، فهو المبعوث رحمة للعالمين ، ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين .

وقد أوجب اللَّه وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه وأوصاه باتباع شرعه ونهجه والسير على هداه وجعل طريقه هي الطريق الوحيد ، الموصلة إليه وسد باقي الطرق فلم يفتح لأحد طريقًا غير طريقه ، وسمى تلك الطرق سبلًا تضل عن سبيله فقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا

---

(١) الآية (١٣ ، ١٤) من سورة النساء .

(٢) الآية (١٠٧) من سورة الانبياء .

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١] .

ولذلك فإن الخير كل الخير في اتباعه والإقتداء به ، والشر كل الشر في مخالفته والبعد عن شرعه وما جاء به .

والأدلة على وجوب طاعته ﷺ ولزوم سنته واتباع شريعته كثيرة وهذا ما سأتطرق إليه في هذا الفصل باذن الله تعالى والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

ο ο ο ο

---

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

المبحث الأول

الأدلة على وجوب طاعته ﷺ

● وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على وجوب طاعته ﷺ .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته ﷺ .

ب ـ الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه .

ج ـ الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على وجوب طاعته ﷺ .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ كون طاعته واتباعه سببًا لدخول الجنة ، ومخالفته ومعصيته سببا لدخول النار .

ب ـ ضربه ﷺ الأمثال في الحث على طاعته .

ج ـ حثه ﷺ لأمته على التمسك بسنته وتحذيره من مخالفتها .

د ـ بيانه لمواقف الناس من الأخذ بدعوته واتباع سنته .

المطلب الثالث : دليل الإجماع على وجوب طاعته ﷺ .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ من أقوال الصحابة .

ب ـ من أقوال التابعين ومن بعدهم .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

الأدلة من القرآن على وجوب طاعته ﷺ

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « نظرت فى المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ فى ثلاثة وثلاثين موضعًا »[١] .

وقال الآجري[٢] : « فُرض على الخلق طاعته ﷺ فى نيف وثلاثين موضعا من كتابه عز وجل »[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ فى أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن ، وقرن طاعته بطاعته ، وقرن بين مخالفته ومخالفته ، كما قرن بين اسمه واسمه ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه »[٤] .

قلت : إن الآيات الواردة فى الأمر بطاعة النبي ﷺ واتباعه والاقتداء به جاءت فى مواطن متعددة من القرآن الكريم.واتصفت تلك الآيات بتنوع أساليبها وتعدد صيغها مع اتحادها جميعها فى الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ وطاعته فى جميع ما جاء به من شرائع وأحكام من عند الله عز وجل ، وسوف أعرض لهذه الآيات بعد تقسيمها على حسب ما اتحدت به فى السياق على النحو التالي :

أ ـ الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته ﷺ ومن تلك الآيات قوله تعالى :

---

(١) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٦) .

(٢) محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري ، فقيه شافعي ، محدث ، توفي سنة ٣٦٠ هـ بمكة وله مصنفات كثيرة منها : كتاب الشريعة . الأعلام (٦ / ٩٧) .

(٣) الشريعة (ص ٤٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٩ / ١٠٣) .

﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[1] .

وهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ ، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئًا واحدًا ، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا في الأمر بطاعته سبحانه ، وفي ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ﷺ .

ومن تلك الآيات الواردة بهذه الصيغة :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[2] .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3] .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[4] .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[5] .

٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾[6] .

---

(١) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٢) الآية (٣٢) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (١٣) من سورة النساء .

(٥) الآية (٢٠) من سورة الأنفال .

(٦) الآية (٥٢) من سورة النور .

٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[١] .

٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٢] .

وفي آيات أخر يأمر اللَّه سبحانه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ مع إعادة الفعل ، وفي ذلك إشارة إلى أن ما يأمر به رسول اللَّه ﷺ تجب طاعته فيه وإن لم يكن مأمورًا به بعينه في كلام اللَّه الذي هو القرآن ، فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بأمره سبحانه ، ومن هذه الآيات :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٣] .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[٤] .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٥].

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ

---

(١) الآية (٧١) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (١٧) من سورة الفتح .

(٣) الآية (٩٢) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٣٣) من سورة محمد .

(٥) الآية (٥٤) من سورة النور .

(٦) الآية (١٢) من سورة التغابن .

مِنكُمْ ﴾[١] .

ويقول ابن القيم[٢] عند هذه الآية : « أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتى الكتاب ومثله معه[٣]. ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول ، إيذانًا بأنهم إنما يطاعون تبعًا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة ، كما صح عنه ﷺ أنه قال : « لا طاعة فى معصية اللّه إنما الطاعة فى المعروف »[٤] وقال : « إنما الطاعة فى المعروف »[٥] وقال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[٦] .

(١) الآية (٥٩) من سورة النساء .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي المشهور بابن القيم ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة ، تفنن في علوم الاسلام ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وله مؤلفات كثيرة في الدفاع عن العقيدة والسنة . توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة . طبقات المفسرين للداودي (٢ / ٩٣ ، ٩٧) .

(٣) كما جاء في قوله ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ... » الحديث . أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٥ / ١٠) ح ٤٦٠٤

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٦ / ١٥)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أخبار الآحاد ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٣٣) ح ٧٢٥٧ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية . انظر (٦ / ١٥) .

(٦) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير =

وقد أخبر ﷺ عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها « إنهم لو دخلوها لما خرجوا منها » مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم ، وظنًا أن ذلك واجب عليهم ، ولكن لما قصروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالطاعة بما لم يرده الامر ﷺ وما قد علم من دينه إرادة خلافه ، فقصروا في الاجتهاد وأقدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبيت وتبين هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا ؟ فما الظن بمن أطاع غيره فى صريح مخالفة ما بعث الله به رسوله »[(١)] .

وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[(٢)] فقد أخبر تعالى فى هذه الآية أن الهداية فى طاعة الرسول لا فى غيرها ، فإنه معلق بالشرط فينتفى بانتفائه ، وليس هذا من باب دلالة المفهوم ، كما يغلط فيه كثير من الناس ويظن أنه محتاج فى تقرير الدلالة منه لا تقرير كون المفهوم حجة .

بل هذا من الأحكام التي ترتبت على شروط وعلقت فلا وجود لها بدون شروطها ، إذ ما علق على الشرط فهو عدم عند عدمه ، وإلا لم يكن شرطًا له وإذا ثبت هذا : فالآية نص فى انتفاء الهداية عند عدم طاعته . وقوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾ الفعل للمخاطبين وأصله فإن تتولوا ، فحذفت

= معصية وتحريمها في المعصية (٦ / ١٢) . وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية . فتح الباري (١٣ / ١٢١ ، ١٢٢) ح ٧١٤٤

(١) إعلام الموقعين (١ / ٤٨ ، ٤٩) .

(٢) الآية (٥٤) من سورة النور .

إحدى التائين تخفيفا ، والمعنى : أنه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها ، وحملتم طاعته والانقياد له والتسليم .

روي عن الزهري[1] أنه قال : « من الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم » .

فإن تركتم أنتم ما حملتم من الإيمان والطاعة فعليكم لا عليه . فإنه لم يحمل إيمانكم وإنما حمل تبليغكم ، وإنما حمل أداء الرسالة إليكم .

(وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) ليس عليه هداهم وتوفيقهم »[2] .

ب ـ الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه .

جاء الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسوله ﷺ والتأسي به في مواطن متعددة من كتابه العزيز .

١ ـ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[3] .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4] .

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[5] .

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري . الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه ، مات سنة ١٢٥ هـ وقيل قبل ذلك . تذكرة الحفاظ (١ / ١٠٢) .

(٢) الرسالة التبوكية (ص ٣٧ ، ٣٨) .

(٣) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٥) الآية (٧) من سورة الحشر .

٤ ـ وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١] .

وهذه الآيات تضمنت توجيهات عظيمة يجب على المسلم تدبرها ففي الآية الأولى جعل اللّه الاتباع سبيلًا إلى نيل ، حبه ووسيلة إلى تحقيق رضاه وحصول غفرانه ، إذ باتباع الرسول ﷺ يحصل حب اللّه تعالى ورضاه ومثوبته ، فالخير كل الخير فى اتباعه والشر كل الشر فى مخالفته والابتعاد عن سنته .

فالاتباع هو دليل المحبة وبرهانها ، وبتحققه تكون المحبة التي هى إحدى ثمراته كما قال تعالى : ﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ كما أن من ثمراته غفران الذنوب كما جاء فى هذه الآية نفسها : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

وهذه المنزلة والمكانة لاتباع الرسول ﷺ نابعة من كون هذا الاتباع إنما هو فى الحقيقة اتباع للّه ، إذ الرسول إنما جاء بهذا الدين من عند اللّه عز وجل فهو شرع اللّه ودينه الذي أوحاه لرسوله ﷺ ليبلغه للعباد ، فالرسول إنما هو مبلغ عن اللّه ولم يأت بشيء من عند نفسه قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ الآية[٢] . وقال تعالى : ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ الآية[٣] .

وفى الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ جاء الأمر بالاتباع عقب الأمر بالإيمان تأكيدًا على وجوب اتباع النبي ﷺ وإلا فإن الاتباع داخل فى الإيمان

---

(١) الآية (٢١) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (١١٠) من سورة الكهف ، و الآية (٦) من سورة فصلت .

(٣) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

ولكن أفرد بالذكر هنا تنبيهًا على أهميته وعظيم منزلته .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ .

فهذه الآية أوجبت الاتباع المطلق للنبي ﷺ ، فما أمر به من شيء فإن علينا فعله وما نهى عن شيء فإن علينا تركه واجتنابه ، فهو لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر .

وفي هذا الاتباع والانقياد حياتنا وفلاحنا كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(١) .

فهنا أمر من الله تعالى للمؤمنين جميعا بأن يستجيبوا للرسول ﷺ فيما أمرهم به ونهاهم عنه ، ففي ذلك الحياة النافعة الطيبة وهذه الحياة إنما تحصل بالإستجابة لما جاء به الرسول أمرًا ونهيًا وأما من لم تحصل منه الاستجابة فلا حياة له ، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات ، « إذ الحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهرًا وباطنًا ، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان ، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة ، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة ، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول »(٢) .

ولقد أعقب هذا الأمر بالاستجابة تحذير من ترك الاستجابة له أو تثاقل وتباطء عنها فقال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ والمعنى

(١) الآية (٢٤) من سورة الأنفال .

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٨٨) بتصرف .

: « أنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم بعد وضوح الحق واستبانته »[١] .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ فقد جعل الله تبارك وتعالى من رسوله الأسوة والقدوة ليحتذي به الخلق فى أقواله وأفعاله وجميع ما جاء به ﷺ .

قال ابن كثير : « هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسي برسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله ... »[٢]

ج ـ الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له :

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٣] .

وفي هذه الآية أقسم سبحانه بأجل مقسم به ـ وهو نفسه عز وجل ـ على أنه لا يثبت لهم إيمان ولا يكونون من أهله ، حتى يحكموا رسول الله ﷺ في جميع موارد النزاع وفي جميع أبواب الدين فإن لفظة « ما » من صيغ العموم .

ولم يقتصر الأمر على مجرد التحاكم بل ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجا ـ وهو الضيق والحصر ـ من حكمه ، بل يقبلوا حكمه بالانشراح ، ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض ، ويشربونه على قذى ، فإن هذا مناف للإيمان ، بل لابد أن يكون أخذه بقبول

---

(١) المصدر السابق (ص ٩٠) .
(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٧٤) .
(٣) الآية (٦٥) من سورة النساء .

ورضا وانشراح صدر .

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى : ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ فذكر الفعل مؤكدًا بمصدره القائم ذكره مرتين . وهو التسليم والخضوع له والإنقياد لما حكم به طوعًا ورضًا ، وتسليمًا لا قهرًا ومصابرة كما يسلم المقهور لمن قهره كرهًا ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه ، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه ويعلم بأنه أولى به من نفسه ، وأبر به منها وأقدر على تخليصها ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[١] .

فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ واستسلم له ، وسلم إليه انقادت له كل علة فى قلبه ورأى أن لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد .

وتأمل تأكيده سبحانه لهذا المعنى المذكور فى الآية بوجوه عديدة من التأكيد :

أولها : تصديرها بتضمن المقسم عليه للنفي وهو قوله ﴿ لا يؤمنون ﴾ وهذا منهج معروف فى كلام العرب ، إذا أقسموا على شيء منفي صدروا جملة القسم بأداة نفي مثل هذه الآية .

وثانيها : تأكيده بنفس المقسم .

وثالثها : تأكيده بالمُقْسَم به وهو إقسامه بنفسه لا بشيء من مخلوقاته ، وهو سبحانه يقسم بنفسه تارة وبمخلوقاته تارة .

ورابعها : تأكيده بانتفاء الحرج وهو وجود التسليم .

وخامسها : تأكيد الفعل بالمصدر ، وما هذا التأكيد إلا لشدة الحاجة إلى هذا

---

(١) الآية (٦) من سورة الاحزاب .

الأمر العظيم ، وإنه مما يعتنى به ويقرر فى نفوس العباد بما هو من أبلغ أنواع التقرير(١) .

وقال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ فى جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ولهذا قال : ﴿ ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ أي إذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم فلا يجدون فى أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له فى الظاهر والباطن فيسلمون لك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة .. »(٢).

وهذه الآية ينبغي لكل مسلم أن يعرض نفسه عليها .

وفى هذا يقول ابن القيم : « ومتى أراد العبد أن يعلم هذا(٣)فلينظر فى حاله ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾(٤) .

فسبحان اللّٰه كم من حزازة فى نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص بودهم أن لو لم ترد ؟ وكم من حرارة فى أكبادهم منها ؟ وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ؟ ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر »(٥)

---

(١) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٠) .

(٣) أى قبوله لحكم الرسول والتسليم له .

(٤) الآية (١٤ ، ١٥) من سورة القيامة .

(٥)الرسالة التبوكية (ص ٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾(٢) .

وكلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لما حكم به الله تعالى وحكم به رسوله ﷺ ، فليس فى ذلك اختيار ، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن الله ورسوله .

ومن الملاحظ فى كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان ففى الآية الأولى ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ .

وفي الثانية ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه فاسم الإيمان يشعر بأن هذا المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نسبوا إليه ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يضع هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الموجبة للأمتثال لأمر الله ورسوله ﷺ نصب عينيه فيسمع ويطيع ، ويؤمن بأنه لا اختيار له فى ذلك ولا رأي ، بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب .

فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله التي تعني طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع .

ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين

---

(١) الآية (٥١) من سورة النور .

(٢) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

الصادقين ، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين المظهرين خلاف ما يبطنون .

○ ○ ○ ○

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على وجوب طاعته ﷺ

حث النبي ﷺ أمته على طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنتة والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه عز وجل .

وأحاديثه ﷺ في هذا المجال أعطت للأمه توجيهات عظيمة متى ما ساروا عليها وامتثلوا ما فيها واستناروا بها فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن اللّه تعالى .

وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عبارتها وتعدد أساليبها واشتمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول اللّه ﷺ لأمته في هذا الشأن ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيدا وتوضيحًا وبيانًا ، بحيث إنها لم تدع مجالا لمتأول يأولها أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد ، وهذه الأحاديث على تنوع عبارتها وتعدد أساليبها اتحدت جميعها في مضمون واحد هو التأكيد على وجوب طاعته ﷺ واتباع ما جاء به والترغيب في ذلك إضافة إلى التحذير من مخالفته ، وتحريم معصيته وبيان الوعيد الشديد في ذلك .

والخطاب فى تلك الأحاديث شامل لكل من كان فى عصره ﷺ ومن سيأتي بعده إلى يوم القيامة .

وسأشير ههنا إلى طرف من تلك الأحاديث مع بيان ما فيها من توجيهات وإرشادات تنير الطريق للسالكين الراغبين بالفوز برضى اللّه وجنات النعيم .

أ ـ كون طاعته واتباعه ﷺ سببا لدخول الجنة ، ومخالفته ومعصيته سببًا

لدخول النار .

أولا : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ . قالوا : يارسول الله ومن يأبى ؟

قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى »[١] .

ثانيا : وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ... » الحديث[٢] .

ثالثا : وعن أبي سعيد الخدري(٣) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد[٤] البعير . قال : يارسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ٧٢٨٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ انظر : فتح الباري (١٣ / ١١١) ح ٧١٣٧ .وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٦ / ١٣) .

(٣) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري أبو سعيد الخدري ، شهد الغزوات بعد أحد وكان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غير ذلك . الإصابة (٢ / ٣٢ ، ٣٣) .

(٤) يقال : شرد البعير ، يشرد ، شُرودا ، وشِرادا : إذا نفر وذهب في الأرض . النهاية (٢ / ٤٥٧) .

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ١٥٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وله شاهد من طريق أبي هريرة بنحوه أخرجه الحاكم في مستدركه (٤ / ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي . وله شاهد آخر من طريق أبي أمامة بنحوه . أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي .

قال ابن حبان[١]: طاعة الرسول هي الانقياد لسنته ، مع رفض قول كل من قال شيئا في دين الله عز وجل بخلاف سنته ، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة ...»[٢]

وهذه الأحاديث الثلاثة تؤكدوجوب طاعة الرسول ﷺ وامتثال ما جاء به وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه .

وتؤكد كذلك على أن هذه الطاعة هي مفتاح الجنة وسبيل النجاة الوحيد التي متى ما سلكها الانسان فاز برضى الله وجنته ونجّى من سخطه وعذابه .

فعلى المسلم أن يسلك هذه الطريق - أي طاعة النبي ﷺ - وألا يحيد عنها يمينًا أو شمالًا فهذه الطاعة هي صراط الله المستقيم الذى أمر الله باتباعه لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي بعثه الله فى أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[٤].

---

(١) محمد بن حبان بن أحمد التميمي ، أبو حاتم البستي ، الإمام الحافظ الثبت الحجة ، كان من أوعية العلم ، ولد سنة ٢٧٠ هـ وتوفي سنة ٣٥٤ هـ . ميزان الاعتدال (٣ / ٥٠٦) .

(٢) صحيح ابن حبان (١ / ١٥٣) .

(٣) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١ / ٥٠ ، ٥١) .

وهذه الأحاديث تبين صفة أتباع الأنبياء فهم يطيعون أنبيائهم ويأخذون بسنتهم ويأتمرون بأمرهم ولا يحيدون عن ذلك ولا يخالفونه إلى ما سواه .

وأما المخالفون لهم فمنهم الذين ابتدعوا أمورا فى الدين لم تشرع لهم وأخذوا يتعبدون اللّٰه بها وهم المشار إليهم بقوله : ﴿ويفعلون مالا يؤمرون﴾ وأمثال هؤلاء يتحدثون عن الطاعة والاتباع ولكن بالقول دون العمل ، فهم يقولون مالا يفعلون وهذا الوصف ينطبق تماما على أهل البدع المخالفين لشرع نبي هذه الأمة .

فإن الناظر فى أحوال هؤلاء يجدهم متمسكين أشد التمسك بأمور ليست من سنة المصطفى ولا من هديه إذ ليس لهم عليها دليل من الكتاب أو السنة ، بينما تجدهم أكثر الناس بعدا عن هدى المصطفى وما جاء به عن ربه ، ومع ذلك كله فهم كثيرا ما يتحدثون عن اتباع الرسول والاقتداء به .

ولكن هذا الحديث عن السنة والاتباع لا يتجاوز ألسنتهم ، فهم أبعد الناس عن ذلك فصدق على هؤلاء قوله ﷺ : « يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون » .

فانظر أخي المسلم فى أحوال الصوفية وعباد القبور والأضرحة وغيرهم من أهل البدع فهل تجد أبلغ من وصفهم بقول النبي ﷺ هذا « يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون » .

فالحذر كل الحذر من سبل أهل البدع والأهواء وكن على بصيرة من أمر دينك ولا تغرنك مظاهرهم وطراوة ألسنتهم فكم من إنسان خدعوه بذلك فروجوا عليه بدعتهم ، ولكن أمرهم لا يروج إلا على خفافيش الأبصار وكل جاهل بسنة نبيه ، من لا يفرق بين ما هو من الدين وما ليس من الدين .

وأما العالم بدينه وسنة نبيه ﷺ المتمسك بها فهو على دراية ويقين بحال هؤلاء فلا تنطلي عليه أباطيلهم وأكاذيبهم وما يستندون إليه من المنامات التي جعلوها مصدرًا للتشريع والابتداع فى دين الإسلام .

وصاحب السنة يعلم كذلك عاقبة بدعهم فيطبق عليهم بذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾(١) .

وقوله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(٢) .

فتلك هى النتيجة الحتمية لكل بدعة ، فاللّه تعالى قد جعل للعمل المقبول شرطين أحدهما : الإخلاص وثانيهما : الاتباع قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(٣) .

فقوله ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ أى ما كان موافقا لشرع اللّه ، ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وهو الذي يراد به وجه اللّه وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل فلابد أن يكون خالصًا للّه صوابًا على شريعة رسول اللّه ﷺ »(٤) .

ب - ضربه ﷺ الأمثال فى الحث على طاعته

أولا : عن أبي موسى رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : « إنما مثلي ومثل ما

(١) الآيتان (١٠٣ ، ١٠٤) من سورة الكهف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على جور . فتح الباري (٥ / ٣٠١) ح ٢٦٩٧، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة (٥ / ١٣٢) .

(٣) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ١٠٨) .

بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : ياقوم إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء . فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا[(١)] فانطلقوا على مهلهم فنجوا . وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به . ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق »[(٢)] .

ثانيا : وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلًا . قال : فاضربوا له مثلًا . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : مثله كمثل رجل بنىٰ دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أولوها له يفقهها . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس »[(٣)] .

ثالثا : وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي

---

(١) أي ساروا بالليل . النهاية (٢ / ١٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ، انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥٠) ح ٧٢٨٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته . انظر : (٧ / ٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ٧٢٨١

ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع فى النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعهن[١] ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها »[٢] .

فهذه ثلاثة أحاديث اشتمل كل حديث منها على مثل معين ، والأمثال كما هو معلوم توضع لتقريب المعنى وتوضيحه في ذهن السامع ليكون أسهل فى فهم المعنى وأبلغ فى ترسخه في ذهنه .

ففي المثل الذي جاء في الحديث الأول ضرب النبي ﷺ لنفسه مثلا بالنذير الذي جاء لقومه يحذرهم من أن أعداءهم في طريقهم إليهم بعد أن رأى جيشهم على مقربة منهم وطلب منهم أن ينجوا بأنفسهم قبل أن يهلكهم عدوهم ويفنيهم .

وضرب لأمته مثلا بقوم ذلك الرجل الذين انقسموا إلى قسمين فكان منهم من صدقه وأطاعه فساروا من الليل فنجوا بأنفسهم من فتك عدوهم وكان منهم من لم يصدقه فبقوا فى منازلهم فصبحهم عدوهم فقضى عليهم .

فالنبي ﷺ هو النذير لهذه الأمة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٣] ، فقد أرسله اللّه تعالى ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٤]

---

(١) بفتح التحتانية والزاي وضم العين المهملة : أي يدفعهن . فتح الباري (١٣ / ٣١٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الإنتهاء عن المعاصي . انظر فتح الباري (١١ / ٣١٦) ح ٦٤٨٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب « شفقته ﷺ على أمته ... » (٧ / ٦٤) .

(٣) الآية (٤٩) من سورة الحج .

(٤) الآية (١) من سورة الفرقان .

لينذرهم عذاب ربهم الذي توعد به المخالفين منهم ، ويبين لهم شرع ربهم وما أمرهم به من قواعد وأحكام .

فمن أطاعه واتبع النور الذي جاء به والتزم شريعته فقد نجا من عذاب اللّٰه .

ومن عصاه وخالفه ولم يتبع ما جاء به فقد استحق بذلك عذاب اللّٰه فله جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا .

وهذا المثل يمثل جانب الإنذار والوعيد وهو جانب من جوانب الرسالة وأما الجانب الثانى وهو جانب البشارة - إذ أن الرسول كما أخبر اللّٰه عنه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(١) .

وأما جانب البشارة فهذا ما تحدث عنه الحديث الثاني وهو حديث جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه فالمثل يتحدث عن ثلاثة أمور دار ومأدبة وداعي وقد جاء تأويل هذا المثل فى الحديث نفسه فالداعي هو النبي ﷺ والدار هي الجنة فمن أطاعه ﷺ واتبع ما جاء به فقد أجاب الدعوة واستحق دخول الجنة والتمتع فى نعيمها . وأما من عصى النبي ﷺ وخالفه ولم يستجب لما جاء به فذلك الذي لم يستجب لدعوته فحرم من الدخول في الدار التي هي الجنة وحرم من الأكل من المأدبة التي هي النعيم الدائم في الجنة .

وأما الحديث الثالث : فالمثل المضروب فيه يصور مدى حرصه ﷺ على حماية الأمة من الوقوع فيما يسخط الرب تبارك وتعالى ويوجب عقابه وأليم عذابه ، فهو ﷺ الموصوف بقوله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) .

---

(١) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

(٢) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .

والشاهد من الحديث قوله « أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها » ومما لا شك فيه أن اقتحام الناس للنار ناتج عن مخالفتهم لأوامر النبي ﷺ ووقوعهم فيما نهى وحذر منه فبهذا يكون هلاكهم وعذابهم .

والمتأمل لهذه الأحاديث الثلاثة وما ضرب فيها من أمثال يدرك ـ إن كان له قلب وسمع سليمان ـ ما في هذه الأحاديث من الحث على طاعة النبي ﷺ واتباعه والأجر العظيم المترتب على ذلك ،كما يدرك عظم العقوبة والخسارة المترتبة على عصيانه ومخالفته وعدم الانقياد له .

والسؤال الذي يفرض نفسه ههنا هو التالي :

هل أنت ممن أطاع البشير النذير ﷺ ؟

وهل أنت ممن أجاب الداعي ﷺ ؟

وهل أنت ممن استجاب لتحذيره ﷺ فحمى نفسه من نار جهنم .

وقبل أن تعجل بالإجابة انظر إلى أعمالك وأقوالك هل هي وفق شريعته وما جاء به ﷺ أم لا ؟ فههنا يكمن الجواب .

فيا سعادة من أطاعه واتبعه .

ويا خزي وندامة من خالفه وعصى أمره ، والله تعالى يقول : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾[2]

ج ـ حثه ﷺ لأمته على التمسك بسنته وتحذيره من مخالفتها .

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الفرقان .

(٢) الآية (٦٦) من سورة الأحزاب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

وحديث أنس هذا يعد قاعدة جليلة من قواعد التأسي والاتباع وذلك لما حواه من توجيهات هامة جدًا فى هذا الشأن منها :

١ ـ أن الابتداع فى الدين أمر مردود وغير مقبول بل يعد من الرغبة عن سنة المصطفى ﷺ والخروج عن شريعته ، ومن أجل ذلك فليس لأحد كائنًا من كان سوى النبي ﷺ ـ حتى وإن كان من أصحابه ـ أن يشرع فى هذا الدين أو يدخل فيه أمرًا حتى وإن كان ذلك بدافع التقرب إلى الله . فأولئك النفر من الصحابة رضوان الله عليهم دفعهم حب التقرب إلى الله إلى أن قالوا ما قالوه من الأمور التي تعد من الرهبانية ، ولما كان قولهم ذلك يعد مخالفة لما كان عليه النبي ﷺ من الحنيفية السمحة وجههم النبي ﷺ إلى الصواب وحذرهم من أن يحيدوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح . انظر : فتح الباري (٩ / ١٠٤) ح ٥٦٣ واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب « استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ... » انظر : (٤ / ١٢٨) .

عن سنته ويرغبوا عنها بقوله « فمن رغب عن سنتي فليس مني » والمراد أن من ترك طريقتي وأخذ طريقة غيري فليس مني .

ومن هذا الحديث يعلم أن كل أمر ليس من سنته ﷺ والشرع الذي جاء به فهو أمر مبتدع مردود على صاحبه إضافة إلى اعتبار فاعله راغبا عن سنة المصطفى ﷺ .

٢ - حثه ﷺ على التمسك بما هو عليه وهي الحنيفية السمحة فهذا ما دل عليه قوله « لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء » .

فالإسلام دين الفطرة ونبينا ﷺ حرص بقوله هذا على سد باب التشديد المتمثل فى الرهبانية فلا رهبانية فى الإسلام ، وفى هذا يقول ﷺ : « ان الرهبانية لم تكتب علينا »[(١)] فعلى هذا فهي أمر مخالف لسنته وهديه ﷺ .

وعن العرباض بن سارية[(٢)] رضي الله عنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون . فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة »[(٣)] .

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٦ / ٢٢٦) .

(٢) العرباض بن سارية السلمي أبو نجيح ، صحابي مشهور من أهل الصفة ، مات سنة خمس وسبعين للهجرة وقيل قبل ذلك . الإصابة (٢ / ٤٦٦) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) . وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة باب في لزوم السنة (٥ / ١٣ ، ١٥) ح ٤٦٠٧ وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم ، باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥ / ٤٤) ح ٢٦٧٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح =

فوصية النبي ﷺ لأصحابه ولأمته من بعدهم هي أن يتمسكوا بما سنه من أحكام وتشريعات أشد التمسك وأن يحذروا الابتداع في الدين وحكم على تلك المحدثات بالضلال والانحراف عن الطريق الذي رسمه .

وقد رسم النبي ﷺ في هذا الحديث ركيزتين أساسيتين في هذا الدين هما :

١ ـ الاتباع . ٢ ـ ترك الابتداع .

ولقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هذه الوصية النبوية وعملوا بها ، فلم يحيدوا عن سنته ﷺ ، بل عملوا بها ونقلوها للأمة المحمدية من بعدهم كما سمعوها منه ﷺ وكذلك فقد كانوا أشد الناس تمسكا بسنته ، وأشدهم محاربة للإبتداع ، فى الدين ، وقد كان فى هذا صلاحهم وفلاحهم ونجاتهم ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها .

ومن المؤسف أن كثيرًا من المسلمين فى وقتنا الحاضر قد اختلت عندهم كلا الركيزتين فتركوا الاتباع والاقتداء بسنة النبي ﷺ حتى أصبحت السنة عندهم أمرًا مستغربًا مستنكرًا لجهلهم بها وبعدهم عنها واستبدلوا بذلك البدع التي لا أصل لها ولا دليل عليها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فاتخذوها دينًا يدينون به فانعكست بذلك الموازين لديهم فأصبحوا يرون الحق باطلا والباطل حقا ، والمعروف منكرا والمنكر معروفا ، وما ذلك إلا لكونهم لم يعرفوا من الإسلام

= وابن ماجة في سننه ، في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١ / ١٦) . وابن حبان في صحيحه (١ / ١٣٩) والحاكم في المستدرك (١ / ٩٦) وصححه ووافقه الذهبي ، والآجري في الشريعة (٤٦ ، ٤٧) والدارمي في سننه ، باب اتباع السنة (١ / ٤٤ ، ٤٥) وقال الألباني : سنده صحيح ، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع ، انظر : مشكاة المصابيح (١ / ٥٨) ح ١٦٥

إلا اسمه ولا من الدين إلا رسمه بسبب ما هم عليه من قلة العلم وعدم معرفتهم بالسنة .

فأين هؤلاء من وصية المصطفى ﷺ لهم بأن يتبعوا ولا يبتدعوا .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ذروني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم »[١] .

والشاهد من الحديث قوله ﷺ « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » .

وهذا التوجيه النبوي الكريم مماثل لما سبق فى الأحاديث السابقة من الحث على لزوم السنة والتأكيد على اتباعها والأخذ بها إلا أنه يضيف أمرًا هامًا وهو أن الطاعة فى جانب المأمورات تجب فى حدود الإستطاعة والطاقة ، وهذا من اليسر الذي امتازت به الرسالة المحمدية قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢] .

ففي جانب الأوامر علينا السمع والطاعة فى حدود ما نطيق ونستطيع أما في جانب النواهي فيجب التسليم المطلق دون قيد أو شرط .

فبهذه الإضافة يتحدد معلم من معالم الطاعة يجب على المسلم أن يدركه ويعي مضمونه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥١) ح ٧٢٨٨ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر (٤ / ١٠٢) .

(٢) الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .

د ـ بيانه لمواقف الناس من الأخذ بدعوته واتباع سنته ﷺ .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله منها الناس، فشربوا منها ، وسقوا ، وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به فعَلِمَ وَعلَّمَ ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »[1] .

وفى هذا الحديث قَسَّم النبي ﷺ الناس ـ فيما يتصل بدعوته ـ إلى ثلاثة أقسام . وشبه ﷺ العلم الذي جاء به بالغيث لأن كلًا منهما سبب الحياة ، فالغيث سبب حياة الأبدان ، والعلم سبب حياة القلوب .

وشبه القلوب بالأودية كما فى قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[2] .

وكما أن الأراضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث :

إحداها : أرض زكية قابلة للشراب والنبات ، فإذا أصابها الغيث ارتوت ، ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج .

فذلك مثل القلب الزكي الذكي ، فهو يقبل العلم بذكائه ، فيثمر فيه وجوه الحكم ودين الحق بزكائه ، فهو قابل للعلم ، مثمر لموجبه وفقهه وأسرار معادنه .

والثانية : أرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه ، فهذه تنفع الناس لورودها

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٥

(٢) الآية (١٧) من سورة الرعد .

والسقي منها والازدراع .

وهو مثل القلب الحافظ للعلم الذي يحفظه كما سمعه ، فلا تصرف فيه ، ولا استنبط ، بل للحفظ المجرد فهو يؤدي كما سمع ، وهو من القسم الذى قال فيه النبي ﷺ : « فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه »[1] .

فالأول : كمثل الغني التاجر الخبير بوجوه المكاسب والتجارات فهو يكسب بماله ما شاء .

والثاني : مثل الغني الذي لا خبرة له بوجوه الربح والمكسب ، ولكنه حافظ لما لا يحسن التصرف والتقلب فيه .

والأرض الثالثة : أرض قاع ، وهو المستوي الذى لا يقبل النبات ، ولا يمسك ماءً ، فلو أصابها من المطر ما أصابها لم تنتفع منه بشيء .

فهذا مثل القلب الذي لا يقبل العلم والفقه والدراية ، وإنما هو بمنزلة الأرض البور التي لا تنبت ولا تحفظ ، وهو مثل الفقيرالذي لا مال له ولا يحسن يمسك مالا .

فالأول : عالم معلم ، وداع إلى اللّه على بصيرة ، فهذا من ورثة الرسل .

والثاني : حافظ مؤد لما سمعه ، فهذا يحمل لغيره ما يتجر به المحمول إليه ويستثمر .

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن (٢ / ١٨٨) كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٨٧) وقال : « وفي الباب عن جماعة من الصحابة » وقد جمع طرق هذا الحديث الشيخ عبد المحسن العباد في كتاب سماه « دراسة حديث « نضر اللّه امرءا سمع مقالتي ... » رواية ودراية » . وذكر أن الحديث صحيح وبلغ حد التواتر .

والثالث : لا هذا ولا هذا ، فهو الذي لم يقبل هدى اللّٰه ولم يرفع به رأسا
فاستوعب هذا الحديث أقسام الخلق في الدعوة النبوية ومنازلهم .
منها قسمان : قسم سعيد ، وقسم شقي »[١]

○○○○

---

(١) الرسالة التبوكية (ص ٥٥ ، ٥٦) .

المطلب الثالث

دليل الإجماع على وجوب طاعته

الإجماع من الأمة منعقد على وجوب طاعة الرسول ﷺ واتباعه في جميع ما جاء به من ربه عز وجل ، وذلك لثبوت الأمر بهذا في كتاب اللّٰه وسنة رسوله ﷺ . بل إن الأمر بوجوب طاعته ﷺ يعد من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر إنسان بجهلها .

وقد حكى الشافعي رحمه اللّٰه تعالى اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، على أن من استبانت له سنة رسوله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

ولم يسترب أحد من أئمة الإسلام في صحة ما قاله الشافعي فإن الحجة الواجب اتباعها على الخلق كافة إنما هو قول المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى [(١)].

وقد تمثل إجماع الأمة على وجوب طاعة الرسول ﷺ واتباعه فى اعتبار السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وذلك بعد المصدر الأول الذي هو القرآن الكريم[(٢)] .

والمقصود بالسنة هنا ما صح عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته .

فالصحابة والتابعون وتابعوهم ومن سار على نهجهم يؤمنون بهذا الأصل الذى هو سنة المصطفى ﷺ ، ويوجبون العمل والاحتجاج بها ، ويعتبرونها مصدرًا مستقلا فى التشريع ، فلا يجب عرض ما جاء عنه ﷺ على القرآن ، بل يجب اتباعه وطاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن .

---

(١) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٣٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٣٣٩) .

ولقد كان من مظاهر ذلك الإجماع الاعتناء بسنته وحفظها ونقلها ، وتعليمها فى كل عصر من العصور .

فلقد اعْتُني بالسنة فنقلها الخلف عن السلف ، وحافظوا عليها ، ووضعوا لها القواعد التي اعتنت بسلامتها سندًا ومتنًا .

والنقول عن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم في وجوب طاعته ﷺ واتباع ما جاء به وتعظيمهم لسنته والعمل بها كثيرة جدًا . ومن تلك النقول ما يلي :

أ ـ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

* أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . فقال له عمر رضي الله عنه : كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها » . فقال أبو بكر الصديق : أليست الزكاة من حقها ؟ والله لو منعوني عناقًا[1] كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . فقال عمر رضي الله عنه : فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق »[2] .

---

(١) العناق هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة . النهاية (٣ / ٣١١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، انظر : فتح الباري (٣ / ٢٦٢) ح ١٣٩٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١ / ٢٨) .

فهذه الحادثة تمثل مدى تمسك خليفة رسول الله ﷺ بما كان عليه الرسول ﷺ وحرصه على تطبيق شرعه فى وقت ارتد فيه أكثر العرب فى جزيرة العرب ، ولم يبق على الإسلام سوى أهل المدينة ومكة والطائف ، ولقد تابع الصحابة أبا بكر فى موقفه ذلك فقاتلوا أهل الردة بما فيهم مانعي الزكاة فكان موقفهم ذلك أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها .

وقد جاءت الجدة إلى الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها : ليس لك فى كتاب الله شيء ، ولا أعلم أن رسول الله ﷺ قضى لك بشيء وسأسأل الناس . ثم سأل رضي الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بأن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس فقضى لها بذلك[1] .

وفي هذا دليل على : تمسك الصديق بسنة المصطفى والعمل بها ، وقال رضي الله عنه : « لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ »[2] .

وعن ابن سيرين[3] قال : لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة (ص ٣٤٦) رقم ١٠٨٧ وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الجدة (٣ / ٣١٦ ، ٣١٧) ح ٢٨٩٤ ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الجدة (٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠) ح ٢١٠٠ ، ٢١٠١ ، وأخرجه ابن ماجه في السنن ، أبواب الفرائض ، باب ميراث الجدة (٢ / ١٢٠) ح ٢٧٥٦

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فرض الخمس ، باب فرض الخمس فتح الباري (٦ / ١٩٧) ح ٣٠٩٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ « لا نورث وما تركنا صدقة » (٥ / ١٥٥)

(٣) محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم ، مولى أنس بن مالك ، تابعي جليل كان إمام وقته ، مات سنة ١١٠ هـ . تهذيب التهذيب (٩ / ٢١٤ ، ٢١٧) .

رضي الله عنه ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر رضي الله عنه وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلا ، ولا في السنة أثرا فاجتهد برأيه ، ثم قال هذا رأيي فإن كان صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني واستغفر الله »[١] .

* عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ورد عنه أنه كان يقول : « إن أصدق القيل قيل الله ، ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ضلالة .... »[٢]

وكان عمر رضي الله عنه يوصي عماله أن يقضوا بين الناس بكتاب الله فإن لم يجدوا القضية في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ فعن الشعبي[٣] عن شريح[٤] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه الرجال ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد من قبلك فاختر أي الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وإن

(١) إعلام الموقعين (١ / ٥٤) .

(٢) السنة للالكائي (١ / ٨٤) ح ١٠٠ ، والبدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٢٤) .

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي : أصله من حِمير اليمن ، قال فيه مكحول « ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية من الشعبي وقد تولى القضاء في عهد عمر بن عبد العزيز على الكوفة ، توفي سنة ١٠٥ هـ وقيل قبل ذلك . تهذيب التهذيب (٥ / ٦٥ - ٦٩) .

(٤) شريح بن الحارث بن قيس الكندي ، القاضي ، مخضرم ، ثقة ، استقضاه عمر . مات قبل الثمانين أوبعدها . تهذيب التهذيب (٤ / ٣٢٦ ، ٣٢٨) .

شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرًا لك »[١].

وروى البخاري بسنده عن أبي وائل[٢] قال : جلست إلى شيبة في هذا المسجد ، قال : جلس إلي عمر في مجلسك هذا فقال : هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين . قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لم يفعله صاحباك . قال : هما المرءان يقتدى بهما »[٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قيل لعمر ألا تستخلف ؟ قال إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ . فأثنوا عليه ، فقال : راغب وراهب[٤]وددت أني نجوت منها كفافًا لا لي ولا علي لا أتحملها حيًا وميتًا »[٥].

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (١ / ٦٠) ، وأورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٤٦) وعزاه للبيهقي والدارمي .

(٢) شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي ، أدرك النبي ﷺ ولم يره . قال ابن معين : « ثقة لا يسأل عن مثله » مات سنة ٨٢ هـ . تهذيب التهذيب (٤ / ٣٦١ ، ٣٦٣) .

(٣) أخرجه في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ١٢٧٥ .

(٤) قال ابن حجر : « قال ابن بطال : يحتمل أمرين : أحدهما : أن الذين أثنوا عليه إما راغب في حسن رأيي فيه وتقربي له ، وإما راهب من إظهار ما يضمره من كراهته . أو المعنى راغب فيما عندي وراهب مني . أو المراد الناس راغب في الخلافة وراهب منها ، فإن وليت الراغب فيها خشيت أن لا يعان عليها ، وإن وليت الراهب منها خشيت أن لا يقوم بها .
وذكر القاضي عياض توجيها آخر : أنهما وصفان لعمر أي راغب فيما عند الله ، وراهب من عقابه فلا أعول على ثنائكم وذلك يشغلني عن العناية بالاستخلاف عليكم فتح الباري (١٣ / ٢٠٧) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف واللفظ له . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٠٥ ، ٢٠٦) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الاستخلاف وتركه (٦ / ٤ ، ٥) .

وجاء في رواية لمسلم قال عبد الله : فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحدًا وأنه غير مستخلف »[١].

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه تمسك بسنة رسول الله ﷺ وقدمها على سنة أبي بكر مع أن العمل بها جائز عنده .

ولما قَبَّلَ رضي الله عنه الحجر الأسود قال : « أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك »[٢].

* عثمان بن عفان[٣] رضي الله عنه :

عن زينب بنت كعب بن عجرة[٤] أن الفريعة بنت مالك بن سنان[٥] وهي أخت أبي سعيد الخدري ، أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلي أهلها في بني خدرة ، وأن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه . قالت : فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يترك لي مسكنًا يملكه ولا نفقة . قالت : فقال

---

(١) أخرجه في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الاستخلاف وتركه (٦ / ٥)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب الرمل في الحج والعمرة ، واللفظ له .
انظر : فتح الباري (٣ / ٤٧١) ح ١٦٠٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (٤ / ٦٧) .

(٣) عثمان بن عفان ، ولد بعد الفيل بست سنين ، أسلم على يد الصديق ، وقد تزوج بنتي رسول الله ﷺ : رقية وأم كلثوم ولذلك سمي ذا النورين ، وقد ولي الخلافة سنة ٢٤ هـ وقعت في عهده الفتنة فقتل رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ . تهذيب التهذيب (٧ / ١٣٩ ، ١٤٢) .

(٤) زينب بنت كعب بن عجرة صحابية تزوجها أبو سعيد الخدري . الإصابة (٤ / ٣١٢) .

(٥) الفريعة بنت مالك بن سنان الخدرية ، صحابية جليلة وقصتها مذكورة في الحديث الذي معنا . الإصابة (٤ / ٣٧٥) .

رسول الله ﷺ : « نعم » . قالت : فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة (أو في المسجد) ناداني رسول الله ﷺ « أو أمر بي فنوديت له » ، فقال : « كيف قلت ؟ » قالت : فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي . قال : « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » . قالت : فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا . قالت : فلما كان عثمان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته وقضى به[1] .

والشاهد من هذا الحديث أن عثمان لما أشكل عليه حكم اعتداد المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها ، أرسل إلى الفريعة بنت مالك يسألها فأخبرته أن النبي ﷺ أمرها بعد وفاة زوجها أن تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله .

فقضى عثمان رضي الله عنه بسنة المصطفي ﷺ .

* علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لما بلغه أن عثمان رضي الله عنه ينهي عن متعة الحج ، أهل علي رضي الله عنه بالعمرة والحج جميعا وقال : « ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد »[2] .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : « ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢ / ٥٩١) في الطلاق ، باب مقام المتوفي عنها زوجها في بيتها وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الطلاق ، باب في المتوفي عنها تنتقل (٢ / ٧٢٣ ، ٧٢٤) ح ٢٣٠٠ وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الطلاق ، باب ما جاء أين تعتد المتوفي عنها زوجها واللفظ له ، وقال : هذا حديث حسن صحيح (٣ / ٥٠٨) ح ١٢٠٤ وأخرجه النسائي ، في السنن الصغرى ، كتاب الطلاق باب مقام المتوفي عنها زوجها في بيتها حتى تحل (٦ / ١٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب التمتع والقران والإفراد بالحج ... انظر فتح الباري (٣ / ٤٢١) وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب جواز التمتع (٤ / ٤٦) .

أعمل بكتاب الله وسنة محمد ﷺ ما استطعت »[(١)] .

*** أبي بن كعب رضي الله عنه[(٢)] :**

روي عنه أنه قال : « عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدًا ، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة ، فتحات عنها ورقها ، إلا حط الله خطاياه كما تحات من الشجرة ورقها ، فإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة بدعة ، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون على منهج الأنبياء وسنتهم »[(٣)] .

*** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :**

روي عنه أنه قال : « من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ لم يدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل »[(٤)] .

وعنه رضي الله عنه قال : « عليك بتقوى الله والاستقامة واتبع ولا تبتدع »[(٥)]

---

(١) أورده القاضي عياض في الشفا (٢ / ٥٥٦) .

(٢) أبي بن كعب الأنصاري ، كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرا فما بعدها سيد القراء وهو أول من كتب للنبي ﷺ توفي سنة ٢٢ هـ . الإصابة (١ / ٣١ - ٣٢) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢ / ٢١ ، ٢٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ / ٥٤) وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١ / ٥٧) وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ، باب تغيير البدع (ص ٣٨) . وأورده الشاطبي في الاعتصام (١ / ٨١) .

(٥) أخرجه الدارمي في سننه ، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١ / ٥٣) .

* عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

روي عنه رضي الله عنه أنه قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[١] وعنه أنه قال : « إنا نقتدي ولا نبتدئ ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر »[٢].

وعنه رضي الله عنه أنه قال : « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة »[٣] .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

فعن سالم بن عبد الله[٤] أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها » .

فقال بلال بن عبد الله[٥] والله لنمنعهن . قال : فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط . وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعهن[٦] .

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ، باب في كراهة أخذ الرأي (١ / ٦٩) وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ، باب ما يكون من بدعة (ص ١٠) وأخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٨٦) ح ١٠٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨١) رجاله رجال الصحيح

(٢) أخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٨٦) ح ١٠٦

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ١٠٣) وقال على شرطهما وأقره الذهبي ، واللالكائي في السنة (١ / ٥٥) ح ١٤ ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١١) وابن عبد البر في جامعه (٢ / ٢٣٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨٨) رجاله ثقات .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أحد فقهاء المدينة السبعة ومن أفاضل التابعين ، مات سنة ١٠٦ هـ . تهذيب التهذيب (٣ / ٤٣٧ ، ٤٣٨) .

(٥) بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين وعده يحيى القطان في فقهاء أهل المدينة . تهذيب التهذيب (١ / ٥٠٤) .

(٦) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد (٢ / ٣٢) .

*** حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :**

قال رضي الله عنه : « يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا ، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا »[١] .

قال ابن حجر : « فقوله : « يا معشر القراء » المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العباد . وقوله : « استقيموا » أي اسلكوا طريق الاستقامة وهي كناية عن التمسك بأمر الله فعلا وتركا . وقوله « سبقتم » بفتح أوله كما جزم به ابن التين وحكى غيره ضمه والأول المعتمد ، والمراد أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير لأن من جاء بعده أن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام ، وإلا فهو أبعد منه حسًا وحكمًا . وقوله « فإن أخذتم يمينًا وشمالًا « أي خالفتم الأمر المذكور . وكلام حذيفة منتزع من قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٢] .[٣]

ب ـ من أقوال التابعين ومن بعدهم :

عمر بن عبد العزيز[٤] رحمه الله تعالى :

فمما نقل عنه أنه كتب عامل له يسأله عن الأهواء ؟

فكتب إليه « أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنته

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥٠) .

(٢) الآية (١٥٣) من سورة الانعام .

(٣) فتح الباري (١٣ / ٢٥٧) باختصار يسير .

(٤) عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الأموي الصالح عده بعضهم خامس الخلفاء ، ولي الخلافة عام ٩٩ هـ وتوفي عام ١٠١ هـ وله أخبار في العدل والزهد كثيرة . تذكرة الحفاظ (١ / ١١٨) .

وسنة رسوله ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ... »[1]

وروي عنه أنه قال : « سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا ، الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، من عمل بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا »[2] .

محمد بن مسلم الزهري[3] :

روي عنه أنه قال : كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة ، والعلم يقبض قبضًا سريعًا ، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا ، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله[4] .

مجاهد بن جبر[5] :

روي عنه أنه قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية .

---

(١) الشريعة للآجري (ص ٤٨) وكتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٣٠) وكتاب الإعتصام للشاطبي (١ / ٥٠) وجامع بيان العلم وفضله (ص ٢١) .

(٢) الشريعة للآجري (ص ٤٨) وجامع بيان العلم وفضله (٢ / ٣٢) والإعتصام للشاطبي (١ / ٨٧) .

(٣) تابعي من أهل المدينة ، أول من دون الحديث وهو من كبار الحفاظ الفقهاء ، لقي بعض الصحابة قال مالك : « بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير » توفي عام ١٢٤ هـ .
التذكرة (١٠٨) والبداية (٩ / ٣٤٠) .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (١ / ٤٥) باب اتباع السنة .

(٥) هو مجاهد بن جبر المكي تابعي إمام في التفسير ، مات في السجود عام ١٠٤ هـ وقيل ١٠٣ هـ .
التذكرة (٩٢) ، والتهذيب (١٠ / ٤٢) .

قال الرد إلى الله : الرد إلى كتابه . والرد إلى الرسول ، الرد إلى السنة »[١].

أبو العالية[٢] :

روي عنه أنه قال : « تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا الصراط يمينًا أو شمالًا ، وعليكم بسنة نبيكم ، وما كان عليه أصحابه »[٣] .

أيوب السختياني[٤] :

روي عنه أنه قال : « إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضال »[٥] .

ج ـ الأئمة الأربعة :

١ـ أبو حنيفة النعمان[١] :

روي عنه قوله رحمه الله : « إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين ،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨ / ٥٠٥) .
(٢) أبو العالية رُفيع ـ بضم الراء مصغرا ـ بن مهران الرياحي ـ مولى امرأة من بني رياح ، قال أبو بكر ابن أبي داود : « ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية ، توفي عام ٩٣ هـ التذكرة (٦١) والطبقات (٧ / ١١٢) واللباب (٢ / ٤٦) .
(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٣٢) وأورده الشاطبي في الإعتصام (١ / ٨٥)
(٤) هو : أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني ـ بفتح السين ـ نسبة إلى عمل السختيان وبيعه ـ وهي الجلود الضأنية ـ قال ابن سعد « كان أيوب ثقة ثبتًا في الحديث جامعًا عدلًا ورعًا كثير العلم حجة » توفي سنة ١٣١ هـ . انظر : الطبقات (٧ / ٢٤٦) واللباب (٢ / ١٠٨)
(٥) أورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٣٥) وعزاه للبيهقي .
(١) أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي ، أحد الأئمة الأربعة وإليه ينتسب الأحناف ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفي سنة ١٥٠ هـ . البداية (١٠ / ١٠٧) .

وإذا جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ نختار من قولهم ، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم[١] »

وروي عنه قوله : « آخذ بكتاب الله ، فما لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد في كتاب الله ، ولا سنة أخذت بقول أصحابه ، آخذ بقول من شئت منهم ، وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ... »[٢].

٢ـ مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) :

قال رحمه الله تعالى : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا »[٣]. وكان رحمه الله كثيرًا ما يقول :

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع[٤]

ومن قوله كذلك : « قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل ، فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله ﷺ ولا نتبع الرأي »[٥].

وجاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة فقال له : قال رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فقال الرجل : أرأيت ، فقال مالك : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٦] [٧]

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ١١١) بتحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي .

(٢) المدخل إلى السنن (ص ٢٠٤) .

(٣) الإعتصام للشاطبي (١ / ٤٩) .

(٤) الاعتصام للشاطبي (١ / ٨٥) .

(٥) المصدر السابق (١ / ١٠٥) .

(٦) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٧) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٢٠١) .

٣ ـ محمد بن إدريس الشافعي :

ورد عنه أنه قال : « الحجة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتفاق الأئمة »[١].

وقال : « ليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها »[٢]

وروى رحمه الله يوما حديثًا فقال له رجل : أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : متى ما رويت عن رسول الله حديثًا صحيحًا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب »[٣].

وروي عنه أنه قال : « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت »[٤].

وروي عنه أنه قال : « آمنت بما جاء عن الله ، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله »[٥].

٤ ـ أحمد بن حنبل (إمام أهل السنة) :

ورد عنه قوله : « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين .

---

(١) رسالة التقليد لابن القيم (ص ٨٣) .

(٢) الشفا (٢ / ٥٥٨) .

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٢٠٥) رقم ٢٥٠ وأخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ٦٧) وأبو نعيم في الحلية (٩ / ١٠٦) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ١٥٠) وأورده السيوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص ٤٩ ، ٥٠)

(٤) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ١٥٠) والمدخل إلى السنن (ص ٢٠٥) والحلية (٩ / ١٠٧) .

(٥) مجموع الفتاوى (٤ / ٢) .

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن ، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي الاتباع وترك الهوى »[١] .

وقال ايضا : « الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه ثم هو بعد مع التابعين مخير »[٢] .

وما أوردته من آثار وأقوال عن السلف ههنا إنما هو عبارة عن نماذج لما ورد عنهم في هذا الشأن[٣] .

ويتضح من خلال تلك النصوص إجماع سلف الأمة وأئمتها على وجوب الأخذ بسنة المصطفي ﷺ والتمسك بها في كل الجوانب واتباع ما جاء به ﷺ اعتقادا وقولا وعملا . والتحذير من مخالفة السنة والابتداع فيها وتقديم الهوى والرأى عليها .

○ ○ ○ ○

---

(١) السنة للالكائي (١ / ١٥٦)

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار (ص ١١٣) .

(٣) من أراد الاستزادة من أقوال السلف في هذا الشأن فعليه بالكتب التالية :

أ ـ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي .

ب ـ المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي .

ج ـ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي

د ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي .

المبحث الثاني

منهج السلف في اتباعه وطاعته ﷺ

● وفيه مطلبان :

المطلب الأول : منهجهم في الاتباع .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ اتباع القرآن الكريم .

ب ـ اتباع سنته ﷺ والعمل بها .

ج ـ أخذهم بدليل الإجماع وأقوال الصحابة والقياس الذي لا يصادم النص الشرعي .

المطلب الثاني : محاربة السلف لما يناقض الاتباع .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ محاربتهم للبدعة .

ب ـ محاربتهم للتقليد .

ج ـ محاربتهم للرأي الباطل .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

منهجهم في الاتباع

بعث اللّه تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالرسالة الجامعة الخاتمة ألا وهي رسالة الإسلام التي ارتضاها عز وجل لتكون دينا ومنهاجا ، يسير عليه الجن والإنس في حياتهم الدنيا حتى يتم لهم صلاح معاشهم الذي هم فيه ، ومعادهم الذي سيصيرون إليه .

ولقد شاء تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الرسالة مصدرين للتلقي هما :

١ ـ القرآن الكريم . ٢ ـ السنة النبوية .

فالقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام وهو كلام اللّه المنزل على رسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام .

والسنة هي المصدر الثاني لأنها مبينة لأحكامه موضحة لإبهامه ومخصصة لعمومه ومقيدة لإطلاقه وشارحة لأحكامه وأهدافه .

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

فالرسول ﷺ كما خص بالوحي المتلو وهو القرآن الكريم كذلك خص بالوحي غير المتلو وهو السنة التي لا مندوحة عن اتباعها .

---

(١) الآية (٤٤) من سورة النحل .

(٢) الآية (٦٤) من سورة النحل .

قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ . وقال ﷺ : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »[١]. وبناء على ذلك فإن القرآن والسنة هما المنهلان العظيمان اللذان تستقي منهما الأمة المسلمة عقيدتها وشريعتها وكل ما فيه صلاح شؤونها في دنياها وآخرتها وهما المنهاج والنبراس الذي سار عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ، في طاعتهم واتباعهم للنبي ﷺ ، وذلك لاعتقادهم أن النبي ﷺ قد جاء بهذين الأصلين وحيا من عند اللّه عز وجل ، كما أنه أمر باتباعهما والأخذ بما فيهما اعتقادا وقولا وعملا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[٢]

فهم من هذا المنطلق التزموا وتمسكوا بالقرآن والسنة وتلقوهما بالقبول والتسليم والإيمان والتعظيم فأحلوا حلالهما وحرموا حرامهما واتخذوا منهما منهجًا لجميع شؤونهم وأحوالهم يرجعون إليه امتثالا لنداء اللّه حيث قال : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٣] .

قال ابن القيم : « إن الناس أجمعوا أن الرد إلى اللّه سبحانه هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته »[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٥ / ١٠) ح ٤٦٠٤ وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٢٤٣) .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) الآية (٥٩) من سورة النساء .

(٤) اعلام الموقعين (١ / ٤٩ ، ٥٠) .

ومن هذين الأصلين ـ الكتاب والسنة ـ استقى السلف المسلك القويم والمنهج السليم الذي ساروا عليه في طاعتهم واتباعهم لرسولهم ونبيهم محمد ﷺ وهذا المنهج يمكن تلخيصه في النقاط الرئيسية التالية :

أولا : اتباع القرآن الكريم :

فالقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وحيًا بواسطة جبريل عليه السلام ، والذي تولىٰ الله سبحانه وتعالى حفظه بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١] .

كما جعله نظامًا ومنهجًا يهتدي به عباده المؤمنون كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] .

ولقد اعتنى السلف بكتاب الله عز وجل فحفظوه في صدورهم ومصاحفهم وصاروا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، وينفذون أحكامه وشرائعه جيلا بعد جيل في جميع جوانب حياتهم الفردية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغيرها من الأمور الدنيوية والأخروية .

كما تفرغ عبر القرون ثلة من خيارهم لدراسته وتفسيره واستنباط أحكامه ومعرفة ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، والاعتبار بدعوته وقصصه ، ووعظه وإرشاداته وأمثاله .

وهذا الموقف من السلف الصالح يمثل مظهرا من مظاهر التأسي والاقتداء بما كان عليه النبي ﷺ ، كما يعد تطبيقا عمليا لما أوصى به عليه الصلاة والسلام أمته

---

(١) الآية (٩) من سورة الحجر .

(٢) الآية (٢) من سورة البقرة .

حيث قال : « تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب اللّه ... »[١]

ثانيا : اتباع سنته ﷺ والعمل بها :

فلقد أوجب اللّه على العباد طاعة رسوله ﷺ واتباعه وقد تقدم إيراد الأدلة على ذلك[٢] .

ولقد عمل السلف بما أوجبه اللّه تعالى فأخذوا بسنة نبيهم ﷺ وعملوا بها أمرًا ونهيًا وخبرًا ، فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته هي المصدر الثاني بعد كتاب اللّه عز وجل الذي تستقي منه الأمة أحكامها وتشريعاتها في شتى شؤون حياتها .

ويعتقد السلف أن للسنة استقلاليتها في تشريع الأحكام وهي كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام ، فالأحكام التي سكت القرآن عن بيان حكمها وورد في السنة بيانها ، فإن السلف يعملون بهذه الأحكام ويأخذون بها ، ولا يرون أن هناك تعارضا البتة بين الأصلين .

كما يعتقد السلف أن علاقة السنة بالمصدر الأول الذي هو القرآن تسير وفق الأوجه الثلاثة التالية :

١ـ أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه ، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها وذلك مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم من غير تعرض لشرائطها وأركانها .

٢ ـ أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرًا له ، وذلك مثل الأحاديث التي فصلت أحكام وهيئات الصلاة والصيام والحج والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن ، وهذا القسم هو أغلب ما في السنة وأكثرها ورودًا .

(١) تقدم تخريجه ص ١٢٠

(٢) انظر : المبحث الأول من هذا الفصل .

٣ ـ أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن على إيجابه ، أو محرمة لما سكت عن تحريمه ، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وأحكام الشفعة وغير ذلك .

فالسنة الصحيحة لا تخرج عن هذه الضوابط ، كما أنها لا تعارض القرآن بوجه ما ، فما كان منها زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته ، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله ، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله التي أمر الله بها على جهة الاستقلال فقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ فهذه الطاعة المأمورون بها هي طاعة مختصة به ﷺ[1] .

ويجب علينا العمل بها .

فالسلف يؤمنون « بأن الله سبحانه نصّب رسول الله ﷺ منصب المبلغ المبين عنه ، فكل ما شرعه للأمة فهو بيان منه عن الله أن هذا شرعه ودينه ، ولا فرق بين ما يبلغه عنه من كلامه المتلو ومن وحيه الذي هو نظير كلامه في وجوب الاتباع ، ومخالفة هذا كمخالفة هذا .

فعلى سبيل المثال فإن الله أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ، ثم جاء البيان عن رسوله ﷺ بمقادير ذلك وصفاته وشروطه ، فوجب على الأمة قبوله ، إذ هو تفصيل لما أمر الله به ، كما يجب علينا قبول الأصل المفصل ، وهكذا أمر الله سبحانه بطاعته وطاعة رسوله ، فإذا أمر الرسول بأمر ، كان تفصيلًا وبيانًا للطاعة المأمور بها ، وكان فرض قبوله

---

(١) إعلام الموقعين (٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨) .

كفرض قبول الأصل المفصل ، ولا فرق بينهما ، والبيان من النبي ﷺ على أقسام :

أحدها : بيان نفس الوحي بظهوره على لسانه بعد أن كان خفيا .

الثاني : بيان معناه وتفسيره لمن احتاج إلى ذلك كما بين أن الظلم المذكور في قوله ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾[1] هو الشرك وأن الحساب اليسير هو العرض وأن الخيط الأبيض والأسود هما بياض الليل وسواد النهار .

الثالث : بيانه بالفعل كما بين أوقات الصلاة للسائل بفعله .

الرابع : بيان ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن فنزل القرآن ببيانها ، كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره .

الخامس : بيان ما سئل عنه بالوحي وإن لم يكن قرآنا ، كما سئل عن رجل أحرم في جبة بعدما تضمخ بالخلوق فجاء الوحي بأن ينزع عنه الجبة ويغسل أثر الخلوق .

السادس : بيانه للأحكام بالسنة ابتداءً من غير سؤال ، كما حرم عليهم لحوم الحمر ، والمتعة ، وصيد المدينة ، ونكاح المرأة على عمتها وخالتها،وأمثال ذلك .

السابع : بيانه للأمة جواز الشيء بفعله هوله ، وعدم نهيهم عن التأسي به .

الثامن : بيان جواز الشيء بإقراره لهم على فعله وهو يشاهده ، أو يعلمهم يفعلونه .

التاسع : بيانه إباحة الشيء عفوا بالسكوت عن تحريمه وإن لم يأذن فيه نطقًا .

العاشر : أن يحكم القرآن بإيجاب شيء أو تحريمه أو إباحته ويكون لذلك الحكم شروط وموانع وقيود وأوقات مخصوصة وأحوال وأوصاف ، فيحيل الرب سبحانه وتعالى على رسوله في بيانها كقوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا

---

(١) الآية (٨٢) من سورة الأنعام .

وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾[١] فالحل موقوف على شروط النكاح وانتفاء موانعه وحضور وقته وأهلية المحل »[٢] .

ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية السنة ومكانتها ودورها في التشريع انطلقت أفعال السلف مترجمة لهذا التصور فكان من تلك الأفعال أن اعتنى السلف بالسنة فتظافرت جهود العلماء من لدن الصحابة والتابعين على حفظ السنة والعناية بها وصيانتها فحظيت منذ ذلك الحين بسياج من الحماية منقطع النظير ، وقد اتبع الصحابة في ذلك كل سبيل يحفظ للسنة نورها وصفاءها ، وكان من ذلك التحري والتثبت في روايتها خشية الوقوع في الخطأ وخوفًا من أن يتسرب إليها التصحيف والتحريف ، بل إن بعضهم فضل الإقلال من الرواية .

قال ابن قتيبة[٣] « كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا من الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي .

وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر والزبير[٤] وأبي عبيدة[٥] والعباس بن عبد المطلب . يقلون الرواية عنه بل كان

---

(١) الآية (٢٤) من سورة النساء .

(٢) أعلام الموقعين (٢ / ٣١٤ ، ٣١٥) .

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، صاحب التصانيف ، صدوق قليل الرواية ، توفي سنة ٢٧٦ هـ . لسان الميزان (٣ / ٣٥٧ - ٣٥٩) .

(٤) الزبير بن العوام : من أول من أسلم بمكة ، كان يسميه رسول الله ﷺ « حواريه » لمحبته له ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، قتل سنة ٣٦ هـ . الإصابة (١ / ٥٢٦ - ٥٢٨) .

(٥) أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة السابقين إلى الإسلام ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها ، توفي سنة ١٨ هـ . الإصابة (٢ / ٢٤٣ - ٢٤٥) .

بعضهم لا يكاد يروى شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[١] وهو أحد العشر المشهود لهم بالجنة »[٢] .

ولقد تبعهم من بعدهم من التابعين ومن بعدهم على ذلك .

وكما احتاط السلف في التحديث احتاطوا وتثبتوا كذلك في قبول الأخبار عن رسول الله ﷺ ، قال الذهبى : « كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب[٣] عن قبيصة بن ذؤيب[٤] أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال : لا أجد لك في كتاب الله شيئًا وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة وقال سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس . فقال : هل معك غيرك فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه »[٥] .

واستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في إملاص المرأة[٦] . فقال المغيرة بن شعبة[٧] : شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة .

---

(١) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، شهد أحدًا والمشاهد بعدها وكان من فضلاء الصحابة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة توفي بالمدينة سنة خمسين وقيل بعد ذلك . الإصابة (٢ / ٤٤) .

(٢) كتاب تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينوري (ص ٣٠) .

(٣) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، تقدمت ترجمته (ص ١٧٨) .

(٤) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي ، تابعي ثقة ، ولد عام الفتح ، وكان من فقهاء أهل المدينة وصالحيهم ، مات سنة ٨٦ هـ وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (٨ / ٣٤٦ ، ٣٤٧) .

(٥) تقدم تخريجه ص ٢٠٤

(٦) هو أن تزلق الجنين قبل وقت الولادة . النهاية (٤ / ٣٥٦) .

(٧) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، صحابي جليل ، أسلم قبل عمرة الحديبية ، وشهدها وبيعة الرضوان ، وكان من دهاة العرب . مات سنة خمسين عند الأكثر . الإصابة (٣ / ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

فقال عمر : ائتني بمن يشهد معك . قال فشهد له محمد بن مسلمة[١][٢].

وحدث لعمر مثل هذه الحادثة مع كثير من الصحابة منهم أبي بن كعب وأبو موسى وفي رواية قال عمر لأبي موسى : « أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ »[٣] .

وعن علي رضي الله عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعني الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه غيري استحلفته فإذا حلف لي صدقته .. »[٤]

وهذا التثبت من الصحابة رضوان الله عليهم كان الحامل لهم عليه هو ألا يسترسل الناس في رواية الحديث ويتساهلوا فيه من غير تحر وتثبت كاف فيقعوا في الكذب على رسول الله ﷺ من حيث شعروا أو لم يشعروا ، ويدلك على ذلك قول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعرى « أما إني لم اتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ » .

وهذه الشواهد عن ثلاثة من الخلفاء الراشدين تترجم حرصهم وجهودهم في المحافظة على السنة بأن لا يشوبها ما ليس منها .

وقد تتابعت الجهود من الصحابة ومن جاء بعدهم على حفظ السنة وحمايتها إلى أن قعدت القواعد ووضعت الضوابط التي يعرف بها قوة الحديث أو وهنه وكان من تلك الضوابط علم إسناد الحديث فقد اعتني بهذا الجانب منذ وقت

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٣

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القسامة ، باب دية الجنين (٥ / ١١١ ، ١١٢) .

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢ / ٩٦٤) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢) ، وأخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب أقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة (١ / ٤٤٦) ح ١٣٩٥

مبكر ، واهتم به العلماء حتى جعلوه من الدين قال عبد الله بن المبارك »[١] « الإسناد من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء « وقال : « بيننا وبين القوم قوائم » يعني الإسناد[٢] .

ولقد اشتغل علماء الحديث بنقد الرواة وبيان حالهم ومن تقبل روايته ومن لا تقبل من خلال دراسة الراوي سيرة وتاريخًا ومعتقدًا وسلوكًا ، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم ، وقد قيل ليحي بن سعيد القطان[٣]« أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمي أحب الى من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول : لِمَ لَمْ تَذبَّ الكَذِبَ عَنْ حَدِيثي[٤] » .

وهذه لمحة واشارة لما بذله السلف من جهود في حفظ السنة والذب عنها لتبقى منهلا صافيا تستقي منه الأمة أمور دينها ودنياها وآخرتها حتى يتحقق لها اتباع رسولها محمد ﷺ الذي أمر الله بالاقتداء به والسير على نهجه والطاعة له في كل ما جاء به ﷺ .

ثالثا : ثم يلي الكتاب والسنة : فيما يجب التسليم له من أصول ما كان في معناهما بدليل جامع والمراد بذلك الإجماع والقياس الجلي الذي لا يصادم النص الشرعي .

---

(١) عبد الله بن المبارك المروزي ، الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، كان ثقة ، مأمونًا ، حجة ، كثير الحديث ، مات سنة ١٨١ هـ . تهذيب التهذيب (٥ / ٣٨٢ - ٣٨٩) .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور مصطفي السباعي (ص ٩٢) .

(٣) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان ، من حفاظ الحديث ، ثقة حجة من أقران مالك وشعبة ، مات سنة ١٩٨ هـ . تهذيب التهذيب (١١ / ٢١٦ - ٢٢٠) .

(٤) السنة ومكانتها (ص ٩٣) .

قال الشافعي : « الحجة كتاب اللّٰه وسنة رسوله ﷺ واتفاق الأئمة »[١].

وقال أيضًا : « والعلم طبقات ، الأولى : الكتاب والسنة الثابتة ثم الإجماع فيما ليس في كتاب ولا سنة .

الثالثة : أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف من الصحابة .

الرابعة : اختلاف الصحابة .

الخامسة : القياس[٢] .

○ ○ ○ ○

(١) (٢) اعلام الموقعين (٢ / ٢٤٨) .

المطلب الثاني

محاربة السلف لما يناقض الاتباع

من الأمور التي سار عليها السلف في طاعتهم واتباعهم للنبي ﷺ ، وجعلوها منهجا لهم في الاتباع محاربتهم لذلك الثالوث الخطير المتمثل في البدعة التقليد ، الرأي .

فالسلف يعدون ذلك الثالوث مرضًا خطيرًا متى استشرى وانتشر في الأمة فإنه يفتك بعقيدتها وما هي عليه من الاتباع والسنة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة ويميتون فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن »[١] .

وعن جابر بن زيد[٢] أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال : يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تفت إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت »[٣] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر »[٤] .

وهذه النصوص الثلاثة المنقولة عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ تصور عظم خطر تلك الأمور على الأمة كما تصور حرصهم على تحذير الأمة من

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٣٩) .

(٢) جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء البصري ، تابعي ، ثقة ، كان من أعلم الناس بكتاب الله ، مات سنة ٩٣ هـ وقيل بعدها . تهذيب التهذيب (٢ / ٣٨) .

(٣) أخرجه الدارمي في السنن (١ / ٥٩) .

(٤) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٥) .

خطرها وشرها الذي يهدد عقيدتهم وماهم عليه من الاتباع والسنة .

أ- محاربتهم للبدعة :

فأول تلك الأمور وأشدها خطرا على الأمة « البدعة » فالابتداع في الدين قد حذر منه النبي ﷺ بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[1]

وقال : « فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[2] .

كما بين حكم البدعة بقوله : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[3]

ومع وقفة تأمل لما ورد في هذه الأحاديث نلمس الأمور التالية :

ففي الحديث الأول والثاني وصف ﷺ البدعة بكونها ضلالةً وانحرافًا عن الطريق والصراط المستقيم الذي رسمه ﷺ لهذه الأمة والذي أوجب الله علينا اتباعه فيه .

فالبدعة في الدين طريق غواية وضلال يجب الحذر منه والبعد عنه وهي إضافة إلى ذلك فإنها مخالفة لسنة المصطفي ﷺ ومحاربة لما جاء به من الهدى والنور إذ الوقوع في هذا المزلق الخطير الذي هو « البدعة » يترتب عليه

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩٦) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣ / ١١) .
وأخرجه البخاري موقوفًا ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .
انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ٧٢٧٧

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٥ / ١٣٢) وفي رواية « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود . فتح الباري (٥ / ٣٠١) ح ٢٦٩٧

أمور خطيرة منها الطعن في الدين لأن لسان حال المبتدع يقول إن الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكها ، لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها .

وإضافة إلى ذلك فإن المبتدع معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقًا خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد ، وأخبر أن الخير فيها وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك .

فالمبتدع بحاله تلك يزعم أن ثم طرقا أخر وليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عينه بمتعين ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لا يعلم الشارع وأحاط بما لم يحط به وهذا هو بعينه الضلال المبين الذي وصف النبي ﷺ البدعة به حيث قال : « وكل بدعة ضلالة »[1] .

ومع هذا وذاك فقد تجعل البدعة مع مرور الزمن ونتيجة لانتشارها بين الناس من الدين ، فتصبح سنة يستنون بها وبخاصة العوام منهم الذين اعتادوا على التقليد والأخذ بكل ما هو منتشر بين الناس . بينما في الوقت نفسه تصبح السنن لغرابتها والجهل بها بدعًا وهذا هو الحال في كل زمان ومكان انتشرت وعمت فيه البدع وقل فيه العلماء بأمور السنة .

وأما الحديث الثالث وهو قوله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » فهو حكم صريح على كل أمر محدث مبتدع في الدين وليس له أصل في الشرع بالرد وعدم القبول ولاشك أن هذا الحكم بتر لكل ما هو مبتدع في دين الله وشرعه ، وإسقاط له . إضافة إلى كونه حماية لشرع الله

(١) الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص ٩٩) بتصرف .

من كل ما يخل به .

ولقد اتخذ السلف من أحاديث النبي ﷺ في هذا الشأن قواعد ساروا عليها في سبيل محافظتهم على السنة وصيانتها من شوائب البدع وشرورها .

وإن المتأمل للنصوص الورادة عنهم في هذا الخصوص يلمس مدى حرصهم وتطبيقهم للتوجيهات النبوية التي تلقوها عن رسول الهدى ﷺ .

فعن عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : « اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[1] .

وعنه أنه رأى أناسًا يسبحون بالحصا فقال : « على اللّٰه تحصون لقد سبقتم أصحاب محمد علما أو لقد أحدثتم بدعة ظلما »[2] .

وعنه أنه قال : « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة »[3] .

وعن حذيفة رضي اللّٰه عنه أنه قال : أخوف ما أخاف على الناس اثنتان أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ، وأن يضلوا وهم لا يشعرون .

قال سفيان : هو صاحب البدعة[4] .

وكان حذيفة رضي اللّٰه عنه يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول : يا معشر القراء اسلكوا الطريق فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقا بعيدًا ، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا »[5] .

---

(١) أخرجه محمد بن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١٠) .

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ١١) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٢١٠

(٤) الابداع في مضار الابتداع (ص ٩٦) .

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢١١) وأخرجه كذلك ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١٠) واللفظ له .

وعن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما أنه قال : « واللّه ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني . فقيل : كيف ؟ فقال : واللّه إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه »[١] .

وعنه رضي اللّه عنه أنه قال : « عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع »[٢].

وعن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه قال : « أوشك قائل من الناس يقول : قد قرأت القرآن ولا أرى الناس يتبعوني ، ما هم متبعي حتى ابتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابتدع فان كل ما ابتدع ضلالة »[٣] .

وعنه أنه قال : « أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع ألا وإن رفعه ذهاب أهله ، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع وعليكم بأمركم العتيق »[٤] .

وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال : « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة »[٥] .

وعن الحسن البصري[٦] قال : « صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا صيامًا وصلاة إلا ازداد من اللّه بعدًا »[٧] .

---

(١) أخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٥٥) ح ١٢

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٢٥) .

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٢٥) .

(٤) المصدر السابق (ص ٢٥) .

(٥) أخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٩٢) ح ٢٢٦

(٦) الحسن بن يسار البصري ، ولد في عهد عمر ، كان جامعا ، عالما ، رفيعا ، ثقة ، مأمونًا ، عابدًا ، ناسكًا كبير العلم فصيحًا توفي سنة ١١٠ هـ . الطبقات لابن سعد (٧ / ١٥٦) .

(٧) البدع والنهي عنها لابن وضّاح (ص ٢٧) .

وعنه قال : « لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك »[١] .

وعن أيوب السختياني أنه كان يقول : « ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من اللَّه بعدا »[٢] .

وعن سفيان الثوري قال : « من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره . وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله اللَّه في النار . وإما أن يقول واللَّه ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي فمن أمن اللَّه على دينه طرفة عين سلبه إياه »[٣] .

وقال : « البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها »[٤] .

وعن أبي قلابة[٥] أنه قال : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون »[٦] .

وبعد فما نقلته ههنا يعد جزءًا يسيرًا جدًّا مما ورد عن السلف من نصوص في الحث على ترك الابتداع في الدين والتحذير من مخاطره ومغبة الإقدام عليه وموقفهم من أهله ، فلقد اشتد نكير السلف على البدعة وأصحابها والمجال هنا لا يتسع للاستفاضة في هذا الموضوع ، وبما ذكر يحصل المقصود .

(١) المصدر السابق (ص ٤٧) .

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٢٧) .

(٣) المصدر السابق (ص ٤٧) .

(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٧٢) .

(٥) أبو قلابة : عبد اللَّه بن زيد الجرمي أحد الأعلام قال أيوب السختياني (كان واللَّه من الفقهاء ذوي الألباب) توفي سنة ١٠٤ هـ وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (٥ / ٢٢٤ ، ٢٢٦) .

(٦) البدع والنهي عنها (ص ٤٨) .

ب ـ محاربتهم للتقليد :

وأما الأمر الثاني من الأمور التي تشكل خطورة على الاتباع والسنة في رأي السلف فهو « التقليد » والفرق بينه وبين الاتباع أن التقليد : هو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه .

وأما الاتباع : فهو ما ثبت عليه الحجة .

فكل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده . وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه .

والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع[1] .

والتقليد الممنوع على ثلاثة أشكال :

أحدها : الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء أو المشايخ

الثاني : تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله .

الثالث : التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد .

ولقد حارب السلف هذا النوع من التقليد وذموه واعتبروه مزلقا خطيرا يحرف المسلم وينحيه عن المنبع الذي يستمد منه دينه ، ويجعله عرضة لكل بدعة ، ومنقادا لكل شبهة ، وتبعًا لكل ناعق وإضافة إلى ذلك فإن التقليد له صلة وثيقة بالبدعة فالبدعة تؤخذ في غالب الأمر تقليدا لشيخ يعظم أو والد يحترم أو مجتمع تقدس فيه عاداته ، ولذلك كان التقليد والابتداع سببين رئيسين في ضلال الأمم وانحرافها عن منهج أنبيائهم .

وقد حكى الله في كتابه العزيز عن بني إسرائيل أنهم سألوا موسى عليه

---

(١) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٧) .

السلام أن يجعل لهم إلهًا من الأصنام مقلدين في ذلك من مرّوا عليهم من عباد الأصنام قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يا مُوسَى ٱجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

كما ذكر سبحانه أن ما وقع فيه اليهود والنصارى من الكفر بقول اليهود عزير ابن اللّه وقول النصارى المسيح ابن اللّه إنما هو نتيجة التقليد لمن قبلهم من الوثنيين قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٢) .

كما ذم سبحانه صنيع اليهود والنصارى مع علمائهم حيث قلدوهم في جميع ما يقولون ، فأحلوا لهم ما حرم اللّه ، وحرموا عليهم ما أحل اللّه قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٣) .

كما ذم سبحانه وتعالى من امتنع عن قبول الحق تقليدًا للآباء فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾(٤) .

قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى : « وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال

---

(١) الآيتان (١٣٨ ، ١٣٩) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٣٠) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٤) الآيتان (٢٣ ، ٢٤) من سورة الزخرف .

التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها ، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر ، وإنما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد ، كما لو قلد رجلا فكفر ، وقلد آخر فأذنب ، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجهها ، كان كل واحد ملومًا على التقليد بغير حجة ، لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضًا وإن اختلفت الآثام فيه »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « إني لا أخاف على أمتي من بعدي إلا من أعمال ثلاثة » قالوا : وما هي يارسول الله ؟ قال : « أخاف عليهم زلة العالم ، ومن حكم جائر ، ومن هوى متبع »[٢]ومن المعلوم أن المخوف من زلة العالم تقليده فيها ، إذ لولا التقليد لما يخف من زلة العالم على غيره .

قال ابن القيم : « والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وبيان زلة العالم ليبينوا بذلك فساد التقليد ، وأن العالم قد يزل ولابد إذ ليس بمعصوم ، فلا يجوز قبول كل ما يقوله وينزل قوله منزلة قول المعصوم ، فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض ، وحرموه ، وذموا أهله ، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم ، فإنهم يقلدون العالم فيما زل فيه وفيما لم يزل فيه ، وليس لهم تمييز بين ذلك ، فيأخذون الدين بالخطأ ولابد فيحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويشرعون ما لم يشرع ، ولابد ، لهم من ذلك إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه ، فالخطأ واقع منه ولابد »[٣] .

قال الشعبي : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « يفسد الزمان ثلاثة :

(١) إعلام الموقعين (٢ / ١٩١) .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ، المقدمة باب ٢٣

(٣) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٢) .

أئمة مضلون ، وجدال منافق بالقرآن ، والقرآن حق ، وزلة عالم[١]» وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال : « ويل للأتباع من عثرات العالم » . قيل : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : « يقول العالم من قبل رأيه ، ثم يسمع الحديث عن النبي ﷺ فيدع ما كان عليه وفي لفظ « فيلقى من هو أعلم برسول اللّٰه ﷺ منه فيخبره فيرجع ويقضي الأتباع بما حكم »[٢] .

وعن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر »[٣] .

قال ابن القيم : « والفرق بين تجريد متابعة المعصوم ﷺ وإهدار أقوال العلماء وإلغائها : أن تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنا من كان . بل تنظر في صحة الحديث أولًا . فإذا صح لك نظرت في معناه ثانيا ، فإذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك من بين المشرق والمغرب ، ومعاذ اللّٰه أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبيها بل لابد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على اللّٰه ورسوله بل اذهب إلى النص ولا تضعف واعلم أنه قد قال به قائل قطعا ولكن لم يصل إليك . هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها بشبهة أنه أعلم بها منك ، فإن كان كذلك فمن ذهب إلى النص أعلم به منك أيضا فهلا وافقته إن كنت صادقا ؟ .

(١،٢) المصدر السابق (٢ / ١٩٣) .

(٣) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٥) .

فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها ، وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فإنهم كلهم أمروا بذلك فمتبعهم حقًّا من امتثل ما أوصوا به لا من خالفهم ، فخلافهم في القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا بها ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم .

ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه .

فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يقلد به ولذلك سمى تقليدا .

بخلاف من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول إلى سُنَّة الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه ، فانه يجعلهم بمنزلة الدليل إلى الدليل الأول فإذا وصل استغنى بدلالته على الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى .

قال الشافعي : « أجمع الناس على أن من استبانت له سنة الرسول ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد »[١] .

ج ـ محاربتهم للرأي الباطل :

وأما الأمر الثالث من الأمور التي يرى السلف أنها تناقض الاتباع وتضاده فهو « الرأي » .

فعن عبد اللّه بن عمر بن العاص قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « ان اللّه لا

(١) الروح لابن القيم (٢ / ٧٦٨ ، ٧٦٩) .

ينزع العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعا ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون »[١]والمقصود به هو الرأي الباطل الذي ليس من الدين ، لأن الرأي ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ رأي باطل بلا ريب .

٢ ـ رأي صحيح .

٣ ـ رأي هو موضع الاشتباه .

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف ، فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به ، وسوغوا القول به . وذمُّوا الباطل ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله .

والقسم الثالث : سوغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بد ، ولم يلزموا أحدا العمل به ، ولم يحرموا مخالفته ولا جعلوا مخالفه مخالفًا للدين ، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله ورده ، فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه[٢] .

والحديث ههنا يتناول الرأي الباطل فقط وهو على أنواع :

أحدها : الرأي المخالف للنص ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه ، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء ، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد .

الثاني : هو الكلام في الدين بالخرص والظن ، مع التفريط والتقصير في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب ما يذكر من ذم الرأي .
فتح الباري (١٣ / ٢٨٢) ح ٧٣٠٧ .

(٢) إعلام الموقعين (١ / ٦٧) . وقد تناول ابن القيم في هذا الكتاب القول بالتفصيل عن أنواع الرأي فمن أراد التوسع والاستفادة فليرجع إليه .

معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها ، فان من جهلها وقاس برأيه فيما سئل عنه بغير علم ، بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر أو لمجرد قدر فارق يراه بينهما يفرق بينهما في الحكم ، من غير نظر إلى النصوص والآثار ، فقد وقع في الرأي المذموم الباطل .

النوع الثالث : الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية[١] والمعتزلة[٢] والقدرية[٣] ومن ضاهاهم ، حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة ، فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم ، ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلًا ، فقابلوا النوع الأول بالتكذيب ، والنوع الثاني بالتحريف والتأويل ، فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده ، وأنكروا مباينته للعالم ، واستواءه على عرشه وعلوه على المخلوقات ، وعموم قدرته على كل شيء ، بل أخرجوا أفعال عباده من الملائكة والأنبياء والجن والإنس عن تعلق قدرته ومشيئته وتكوينه لها ، ونفوا لأجلها حقائق ما أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله ، وحرفوا لأجلها النصوص عن مواضعها وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد الذي حقيقته أنه زبالة الأذهان ونخالة الأفكار وعفارة[٤] الآراء ووساوس الصدور فملؤا به الأوراق سوادًا والقلوب شكوكًا ، والعالم فسادًا .

(١) تقدم تعريفهم ص ١٦٠

(٢) تقدم تعريفهم ص ١٥٩

(٣) سموا بذلك لقولهم في القدر وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالا ، فأثبتوا خالقًا مع الله . الملل والنحل (١ / ٥٤) ومجموع الفتاوى (٨ / ٢٥٦)

(٤) العفارة : الخبث والشيطنة . النهاية (٣ / ٢٦٢) .

وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي ، والهوى ، على العقل ، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه ، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد ، فلا إله إلا الله كم نفي بهذه الآراء من حق ، وأثبت بها من باطل ، وأميت بها من هدى وأحيي بها من ضلالة ؟ وكم هدم بها من معقل للإيمان ، وعمر بها من دين الشيطان ؟ وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل بل هم شر من الحمر ، وهم الذين يقولون يوم القيامة ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1] .

النوع الرابع : الرأي الذي أحدثت به البدع ، وغيرت به السنن وعم به البلاء ، وتربى عليه الصغير وهرم فيه الكبير .

فهذه الأنواع الأربعة من الرأي الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وإخراجه من الدين[2] .

ومما ورد عن السلف في ذم الرأي الذي من هذا القبيل ما يلي :

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : « أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي ، أو بما لا أعلم »[3] .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « اتقوا الرأي في دينكم »[4] .

وروي عنه كذلك قوله : « أصحاب الرأي أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث

(١) الآية (١٠) من سورة الملك .

(٢) إعلام الموقعين (١ / ٦٧ - ٦٩) .

(٣) المصدر السابق (١ / ٥٤) .

(٤) إعلام الموقعين (١ / ٥٥) .

أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها ، واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم ، فإياكم وإياهم »[١] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه »[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن قال بعد ذلك برأيه فلا أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته »[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « لا يأتي عليكم عام إلا هو شر من الذي قبله ، أما إني لا أقول أمير خير من أمير ، ولا عام أخصب من عام ، ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم »[٤] .

ومما ورد كذلك من الآثار عن التابعين ما يلي :

قول الشعبي : « ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله ﷺ فخذوه ، وما كان رأيهم فاطرحوه في الحش »[٥] .

وعن ابن شهاب الزهري قال : « دعوا السنة تمضي ، لا تعرضوا لها بالرأي »[٦].

---

(١) المصدر السابق (١ / ٥٥) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطهارة ، باب كيف المسح (١ / ١١٤ ، ١١٥) ح ١٦٢ وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١ / ٥٨) .

(٣) إعلام الموقعين (١ / ٥٨ ، ٥٩) .

(٤) أخرجه الدارمي في السنن ، المقدمة ، باب تغير الزمان وما يحدث فيه (١ / ٦٥) وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١ / ٥٧) .

(٥) إعلام الموقعين (١ / ٧٣) .

(٦) المصدر السابق (١ / ٧٤) .

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس « أنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ »[١] .

فهذه الأقوال عن أولئك الأئمة من الصحابة والتابعين أجمعت على إخراج الرأي عن العلم وذمه والتحذير منه والنهي عن الفتيا به ، فرضي الله عن أئمة الإسلام وجزاهم عن نصيحتهم خيرا ، ولقد سلك سبيلهم أهل العلم والدين من أتباعهم .

○ ○ ○ ○

(١) المصدر السابق (١ / ٧٤) .

المبحث الثالث

التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه

● وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه .

● ● ● ●

تمهيد

« من المعلوم لكل من عنده مسكة من عقل أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[(١)] وكما قال : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[(٢)] أي مهملا هملا لا يؤمر ولا ينهي ولا يثاب ولا يعاقب .

والغاية التي خلق من أجلها الجن والإنس هي التي أخبر الحق تبارك وتعالى عنها بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا والثواب أو العقاب في الآخرة .

وإذا تمهد هذا فلنه يعلم مدى حاجتهم وضرورتهم إلى الشريعة وأحكامها ، إذ بواسطتها يتعرف على مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية .

والناس أحوج ما يكونون إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه ، إذ ليس للعالم صلاح بدون ذلك البته »[(٣)] ولذلك فرض الله على الإنس والجن ، طاعة من أرسل من الرسل وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[(٤)] فالطاعة بذلك متحتمة على من شملتهم دعوة الرسل .

---

(١) الآية (١١٥) من سورة المؤمنون .

(٢) الآية (٣٦) من سورة القيامة .

(٣) كتاب تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن ، تأليف الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني الأسعردي مطبوع ضمن الرسائل المنبرية (١ / ١٤٠ ، ١٤١) بتصرف .

(٤) الآية (٦٤) من سورة النساء .

وقد بعث الله نبيه ورسوله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] وبذلك عمت دعوته كل الأمم سواء كانوا في زمانه أو في الأزمان التالية من بعده وذلك على اختلاف تلك الأمم في ألوانها وأجناسها ولغاتها وشرائعها بما فيهم أهل الكتاب - اليهود والنصارى - فترتب على عموم الرسالة أن نسخت الشرائع السابقة لشريعته ﷺ فلم يبق من طريق يوصل إلى عبادة الله ورضوانه سوى طريق خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم فلا حجة لأحد دون حجته ولا يستقيم لعاقل سبيل سوى واضح محجته .

وقد جمعت سنته ﷺ تحت حكمتها كل معنى حكيم فلا يسمع بعد بيانها خلاف مخالف ولا قول مختلق ، ومن تبع سنته فهو على نور من ربه ، وبصيرة من أمره ، والمائل عن شرعه ، واقع في ظلمته مرتبك في حيرته ومرتكس في ضلاله وشقاوته .

ولذلك كان لزامًا على الجن والإنس أن يستجيبوا له ﷺ ويتبعوا شريعته ظاهرًا وباطنًا .

وقد وعد الله المستجيب منهم أن يدخله جنته ويسبغ عليه رضاه ومحبته .

وتوعد المخالف منهم بأن يذيقه أليم عقابه ويلقيه في جهنم ليعلم بذلك كيف يكون مصيره وعاقبته .

وإن آيات القرآن ونصوص السنة في هذا الشأن كثيرة جدًّا ، وقد تقدم إيراد الأدلة الواردة في وجوب طاعته واتباعه .

---

(١) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

وفي هذا المبحث سأتناول بإذن اللّٰه الأدلة الواردة في حكم مخالفته ﷺ والبعد عن سنته والعقوبات الدنيوية والأخروية المترتبة على تلك المخالفات على تنوع صورها وأشكالها سواء كانت إعراضًا وكفرًا ، أو بدعة ، أو معصية ، أو غير ذلك .

وعسىٰ أن يكون فيما سيعرض من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تذكرة وعظة ، وخاصة أننا نعيش في زمان نحتاج فيه إلى التمعن في هذه النصوص وتدبرها لكثرة ما يقع من الإعراض والمخالفة لشرع النبي ﷺ ونهجه عند كثير من الناس .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

الأدلة من القرآن الكريم على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه

ورد التحذير من معصية الرسول ﷺ في مواطن عدة من القرآن الكريم ، وقد جاء التحذير مصحوبا بالوعيد الشديد لذلك المخالف العاصي ومن تلك المواطن :

قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[6] .

---

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٢) الآية (١٤) من سورة النساء .

(٣) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (٢٣) من سورة الجن .

(٥) الآية (١١٥) من سورة النساء .

(٦) الآية (١٣) من سورة الأنفال .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[٣] .

وإن المتأمل في هذه الآيات يرى ما تضمنته من الوعيد الشديد والعقاب الأليم لمن خالف منهج الرسول وطريقته وشرعه وحاد عما جاء به فقوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ تحمل هذه الآية الوعيد الشديد لمن خالف أمر رسول الله ﷺ وشريعته ، ومعناها : « أى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا » ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك[٤]» .

هذا من جهة العقوبة الدنيوية كما فسر ابن كثير الآية بذلك .

أما على صعيد العقوبة الأخروية فاقرأ الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ وعلى هذا فإن المخالف العاصي متوعد بالعقوبتين الدنيوية والأخروية ، إضافة إلى وصفه بالضلال البين الواضح بقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد

---

(١) الآية (٦٣) من سورة التوبة .

(٢) الآية (٥) من سورة المجادلة .

(٣) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٠٧) .

ضل ضلالا مبينا ﴾ وفي هذا الوصف والجزاء للمخالف حكم بخروجه عن دائرة الإيمان .

كما أن كل من أعرض عن حكم الرسول ولم ينقد له ولم يرض به إلا إذا كان موافقًا لهواه فهو محكوم عليه بالنفاق بنص القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

وهذه الآيات بينت موقف كلا الطرفين ـ الطرف الأول أهل الإيمان الحقيقي والطرف الثاني أهل النفاق المظهرون للإسلام المخفون للكفر ـ من التحاكم لما جاء به الرسول ﷺ ، فمن سمة المنافقين أنهم لا يتحاكمون لشرع اللّه إلا إذا كان الحق في صفهم وحكم الشرع لصالحهم ، أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فلا ترى منهم سوى الإعراض عن شرع اللّه المتمثل في كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ .

---

(١) الآيتان (٦٠ ، ٦١) من سورة النساء .

(٢) الآيات (٤٨ ـ ٥١) من سورة النور .

أما أهل الإيمان الذين ترسخ في قلوبهم الإيمان بشرع الله اعتقادا بالقلب وقولًا باللسان وعملًا بالجوارح فإن من صفاتهم وعلاماتهم تحاكمهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جميع أحوالهم وشؤونهم مع الرضى والتسليم لذلك الحكم سواء كان لهم أم عليهم .

ولذلك فقد جاء وصف أهل الإيمان بالفلاح فقال تعالى : ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ بينما وصف أهل النفاق بالظلم حيث قال تعالى : ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ .

فيجب على المسلم أن يحذر من الوقوع في هذا العمل الخطير الذي من شأنه أن يوقع صاحبه في مثل هذه الصفات ، ويعرضه لتلك العقوبات التي تحدثت بها آيات القرآن الواردة في هذا الشأن .

وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1] .

قوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق والشرع في شق ، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح ، وقوله ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيمًا

---

(١) الآية (١١٥) من سورة النساء .

لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك ...

ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله : ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ أى إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجًا له كما قال تعالى ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[٢] وقوله : ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٣] .

وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة »[٤] .

ولقد ذكر اللّٰه تبارك وتعالى في كتابه العزيز عددًا من قضايا المخالفة وعلى رأسها التحاكم إلى غير ما أنزل اللّٰه ، فهذا الداء من أعظم المخاطر وبخاصة في زماننا هذا الذى طرح فيه كثير ممن ينتمون إلى الإسلام كتاب اللّٰه و سنة نبيه ﷺ وراء ظهورهم ، واعتاضوا عنهما بقوانين الكفار وآراء ابتدعوها تقولًا على الشريعة حتى جعلوا لتلك القوانين محاكم تحمى بقوة السلطان وأجبروا الناس على التحاكم إليها . والحكم بغير ما أنزل اللّٰه هو من أعظم أسباب المقت والحرمان وأكبر موجبات العقوبة والخذلان ، كيف لا وهو شرع دين لم يأذن به اللّٰه واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة للّٰه ولرسوله ﷺ واتخاذ لدين اللّٰه هزوًا ولهوًا ولعبًا وتبديلًا لنعمة اللّٰه إلى غير ذلك من

---

(١) الآية (٤٤) من سورة القلم .

(٢) الآية (٥) من سورة الصف .

(٣) الآية (١١٠) من سورة الأنعام .

(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٥٥٤ ، ٥٥٥) .

المفاسد والمحاذير التي لا تدخل تحت حساب .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [6].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [7] .

قال ابن القيم : « قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير اللَّه ورسوله أو يعبدونه من دون اللَّه أو يتبعونه على غير بصيرة من اللَّه أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة للَّه .

---

(١) الآية (٤٤) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٤٥) من سورة المائدة .

(٣) الآية (٤٧) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٧٠) من سورة الأنعام .

(٥) الآية (٢٨ ، ٢٩) من سورة إبراهيم .

(٦) الآية (٢١) من سورة الشورى .

(٧) الآية (٦٠) من سورة النساء .

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم انحرف عن عبادة اللّٰه إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معًا . ولو لم يكن في القرآن المجيد من الزجر عن اتباع القوانين البشرية غير هذه الآية الكريمة لكفت العاقل اللبيب ، فكيف والقرآن الكريم كله يدعو إلى تحكيم ما أنزل اللّٰه ، وعدم تحكيم ما عداه(١) .

وبما تقدم من آيات يعلم المسلم خطورة مخالفة الرسول ﷺ والإعراض عن سنته ومنهجه والشرع الذي جاء به من عند ربه .

فالآيات السابقة وما كان على منوالها فيها خطاب لكل معرض عن سنة النبي ﷺ ومنهجه وشرعه الذي جاء به ، وهي بما تضمنته من الوعيد الشديد بمثابة الإنذار لكل من كان على هذه الحال لكي يكون على بينة من أمره فيعلم على أي ذنب قد أقدم ولأي جرم قد ارتكب ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾(٢) وذلك قبل أن يكون من أولئك الذين يتحسرون ويعضون أيديهم ندمًا في يوم القيامة ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾(٣) . ومعلوم أن كل من ترك ما جاء به الرسول ﷺ فإنه قائل لهذه المقالة لا محالة . فنعوذ باللّٰه ممن هذه حاله ويوم القيامة تكون نار جهنم مآله وقراره .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٤٩٣) .

(٢) الآية (٤٢) من سورة الأنفال .

(٣) الآيات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) من سورة الفرقان .

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه

جاءت السنة بمثل ما جاء به القرآن الكريم ، فالأحاديث متوافرة ، ومتعددة في هذا الشأن ، فقد حذر النبي ﷺ من الإعراض عن سنته والبعد عنها أو الانتقاص من قدرها ومكانتها أو مخالفتها .

وهذا التحذير منه ﷺ والوارد في عبارات متنوعة وأساليب متعددة ـ كما سيمر عليك ـ يصور مدى حرصه ﷺ على حماية أمته وصيانتهم من الوقوع في هذا المزلق الخطير ، ولا غرابة في ذلك فهو الموصوف بقوله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ومما ورد في تصوير مدى حرصه ﷺ على أمته وتحذيره لهم من الوقوع في مخالفته قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ـ قال ـ فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها »[١] .

وهذا الحديث إضافة إلى كونه يصور مدى حرصه ﷺ على أمته فهو يبين كذلك أن سبيل النجاة والفلاح إنما هو باتباع سنة النبي ﷺ والأخذ بها ، وأن كل مخالف ومجانب لهذه السنة فهو يلقي بنفسه إلى التهلكة وذلك بسبب

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٩٢

بعده ومخالفته لشرع المصطفي ونهجه الذي جاء به .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ قد بين لأمته سبيل النجاة والفلاح وحثهم على سلوكه والسير عليه ، كما حذرهم من سبل الهلاك والضلال وبين لهم ما فيها من الخسران والتعاسة الدنيوية والأخروية قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١] وهذه الوصية عامة لكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد ختم الله الآية بقوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

والتقوى حقيقتها (العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا ، أمرا ونهيا فالمتقى يفعل ما أمره الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بوعده ، ويترك ما نهي الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده .

وقال طلق بن حبيب[٢] : « التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله[٣] » .

وطاعة الله تتحقق بطاعة رسوله والسير على نهجه وسلوك سبيله قال تعالى ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ .

وفي الحديث « فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله »[٤] .

---

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

(٢) طلق بن حبيب العنزي البصري ، تابعي ثقة كان أعبد أهل زمانه قتله الحجاج مع سعيد بن جبير . تهذيب التهذيب (٥ / ٣١ - ٣٢) .

(٣) الرسالة التبوكية (ص ١٠) بتصرف بسيط .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٩١) .

ولذلك فإنه لم يبق للإنسان إلا أن يختار أي الطريقين يسلك قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[1] وليتحمل بعد ذلك مسؤولية ما قدم من عمل كما قال تعالى : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[3]

وإن المسلم الواعي العارف لأمور دينه يعلم أن الخير كل الخير في اتباع النبي ﷺ والتمسك بسنته والسير على هديه ، وأن الشر كل الشر في البعد عن سنته ومخالفته . ولذا تراه حريصًا على سنة المصطفى متمسكًا بها في كل أحواله وفي الوقت نفسه يحذر أشد الحذر من مخالفة الرسول ﷺ والبعد عن سبيله ومنهجه . ومثل هذا الاعتقاد يجب على كل مسلم أن يعتقده ويطبقه في أقواله وأعماله ليسعد وينجو في دنياه وآخرته .

ومما يؤسف له أن كثيرًا من المسلمين لا يولي هذا الجانب اهتمامه وعنايته بل تراه على النقيض من ذلك حتى إن بعضهم ليس له من الإسلام إلا اسمه فقط ذلك لأن أقواله وأفعاله مناقضة للشرع ولا تمت إليه بصلة ، وتراه كذلك راغبا عن سنة المصطفي متحاكمًا في أكثر شؤونه وأحواله إلى غير الكتاب والسنة . ومن كانت هذه صفاته فالإسلام منه براء وهو بريء من الإسلام فقد قال ﷺ : « من رغب عن سنتي فليس مني »[4].

---

(١) الآية (٣) من سورة الإنسان .

(٢) الآيتان (١٤ ، ١٥) من سورة القيامة .

(٣) الآيات (٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) من سورة النجم .

(٤) تقدم تخريجه ص ١٩٥

ولقد ذم النبي ﷺ هذا الصنف من الناس وحذر منهم فعن حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه قال : « كان الناس يسألون رسول اللّه ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول اللّه ، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا اللّه بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ .

قال : « نعم وفيه دخن » . قلت : وما دخنه ؟

قال : « قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر .. » الحديث[1] .

فالشاهد من الحديث قوله ﷺ : « قوم يهدون بغير هديي » فالنبي ﷺ ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة أو جعلهما فرعا لذلك الأصل الذي ابتدعه وأمثال هؤلاء كثيرون فكم من شخص ينتمي للإسلام جعل من الفلاسفة حكما على كل شيء حتى على كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ ، وكم من شخص نبذ شرع اللّه وراء ظهره وتحاكم إلى القوانين الوضعية المستوردة من بلاد الكفر والإلحاد . وكم من شخص جعل الهوى وشهوات النفس دينًا يدين به فإذا جاءه أمر الشارع أخذ منه ما وافق هواه ورأيه وأعرض عما عداه .

وكم من فئة وطائفة في زماننا الحاضر ينطبق عليها قول النبي ﷺ هذا .

والذي ينبغي على كل أحد أن يعلمه هو أنه بمقدار اتباع المرء لسنة المصطفي ﷺ ، يكون فلاحه ونجاته ، فالأقوال والأعمال يتوقف قبولها أو ردها على حسب موافقتها لما جاء به النبي ﷺ ، فما وافق سنة النبي ﷺ قبل ، وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان وفي ذلك يقول ﷺ :

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٨

من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد »[١] .

وإن المعرض عن سنة المصطفى ﷺ والمخالف لها معرض للعقوبة في الدنيا والآخرة وذلك بحسب ما يقع منه من إعراض .

فعن سلمة بن الأكوع[٢] رضي الله عنه أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله . فقال : « كل بيمينك » . قال : « لا أستطيع » .

قال : « لا استطعت » ما منعه إلا الكبر ، قال فما رفعها إلى فيه »[٣] .

فهذه عقوبة دنيوية لهذا الشخص الذي عصى أمر النبي ﷺ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قرأ النبي ﷺ (النجم) فسجد ، فما بقي أحد إلا سجد ، إلا رجل رأيته أخذ كفًا من حصى فرفعه فسجد عليه وقال : « هذا يكفيني ، فلقد رأيته بعد قتل كافرا بالله »[٤] وهذا الرجل هو أمية بن خلف[٥] وقد قتل ببدر كافرًا .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٣٠

(٢) سلمة بن عمرو بن الأكوع ، صحابي جليل أول مشاهده الحديبية ، وكان من الشجعان ويسبق الفرس عدوا ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين على الصحيح . الإصابة (٢ / ٦٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (٦ / ١٠٩) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة . انظر فتح الباري (٧ / ١٦٥) .وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب سجود التلاوة (٢ / ٨٨) .

(٥) فتح الباري (٨ / ٦١٤) .

منهم »[1] .

والشاهد من الحديث قوله ﷺ : « وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري »

وعنه رضي اللّٰه عنه قال : « أقبل علينا رسول اللّٰه ﷺ بوجهه فقال : « يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ باللّٰه أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد اللّٰه وعهد رسوله الا سلط اللّٰه عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب اللّٰه ويتخيروا مما أنزل اللّٰه ، الا جعل اللّٰه بأسهم بينهم »[2].

فهذا بعض ما ورد في السنة في العقوبات الدنيوية .

أما على صعيد العقوبات الأخروية فالأمر أشد وأعظم فالآخرة هي دار الجزاء والثواب والعقاب .

فعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء اللّٰه بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا . فقالوا : أولسنا إخوانك يارسول اللّٰه ؟

قال : بل أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم[3] على

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٥٠ / ٩٢) وقد جود إسناده شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٩) وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠ / ٢٣) .

(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن ، كتاب الفتن ، باب العقوبات (٢ / ١٣٣٢ ، ١٣٣٣) ح ٤٠١٩

(٣) فرطهم : أي متقدمهم إليه . يقال فرط يفرط ، فهو فارط وفرط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية . النهاية (٣ / ٤٣٤) .

الحوض . فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟
فقال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر[١] محجلة[٢] بين ظهري خيل دُهْم بُهْم[٣] ألا يعرف خيله ؟ . قالوا : بلى يارسول الله .
قال : فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال أناديهم ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا » [٤] .
فتلك عقوبة من حاد عن شرع المصطفى ﷺ ومال عنه واستبدل به غيره .
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا[٥] .
قال النووي : « أى المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم »[٦] .
فالنبي ﷺ أخبر بهلاك كل من بالغ في التعمق في أمور الشرع وغلا فيها وتكلف في أمور لم ترد عن الشارع الكريم ولم تكن من مقصوده .
* وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : « لست تاركًا شيئًا كان رسول الله

(١) الغر : جمع الأغر ، من الغرة بياض الوجه ، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة . النهاية (٣ / ٣٥٤) .
(٢) الحجل في صفة الخيل هو الذى يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد ، ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين . النهاية (١ / ٣٤٦) .
(٣) دُهْمُ : أي سود . النهاية (٢ / ١٤٥ ، ١٤٦) .
بُهْمُ : جمع بهيم وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه . النهاية (١ / ١٦٧) .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (١ / ١٥٠ ، ١٥١) .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (٨ / ٥٩) .
(٦) شرح النووي لمسلم (١٦ / ٢٢٠) .

ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ »[١].

والشواهد من القرآن والسنة وكلام السلف الصالح في هذا الشأن كثيرة ولا تكاد تحصى .

والقصد هنا بيان أن التولي عما جاء به النبي ﷺ من أمور الشرع من أكبر الذنوب ، وهو سبب لا نصباب المصائب وتتابع النوائب ، فإن الجزاء من جنس العمل ومن تولى عن حكم اللّٰه وحكم رسوله تولى اللّٰه ورسوله عنه،ومن تولى اللّٰه ورسوله عنه فهيهات أن يفلح ويعز بل يتركه اللّٰه أذل وأحقر ما يكون قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[٢] .

وليحذر المسلم من مخالفة الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ من عند ربه عز وجل ، فإن في المخالفة عين الهلاك والخسران كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[٣] .

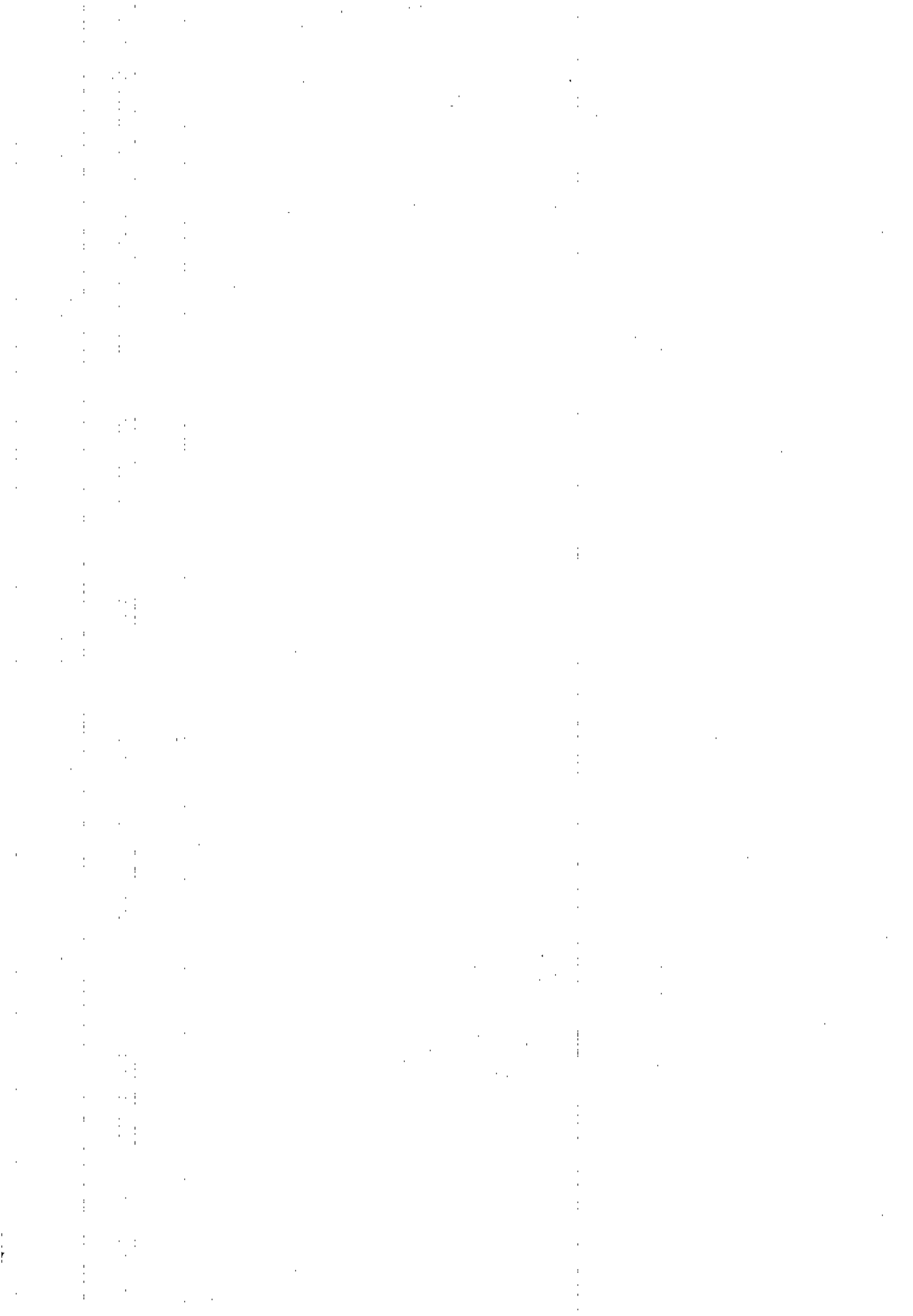
○○○○

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٠٤

(٢) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٣) الآية (١٢٤) من سورة طه .



الباب الثاني

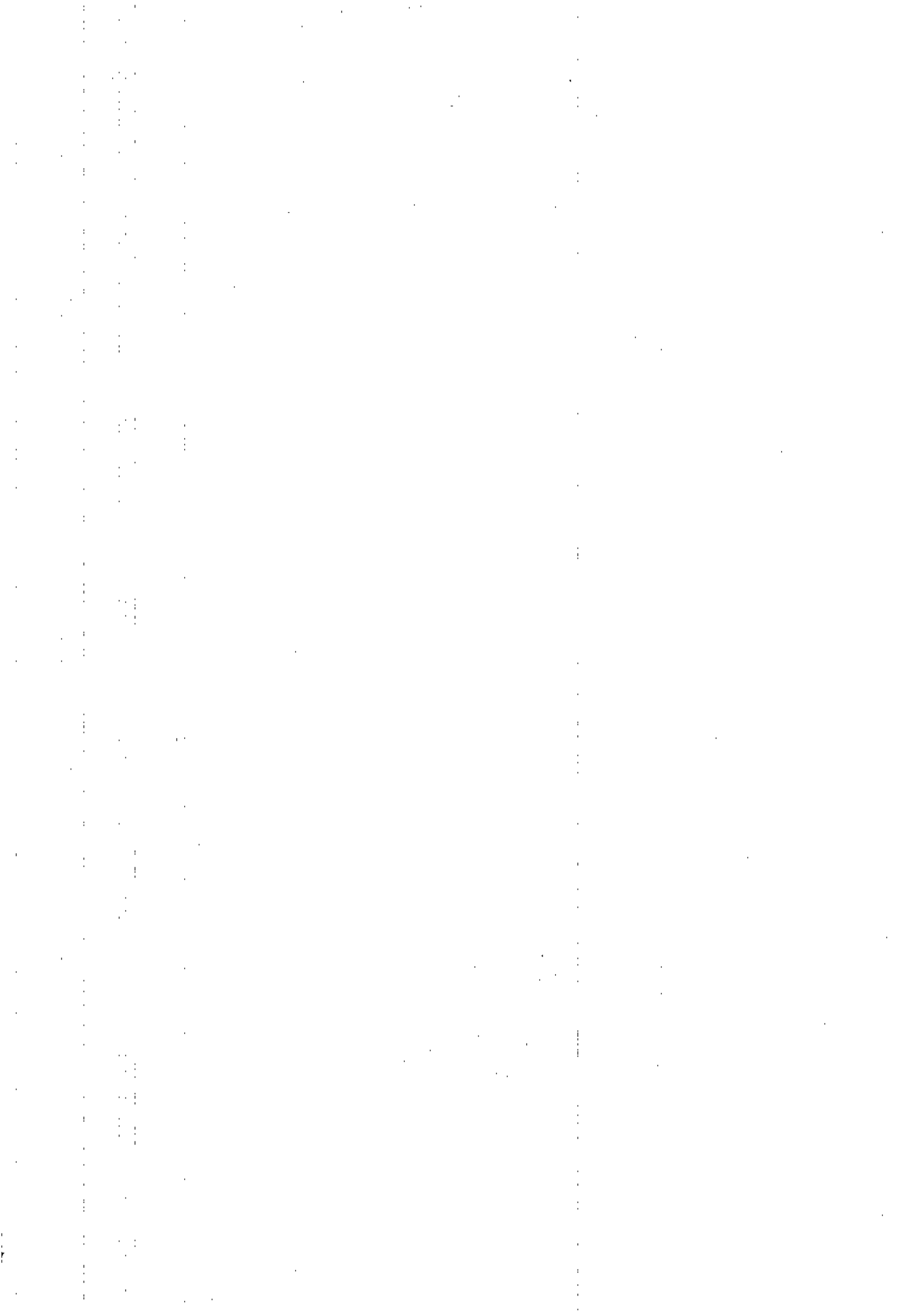
وجوب محبته ﷺ

● وفيه فصلان :

الفصل الأول : المعنى الصحيح لحبه ﷺ والأدلة على وجوبها .

الفصل الثاني : علامات محبته ﷺ والثواب المترتب عليها .

● ● ●



الفصل الأول

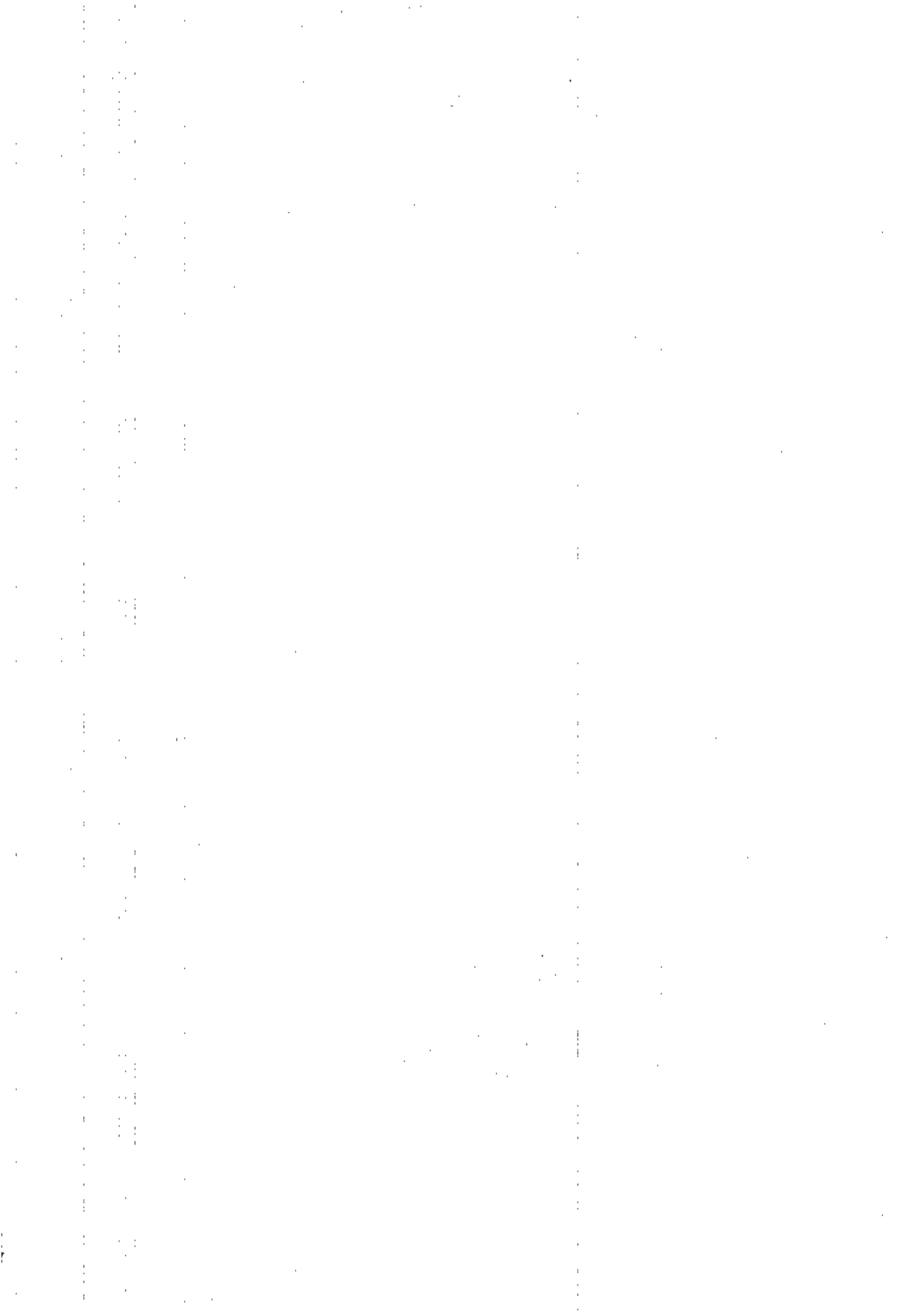
بيان المعنى الصحيح لمحبته ﷺ والأدلة على وجوبها

● وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المعنى الصحيح لمحبته ﷺ .

المبحث الثاني : الأدلة على وجوب محبته ﷺ .

● ● ● ●



المبحث الأول

المعنى الصحيح لمحبته ﷺ

• ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف المحبة .

• ويشتمل على النقاط التالية .

أ ـ أصل اشتقاق المحبة .

ب ـ الحد الاصطلاحي للمحبة .

المطلب الثاني : أقسام المحبة .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ أقسام المحبة من حيث العموم .

ب ـ أقسام المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها .

المطلب الثالث : حقيقة المحبة الشرعية .

المطلب الرابع : المعنى الصحيح لمحبة النبي ﷺ وانقسام الناس فيها .

● ● ●

المطلب الأول

تعريف المحبة

أحببت قبل الشروع في بيان المعنى الصحيح لمحبة النبي ﷺ أن أتطرق للمعنى اللغوي والإصطلاحي لكلمة المحبة ، وذلك بهدف التعريف بهذه الكلمة وبيان مدلولها :

أ ـ أصل اشتقاق المحبة :

قال صاحب لسان العرب : (المحبة : إسم للحب)[1] ويرى ابن القيم أن مادة كلمة « حب » تدور في اللغة على خمسة أشياء :

أحدها : الصفاء والبياض ، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها « حبب الأسنان »

الثاني : العلو والظهور ، ومنه « حبب الماء وحبابه » وهو ما يعلوه عند المطر الشديد وحبب الكأس منه .

الثالث : اللزوم والثبات ، ومنه ، حب البعير وأحب ، إذا برك ولم يقم .

قال الشاعر :

حلت عليه بالفلاة ضربًا ضرب بعير السوء إذ أحبّا

الرابع : اللب ، ومنه : حبه القلب ، للبه وداخله .

ومنه : الحبة لواحدة الحبوب . إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه .

الخامس : الحفظ والإمساك ، ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا .

---

(١) (١ / ٢٩٠)

ثم قال رحمه الله : ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة :

١ ـ فإنها صفاء المودة ، وهيجان إرادات القلب للمحبوب .

٢ ـ وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد .

٣ ـ وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارقه .

٤ ـ ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده ، وهو قلبه .

٥ ـ ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه .

فاجتمعت فيها المعاني الخمسة[1] .

ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة

« الحاء » التي هي من أقصى الحلق .

و « الباء » الشفوية التي هي نهايته .

فللحاء الابتداء ، وللباء الانتهاء ، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب ، فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه .

وقالوا في فعلها : حَبَّهُ وأَحَبَّهُ .

ثم اقتصروا على اسم الفاعل من « أحب » فقالوا « مُحِبٌ » ولم يقولوا « حاب » . واقتصروا على اسم المفعول من « حب » فقالوا « محبوب » ولم يقولوا « مُحَبّ » إلا قليلا كما قال الشاعر :

---

(١) زاد ابن القيم في كتابه روضة المحبين (ص ١٧ ، ١٨) على هذه المعاني الخمسة ما يلى :
و قيل : بل هي مأخوذة من القلق والاضطراب ، ومنه سمي القرط حبا لقلقه في الأذن واضطرابه .
وقيل بل هي مأخوذة من الحب الذي هو إناء واسع فيمتلئ به بحيث لا يسع لغيره ، وكذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه وقيل : مأخوذة من الحب وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع من جرة أو غيرها فسمي الحب بذلك لأن المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال ، كما تتحمل الخشبات ثقل ما يوضع عليها .

ولقد نزلت فلاتظني غيره مني بمنزلة المحَبّ المكرم[١]

وأعطوا « الحُب » حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها ، مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها .

وأعطوا « الحِب » وهو المحبوب : حركة الكسر لخفتها عن الضمة وخفة المحبوب ، وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم ...

فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة ، وأن لها شأنا ليس لسائر اللغات[٢] .

ب ـ الحد الاصطلاحي للمحبة :

قال ابن حجر[٣]« وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد ، وإنما يعرفها من قامت به وجدانا ولا يمكن التعبير عنها »[٤]

وقال ابن القيم : « لا تحد المحبة بحد أوضح منها ، فالحدود لاتزيدها إلا خفاءً وجفاء . فحدها وجودها . ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وإنما يتكلم الناس في أسبابها ، وموجباتها ، وعلاماتها ، وشواهدها ، وثمراتها ، وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات ، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة »[٥] .

---

(١) البيت لعنتره بن شداد .

(٢) مدارج السالكين (٣ / ٩ ـ ١١) .

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ صاحب كتاب فتح الباري ـ من أئمة العلم والتاريخ ، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣ هـ وتوفي بها سنة ٨٥٢ هـ ، وله مؤلفات كثيرة . الأعلام (١ / ١٧٨)

(٤) فتح الباري (١٠ / ٤٦٣) .

(٥) مدارج السالكين (٣ / ٩) .

قلت : وهذا الذي ذكره ابن القيم وابن حجر هو الذي تطمئن له النفس فالمحبة أمر شعوري وجداني يتعرف عليه بواسطة الأمور الستة التي أشار اليها ابن القيم ، وذلك لكون هذه الأمور هي العناصر التي يمكن أن يعبر عن المحبة من طريقها .

ولذلك فلا داعي لذكر تعريفات العلماء لها فحدها وجودها ، والحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاءً كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى .

○○○○

المطلب الثاني

اقسام المحبة

أ ـ أقسام المحبة من حيث العموم :

تنقسم المحبة من حيث العموم إلى قسمين :

١ ـ مشتركة . ٢ ـ خاصة .

القسم الأول : المحبة المشتركة

وهي ثلاثة أنواع :

أحدها : محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام ، والظمآن للماء ونحو ذلك ، وهذه لا تستلزم التعظيم .

الثاني : محبة رحمة وإشفاق ، كمحبة الوالد لولده الطفل ، وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم .

الثالث : محبة أنس وألف ، وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر ، لبعضهم بعضا ، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضا .

فهذه الأنواع الثلاثة ، التي تصلح للخلق ، بعضهم من بعض ، ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل ، وكان يحب نساءه ، وعائشة أحبهن إليه ، وكان يحب أصحابه ، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه .

القسم الثاني : المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله

ومتى أحب العبد بها غيره ، كان شركًا لا يغفره الله ، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم ، وكمال الطاعة ، وإيثاره على غيره .

فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً[١] بل يجب إفراد الله بهذه المحبة الخاصة التي هي توحيد الإلهية ، بل الخلق والأمر والثواب والعقاب ، إنما نشأ عن المحبة ولأجلها ، فهي الحق الذي خلقت به السموات والأرض ، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي وهي سر التأله ، وتوحيدها هو شهادة أن لا إله إلا الله ، وليس كما يزعم المنكرون ، أن الإله هو الرب الخالق ، فإن المشركين كانوا مقرين بأنه لا رب إلا الله ولا خالق سواه ، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية الذي هو حقيقة لا إله إلا الله ، فإن الإله الذي تألهه القلوب حبًا وذلًا وخوفًا ورجاءً وتعظيمًا وطاعةً .

وإله بمعنى مألوه ، أي : محبوب معبود ، وأصله من التأله وهو التعبد الذي هو آخر مراتب المحبة ، فالمحبة حقيقة العبودية[٢] وسيأتي مزيد تفصيل لهذا القسم .

ب ـ أقسام المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها :

تنقسم المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها إلى قسمين :

١ ـ نافعة محمودة . ٢ ـ مذمومة ضارة .

القسم الأول : المحبة النافعة

وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة وهي ثلاثة أنواع :

أ ـ محبة الله .

ب ـ محبة في الله .

ج ـ محبة ما يعين على طاعة الله واجتناب معصيته .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٤١١) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٤١٢) .

فيُحبُّ اللّه تعالى حبًا لا يشاركه فيه أحد ، ويكون اللّه عز وجل هو المحبوب المراد الذي لا يحب لذاته ولا يراد لذاته إلا هو ، وهو المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو محبوبه ومراده وغاية مطلوبه . وتكون هذه المحبة مستلزمة لما يتبعها من عبادته تعالى وخضوعه له ، وتعظيمه عز وجل .

والمحبة في اللّه : بأن يحب المؤمنين لا يحبهم إلا للّه ويكون هواه تبعا لحب اللّه تعالى ورضاه ، فلا يحب إلا ما يحب اللّه تعالى .

ومحبة ما يعين على طاعة اللّه أنواع كثيرة تندرج فيها جميع العبادات .

القسم الثاني : المحبة الضارة

وهي المحبة المذمومة التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء . وهي ثلاثة أنواع أيضا :

١ ـ المحبة مع اللّه .

٢ ـ محبة ما يبغضه اللّه .

٣ ـ محبة ما تقطع محبته عن محبة اللّه تعالى أو تنقصها .

فمن النوع الأول : محبة المشركين آلهتهم كحب اللّه .

ومن النوع الثاني : محبة الفواحش والمنكرات التي يبغضها اللّه .

ومن النوع الثالث : عشق النساء الذي يزيد عن حده حتى يضيع الأوامر ويدخل في النواهي ، وفي مقدمة ذلك عشق الفاسقات والعاهرات والولدان .

فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق .

فأصل المحاب المحمودة محبة اللّه تعالى بل وأصل الإيمان والتوحيد والنوعان الآخران تبع لها .

كما أن المحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة ، والنوعان الآخران تبع لها[١].

فأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة ، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السموات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها وعادوا عليها وتألهوها وقالوا : هذه آلهة صغار تقربنا إلى الإله الأعظم ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٢] .

ففرق بين محبة الله أصلا ، والمحبة له تبعا ، والمحبة معه شركا ، وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك[٣] .

○○○○

---

(١) إغاثة اللهفان (٢ / ١٤٠ ، ١٤١) وجامع الرسائل (٢ / ٢٠٢) .

(٢) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٣) روضة المحبين (٢٩٣) .

المطلب الثالث

حقيقة المحبة الشرعية

المقصود بالمحبة الشرعية : محبة الله سبحانه وتعالى ومحبة رسوله ﷺ وكل ما يدخل في فلكها ويدور مع محورها .

فهذه المحبة من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله ، بل ومن أوجب العبادات المناطة بقلب المؤمن ، ذلك لأنه لابد في إيمان القلب من حب الله ورسوله ، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

فهي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين ، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين ، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة : إما محبة محمودة ، أو عن محبة مذمومة .

فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة ، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى ، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة لا يكون عملًا صالحًا عند الله ، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله ، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه .

كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »[1] .

فإخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل ، وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أهل الإيمان ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله (٨ / ٢٢٣) .

وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه[١].

فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون اللّٰه هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه ولا يكون لها إله سواه ، والإله ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك .

واللّٰه سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته ، وعن رجاء ما سواه برجائه ، وعن سؤال ما سواه بسؤاله ، وعن العمل لما سواه بالعمل له ، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به[٢] .

فإذا كان أصل العمل الدينى هو إخلاص الدين للّٰه ، وهو إرادة اللّٰه وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته ، وهذا كمال المحبة ، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسم العبادة كقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣] وقوله : ﴿ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[٤]وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته ، وكمال الذل ونهايته ، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودًا ، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٥]

فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون اللّٰه أندادًا ، وإن كانوا يحبونهم كما يحبون اللّٰه ، فالذين آمنوا أشد حبا للّٰه منهم للّٰه ولأوثانهم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٨ ، ٤٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

(٣) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

(٤) الآية (٢١) من سورة البقرة .

(٥) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

لأن المؤمنين أعلم بالله ، والحب يتبع العلم ، ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده ، وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ، ومعلوم أن ذلك أكمل قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(١)] .

واسم المحبة فيه إطلاق وعموم فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين ، وان كان ذلك من محبة الله ، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره . ولهذا جاءت محبة الله سبحانه وتعالى مقرونة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له ، ونحو ذلك . فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى .

وكما أن محبته هي أصل الدين ، فكذلك كمال الدين يكون بكمالها ونقصه بنقصها[(٢)] وكمال هذه المحبة هو بالعبودية والذل والخضوع والطاعة للمحبوب سبحانه وتعالى فالحق الذى خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التي هي كمال محبته والخضوع والذل له ، ولوازم عبوديته من الأمر والنهي والثواب والعقاب ، ولأجل ذلك أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنة والنار[(٣)] .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[(٤)]

---

(١) الآية (٢٩) من سورة الزمر .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٦ ، ٥٧) .

(٣) روضة المحبين (ص ٥٩) .

(٤) الآية (٢) من سورة الملك .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1]؛

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2] .

فأخبر سبحانه في هذه الآيات أن خلق العالم والموت والحياة وتزين الأرض بما عليها أنه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه أيهم أحسن عملا ، فيكون عمله موافقًا لمحاب الرب تعالى ، فيوافق الغاية التي خلق هو لها وخلق لأجلها العالم وهي عبوديته المتضمنة لمحبته وطاعته ، وهي العمل الأحسن وهو مواقع محبته ورضاه ، وقدر سبحانه مقادير تخالفها بحكمته في تقديرها ، وامتحن خلقه بين أمره وقدره ليبلوهم أيهم أحسن عملا .

فانقسم الخلق في هذا الابتلاء فريقين :

فريقًا داروا مع أوامره ومحابه ، ووقفوا حيث وقف بهم الأمر ، وتحركوا حيث حركهم الأمر ، واستعملوا الأمر في القدر ، وركبوا سفينة الأمر في بحر القدر ، وحكموا الأمر على القدر ، ونازعوا القدر بالقدر امتثالا لأمره واتباعا لمرضاته فهؤلاء هم الناجون .

والفريق الثاني : عارضوا بين الأمر والقدر ، وبين ما يحبه ويرضاه وبين ما قدره وقضاه ، فهؤلاء هم المفرطون[3] .

وحقيقة المحبة : حركة نفس المحب إلى محبوبه ، فالمحبة حركة بلا سكون[4]

---

(١) الآية (٧) من سورة الكهف .

(٢) الآية (٧) من سورة هود .

(٣) روضة المحبين (٦٠ ، ٦١) .

(٤) روضة المحبين (ص ٥٩) .

فالحب يوجب حركة النفس وشدة طلبها ، والنفس خلقت متحركة بالطبع كحركة النار ، فالحب حركتها الطبيعية ، فكل من أحب شيئًا من الأشياء وجد في حبه لذة وروحا ، فإذا خلا عن الحب مطلقا تعطلت النفس عن حركتها وثقلت وكسلت وفارقها خفة النشاط ، ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همًا وغمًا وحزنًا ، ليس لهم فرح ولا سرور ، بخلاف أرباب النشاط والجد في العمل أى عمل كان ، فإن كان النشاط في عمل هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته كان التذاذهم بحبه ونشاطهم فيه أقوى .

وإنه ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته ، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام فكيف بالإيمان الذي يمنع من دخولها[1] .

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه فليس لقلب العبد صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله ، فلا يحب إلا لله .

كما في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن

---

(١) روضة المحبين (ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨) بتصرف .

يلقى في النار[1]» فأخبر أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه ، ومحبة الرسول هي من محبته ، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبة الله ، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها ، وتصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه - وهو الكفر - بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد .

ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة ، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئًا ، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان الله أحب إليه من نفسه فالحديث دل على أن حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله ، وهذه الحلاوة لا تحصل إلا بثلاثة أمور :

١ - تكميل هذه المحبة . ٢ - تفريعها . ٣ - دفع ضدها .

١- « فتكميلها » : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

٢- و « تفريعها » : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

٣- و« دفع ضدها » أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار[2] وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم ، بل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان فتح الباري (١ / ٦٠) ح ١٦ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١ / ٤٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٦) .

لا نظير لهذه المحبة كما لا مثيل لمن تعلقت به .

وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والإنقياد ظاهرًا وباطنًا وهذا لا نظير له في محبة المخلوق كائنًا من كان .

ولهذا من أشرك بين اللّٰه وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركًا شركًا لا يغفره اللّٰه كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1] والصحيح أن معنى الآية والذين آمنوا أشد حبا للّٰه من أهل الأنداد لأندادهم كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا ، كما لا يماثل محبوبهم غيره . وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته ، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته[2] .

وكثير من الناس يدعي محبة اللّٰه تعالى من غير تحقيق لموجباتها قال بعض السلف : ادعى قوم على عهد رسول اللّٰه ﷺ أنهم يحبون اللّٰه فأنزل اللّٰه هذه الآية[3] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[4] وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه اللّٰه ، وليس شيء يحبه اللّٰه إلا والرسول يدعو إليه ، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا واللّٰه يحبه ، فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا

---

(١) البقرة الآية (١٦٥) .

(٢) روضة المحبين (١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٨ / ٣١٥) .

(٤) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

في ذاته ، وإن تنوعت الصفات .

فكل من أدعى أنه يحب اللّٰه ولم يتبع الرسول فقد كذب ، وليست محبته للّٰه وحده ، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك ، فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة اللّٰه ، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول ، فلما أحبوا ما أبغض اللّٰه مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين .

وهكذا أهل البدع فمن قال إنه من المريدين للّٰه المحبين له ، وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدع ، فإن البدع ليست مما دعا إليه الرسول ولا يحبها اللّٰه ، فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه اللّٰه ، فأمر بكل معروف ونهي عن كل منكر[(١)] .

فمحبة اللّٰه ورسوله وعباده المتقين تقتضي فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتفاضلون في هذا تفاضلًا عظيمًا ، فمن كان أعظم نصيبًا من ذلك كان أعظم درجة عند اللّٰه .

ومن كان أقل نصيبًا كان ذلك سببًا في نزول درجته ومنزلته ، وأما من كان غير متبع لسبيل النبي ﷺ فكيف يكون محبا للّٰه سبحانه وتعالى[(٢)] ؟

ومعلوم أنه لا يتم الإيمان والمحبة للّٰه إلا بتصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر[(٣)] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٦٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٨ / ٣١٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٦٦) .

فلابد لمحب الله من متابعة الرسول والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾(١) فهذا حب المؤمن لله .

وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾(٢) فأخبر أن من كانت محبوباته أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من أهل الوعيد .

وقال في الذين يحبهم ويحبونه ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾(٣)

فمن تمام محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله ، والجهاد في سبيله لقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾(٤)

وقال تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ

---

(١) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٥٤) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٢٢) من سورة المجادلة .

أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ ﴾(٢) .

فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده(٣) .

وثبات المحبة إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه ، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها ، وبحسب نقصانه يكون نقصانها .

وهذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معًا ، ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن في أن تحب الله ، بل الشأن في أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا ، وصدقته خبرًا ، وأطعته أمرًا ، وأجبته دعوة ، وآثرته طوعًا وفنيت عن حكم غيره بحكمه ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته ، وعن طاعة غيره بطاعته ، وإن لم يكن ذلك فلا تتعن ، وارجع من حيث شئت فالتمس نورًا فلست على شيء(٤) .

ومحبة الله ورسوله على درجتين :

---

(١) الآية (٨٠ ، ٨١) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٤) من سورة الممتحنة .

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٦١).

(٤) مدارج السالكين (٣ / ٣٧) .

واجبة ، وهي درجة المقتصدين . ومستحبة ، وهي درجة السابقين .

فالأولى : تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، بحيث لا يحب شيئًا يبغضه ، كما قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(١) وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى ، وبغض ما حرمه الله تعالى ، وذلك واجب ، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه الله ، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها وذلك مستلزم لبغضها التام .

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ﴾(٤) .

وأما محبة السابقين بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة ، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه . فإذا كانت محبة الله ورسوله الواجبة تقتضي بغض ما أبغضه الله ورسوله ، كما في سائر أنواع المحبة ، فإنها توجب بغض الضد ... »(٥) .

---

(١) الآية (٢٢) من سورة المجادلة .

(٢) الآية (٢٨) من سورة محمد .

(٣) الآيتان (١٢٤ ، ١٢٥) من سورة التوبة .

(٤) الآيتان (٣٦) من سورة التوبة .

(٥) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٩١ ، ٩٢) .

المطلب الرابع

المعنى الصحيح لمحبة النبي ﷺ وانقسام الناس فيها

اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقًا زائدة على مجرد التصديق بنبوته ، كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورًا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه . وحرم سبحانه لحرمة رسوله ـ مما يباح أن يفعل مع غيره ـ أمورًا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته .

فمن تلك الحقوق حقه ﷺ بأن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دلت على ذلك الأدلة من القرآن والسنة[1] والتي سيأتي ذكرها .

« فحب النبي ﷺ من أعظم واجبات الدين »[2] .

فهذه المحبة الواجبة له ﷺ هي من محبة الله ، فهي حب لله وفي الله ، ذلك لأن محبة الله توجب محبة ما يحبه الله ، والله يحب نبيه وخليله ﷺ ، فوجب بذلك محبته ﷺ ، فهي متفرعة عن محبة الله وتابعة لها واقتران ذكرها مع محبة الله في القرآن والسنة إنما هو للتنبيه على أهميتها وعظم منزلتها .

وبمقتضى هذه المحبة يجب موافقة الرسول ﷺ في حب ما يحبه وكره ما يكرهه ، أي بتحقيق المتابعة له فيحب بقلبه ما أحب الرسول ، ويكره ما كرهه الرسول ، ويرضى بما يرضى الرسول ، ويسخط ما يسخط الرسول ، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض .

---

(١) الصارم المسلول (ص ٤٢٠ ، ٤٢١) بتصرف يسير .

(٢) الرد على الاخنائي (ص ٢٣١) .

وقد انقسم الناس في فهمهم لهذه المحبة إلى ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : أهل الإفراط .

القسم الثاني : أهل التفريط .

القسم الثالث : الذين توسطوا بين الأفراط والتفريط .

أما أصحاب القسم الأول : فهم الذين بالغوا في محبته بابتداعهم أمورًا لم يشرعها الله ورسوله ﷺ ، ظنًا منهم أن فعل هذه الأمور هو علامة المحبة وبرهانها .

ومن تلك الأمور احتفالهم بمولده ، ومبالغتهم في مدحه وإيصاله إلى أمور لا تنبغي إلا لله تعالى ومن ذلك قول قائلهم :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يازلة القدم[1]

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فإذا كانت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ ، ومن بعض علومه علم اللوح والقلم لأن « من » للتبعيض ، فماذا للخالق جل وعلا ؟

إضافة إلى صرف بعض أنواع العبادة له كالدعاء والتوسل والاستشفاع والحلف به والطواف والتمسح بالحجرة التي فيها قبره ﷺ إلى غير ذلك من البدعيّات والشركيّات التي تفعل بدعوى المحبة للرسول ﷺ ، وهي أمور لم يشرعها الله ورسوله ﷺ ولم يفعلها الصحابة رضوان الله عليهم الذين عرفوا

---

(١) ديوان البوصيري (ص ٢٣٨) .

بإجلالهم وتقديرهم ومحبتهم لرسول اللّه ﷺ ، وإضافة إلى ذلك فإن ما يقوم به هؤلاء هي أمور مخالفة لما جاء به الشارع ، بل هي أمور قد حذر الشارع من فعلها ؛ ولقد صار حظ أكثر أصحاب هذا القسم منه ﷺ مدحه بالأشعار والقصائد المقترنة بالغلو والإطراء الزائد الذي حذر منه الشارع الكريم ، مع عصيانهم له في كثير من أمره ونهيه ، فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلوات اللّه عليه وسلامه[١] .

فياترى أي محبة هذه التي يخالف أصحابها شرع نبيهم ، فيحلوا ما حرم اللّه ويحرموا ما أحل اللّه ، فكرهوا ما أحب اللّه ورسوله ، وأحبوا ما كرهه اللّه ورسوله .

فكيف تكون لهؤلاء محبة وهم قد ابتدعوا ما ابتدعوه من أمور لم تشرع في الدين ، ونعلم أن رسول اللّه ﷺ قد تبرأ ممن ابتدع في هذا الدين فقال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

والذي يجب على أمثال هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول وتعظيمه إنما تكون بتصديقه فيما أخبر به عن اللّه ، وطاعته فيما أمر به ، ومتابعته ، ومحبته وموالاته ، لا بالتكذيب بما أرسل به ، والإشراك به والغلو فيه ، فهذا لا يعدو كونه كفرًا به ، وطعنًا فيما جاء به ومعاداة له[٢] .

كما يجب عليهم أن يفرقوا بين الحقوق التي يختص بها اللّه وحده وبين الحقوق التي له ولرسله ، والحقوق التي يختص بها الرسول ، فقد ميز سبحانه بين ذلك في مثل قوله ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٣] فالتعزير والتوقير للرسول

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٦) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٢٤ ، ٢٥) بتصرف .

(٣) الآية (٩) من سورة الفتح .

والتسبيح بكرة وأصيلا لله ، وكما قال : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ فالطاعة لله ولرسوله ، والخشية والتقوى لله وحده وكما يقول المرسلون : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[1].

فعلى هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول لا تنال بدعائه والاستغاثة به ، فتلك أمور صرفها لغير الله يعد شركًا مع الله فالله وحده هو الذي يدعى ويستغاث به فهو رب العالمين ، وخالق كل شيء ، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وهو القريب الذي يجيب الداع إذا دعاه وهو سميع الدعاء سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

وسيأتي باذن الله مزيد تفصيل لما وقع فيه أصحاب هذا القسم من الغلو في حقه ، وذلك في الباب الرابع الذي عقدته للكلام عن الغلو في حقه ﷺ .

أما أصحاب القسم الثاني فهم أهل التفريط الذين قصّروا في تحقيق هذا المقام فلم يراعوا حقه ﷺ في وجوب تقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال .

كما لم يراعوا ماله من حقوق أخرى كتعزيره وتوقيره وإجلاله وطاعته واتباع سنته والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك من الحقوق العظيمة الواجبة له .

والسبب في ذلك يعود الى احدى الأمور التالية أو إليها جميعا وهي :

أولًا : إعراض هؤلاء عن سنة نبيهم ﷺ وعن اتباع شرعه بسبب ما هم عليه من المعاصي ، وإسرافهم في تقديم شهوات أنفسهم وأهوائهم على ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي .

ثانيًا : اعتقاد الكثير أن مجرد التصديق يكفي في تحقيق الإيمان ، وأن هذا هو القدر الواجب عليهم ، ولذا تراهم يكتفون بالتصديق بنبوة محمد ﷺ ، دون تحقيق المتابعة له ، وهذا هو حال أهل الإرجاء الذين يؤخرون العمل عن مسمى

---

(١) الآية (٣) من سورة نوح .

الإيمان ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، أو تصديق القلب وإقرار اللسان وما أكثرهم في زماننا هذا .

ثالثا : جهل الكثير منهم بأمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له ﷺ ، والتي من ضمنها محبته ﷺ فكثير من الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ليس لهم من الإسلام إلا اسمه وليس لهم من الدين إلا رسمه .

فالواجب على هؤلاء أن يعودوا إلى رشدهم وأن يقلعوا عن غيهم ، وما هم عليه من المعاصي والذنوب التي هي سبب نقصان إيمانهم وضعف محبتهم وبعدهم عما يقربهم إلى الله تعالى .

كما يجب عليهم أن يعلموا أن مجرد التصديق لا يسمى إيمانًا بل الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان ، فليس لأحد أن يخرج العمل عن مسمى الإيمان فلذلك يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله أن يطيع الله ورسوله ويتبع ما أنزل الله من الشرع على رسوله ﷺ ، فبذلك يحصل الإيمان ، فإن الاتباع هو ميزان الإيمان فبحسب اتباع المرء يكون إيمانه ، فمتى ما قوي اتباعه قوي إيمانه والعكس بالعكس .

كما يجب عليهم معرفة أمور دينهم وبخاصة الواجب منها والتي من ضمنها معرفة ما للمصطفي ﷺ من الحقوق الواجبة فلقد ذم الله تبارك وتعالى أولئك النفر الذين لم يعرفوا ما للنبي ﷺ من حق في عدم رفع الصوت عند مخاطبته أو مناداته ووصفهم الله بأنهم لا يعقلون قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1] وفي السورة نفسها أثنى على الذين

---

(١) الآية (٤) من سورة الحجرات .

عرفوا حق المصطفي ﷺ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١]

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢]. وليعلم هؤلاء أنه لا يتحقق لهم إيمان ولا محبة إلا باتباعهم للمصطفى ﷺ واقتدائهم بسنته والسير على نهجه وهداه .

أما القسم الثالث : فهم الذين توسطوا بين الطرفين السابقين أهل الإفراط وأهل التفريط .

فأصحاب هذا القسم هم السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكمًا وقاموا بمقتضاها اعتقادًا وقولًا وعملًا . فأحبوا النبي ﷺ فوق محبة النفس والولد والأهل وجميع الخلق امتثالًا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ فجعلوه أولى بهم من أنفسهم تصديقا لقوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[٣] وأيقنوا بوجوب أن يوقى بالأنفس والأموال طاعة لقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾[٤] .

وقاموا بمقتضى هذه المحبة اعتقادا وقولا وعملا بحسب ما أوجب الله لنبيه ﷺ من حقوق على القلب واللسان والجوارح من غير إفراط ولا تفريط .

فآمنوا وصدقوا بنبوته ورسالته وما جاء به من ربه عز وجل . وقاموا ـ بحسب استطاعتهم ـ بما يلزم من طاعته والانقياد لأمره والتأسي بفعله والاقتداء بسنته

(١) الآية (٣) من سورة الحجرات .

(٢) الآية (٩) من سورة الزمر .

(٣) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (١٢٠) من سورة التوبة .

إلى غير ذلك مما يعد من لوازم الإيمان برسالته .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[١] وامتثلوا لما أمر به سبحانه وتعالى من حقوق زائدة على مجرد التصديق بنبوّته وما يدخل في لوازم رسالته .

فمن ذلك امتثالهم لأمره سبحانه بالصلاة عليه والتسليم قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢].

وما أمر به سبحانه من تعزيره وتوقيره قال تعالى : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٣].

فتعزيره يكون بنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ﷺ .

وتوقيره : يكون بإجلاله وإكرامه وأن يعامل بالتشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[٤] .

ويدخل في ذلك مخاطبته بما يليق قال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٥] .

وحرمة التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن ، وحرمة رفع الصوت فوق صوته وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ

---

(١) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) الآية (٩) من سورة الفتح .

(٤) الصارم المسلول (ص ٤٢٢) .

(٥) الآية (٦٣) من سورة النور .

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

فقاموا بهذه الأمور امتثالا وطاعة لأمر اللَّه تبارك وتعالى وأدوا ما فرض عليهم من الحقوق الأخرى التي يطول ذكرها والتي هي مذكورة في ثنايا هذا البحث .

وهم مع قيامهم بهذه الأمور لم يتجاوزوا ما أمروا به فلم يغالوا ولم يبالغوا كما فعل أهل الافراط الذين وصفوا النبي ﷺ بأمور لا تنبغي لغير اللَّه كعلم الغيب ، وصرفوا له أمورًا لا يجوز صرفها لغير اللَّه كدعائه والسجود له والاستغاثة به والطواف بقبره .

بل هم مؤمنون بأن ما أكرم اللَّه به نبيه ﷺ من النبوة والرسالة والرفعة وعظم القدر وشرف المنزلة ، كل ذلك لا يوجب خروجه عن بشريته وعبوديته للَّه قال تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٢) .

واعتقدوا أنه ليس من المحبة في شيء الغلو في حقه وقدره ووصفه بأمور قد اختص اللَّه بها وحده ، بل علموا أن في هذا مخالفة ومضادة لتلك المحبة ومناقضة لما أمر به سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يقوله لأمته ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا

(١) الآيات (١ ، ٢ ، ٣) من سورة الحجرات .

(٢) الآية (٩٣) من سورة الإسراء .

(٣) الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[١]

فكل غلو في حقه ﷺ ليس من محبته في شيء بل يعد مخالفة لما أمر به فيجب الابتعاد عن ذلك والحذر من عقوبته قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ كما يعد مشاقة للرسول ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[٢]

ولذا فإنه يجب الحذر من حال الغلاة الذين غلوا في حق النبي ﷺ بما ابتدعوه من الأمور التي لم يشرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله ، بل حذر الله ورسوله منها .

وقد يظن البعض بأن السير على منهج أهل التوسط فيه انتقاص من قدر النبي ﷺ وغمط لحقه ، والأمر على عكس ما يظنون فالذي يعتقده السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين أن الحق الواجب أن يثنى على النبي ﷺ بما هو أهل له من الخصائص الثابتة له التي خصه الله بها والفضائل العظيمة التي شرفه بها والصفات الخَلقية والخُلقية التي كان عليها وذلك للتعرف وتعريف الناس بفضله ومكانته وعظيم قدره عند الله وعند خلقه حتى يُتأسى ويقتدى به في أقواله وأفعاله فهو الأسوة والقدوة عليه أفضل الصلاة والتسليم قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٣]

---

(١) الآية (٦٥) من سورة النمل .

(٢) الآية (١١٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٢١) من سورة الأحزاب .

فمن صميم المحبة له ﷺ الاشتغال بمعرفة سيرته بقصد التأسي والاقتداء بما كان عليه من كريم الخصال ومحاسن الأفعال والأقوال . وكذا معرفة شمائله ودلائل نبوته التي تعمق إيمان المسلم بصدق نبوته وتزيد في محبته وتعظيمه ﷺ .

ولقد اهتم السلف بهذه الجوانب وأولوها رعايتهم واهتمامهم فاعتنوا بتأليف المؤلفات التي أوضحت هذه الجوانب وأبرزتها فقد ألفت لهذا الغرض كتب الشمائل التي اعتنت بذكر صفاته وأحواله في عباداته وخلقه وهديه ومعاملاته(١).

كما ألفت كتب الدلائل التي اعتنت بدلائل وعلامات نبوته ﷺ(٢) .

هذا بالإضافة إلى ما كتب في الفضائل والخصائص التي كانت للنبي ﷺ .

كما اعتنوا بأصل هذه الجوانب جميعها ألا وهو سيرته الشريفة ﷺ فقد ألفت لهذا الغرض المؤلفات التي اعتنت بحياته منذ ولادته إلى وفاته وضمت في جوانب ذلك الحديث عن نشأته وبعثته وما حدث له من الأمور قبل الهجرة وبعدها وما كان من أمر دعوته وغزواته وسراياه وما يتعلق بهذه الجوانب وغيرها مما هو داخل في سيرته(٣). فقد دونت هذه الجوانب جميعها وخدمت بقصد أن يتأسى الناس به ﷺ وأن يتعرفوا على كمال ذاته ﷺ وما تميز به من صفات ، وتفرد به من أخلاق لتزيد تلك المعرفة من محبتهم له وتنميتها في قلوبهم ولتبعث في نفوسهم تعظيمه وإجلاله .

وبهذا يعلم أن أهل التوسط لم ينتقصوا من قدره ﷺ بل حفظوا وحافظوا على كل ما من شأنه أن يضمن استمرارية محبة الأمة وتعظيمها له .

(١) من تلك الكتب ، كتاب الشمائل للترمذي ، كتاب الشمائل لابن كثير .

(٢) منها كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي .

(٣) ومن أشمل الكتب التي تحدثت عن سيرته ﷺ كتاب السيرة لابن كثير .

فهذه حال أهل التوسط وهذا هو منهجهم فمن أراد أن يسير على النهج القويم ويسلك الصراط المستقم فعليه بسبيل أهل الإيمان وطريقهم ألا وهو الكتاب والسنة فذاك طريق الحق والحق أحق أن يتبع .

وهذا منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، فقد كانت محبتهم للنبي ﷺ تحكمها قواعد الكتاب والسنة ، فما أمر به الشارع ائتمروا به وما نهي عنه الشارع انتهوا عنه ، ولم يحكموا في هذه المحبة عواطفهم وأهواءهم كما فعل أهل الإفراط الذين زلت بهم أقدامهم بسبب غلوهم في حقه ذاك الغلو الذي دفعهم إليه تحكيم أهوائهم وهو غلو ما أنزل الله به من سلطان بل إن نصوص الشرع تنص على تحريمه ، وإنه ليصدق وصف أهل الإفراط بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1] .

فخلاصة القول في هذا الجانب أن المفهوم الصحيح لمحبته ﷺ يتمثل في ذلك المفهوم الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم . ذلك المفهوم المستمد من آيات القرآن ونصوص السنة والذي لم يخرج عنهما قيد أنملة .

وما ذكرته ههنا عن هذا المفهوم الصحيح على سبيل الإجمال ، وتفصيل ذلك مستوفي بين دفتي هذا البحث فمنه ما سبق بيانه ومنه ما سيأتي تفصيله ونسأل الله الإعانة على ذلك .

٥ ٥ ٥ ٥

(١) الآية (٥٠) من سورة القصص .

المبحث الثاني

الأدلة على وجوب محبته ﷺ

● ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على وجوب محبته ﷺ .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على وجوب محبته ﷺ .

المطلب الثالث : ما جاء عن الصحابة في شأن محبته ﷺ .

● ● ● ●

المطلب الأول

الأدلة من القرآن على وجوب محبته ﷺ

لما كانت محبة اللّه ورسوله من أعظم واجبات الإيمان ، وأكبر أصوله وأجل قواعده ، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان(١) .

ولما كانت هذه المحبة من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به .

ولما كانت هذه المحبة هي إحدى الحقوق الواجبة للنبي ﷺ على أمته ، فقد جعل اللّه هذه المحبة فوق محبة الإنسان لنفسه وأهله وماله والناس أجمعين .

كما نص على ذلك في كتابه اللّه العزيز . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾(٢) .

فالآية نصت على وجوب محبة اللّه ورسوله وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب ، ولا خلاف في ذلك بين الأمة(٣) .

قال القاضي عياض : « كفي بهذه الآية حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على لزوم محبته ، ووجوب فرضها ، واستحقاقه لها ﷺ إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من اللّه ورسوله ، وأوعدهم بقوله تعالى :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٨ ، ٤٩) .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٩٥) بتصرف .

﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله »[١] .

والمتأمل لهذه الآية يجد أن الأمر فيها لم يقتصر على وجود أصل المحبة لله ورسوله ، بل لابد مع ذلك أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وهذه المحبة لله تقتضي تحقيق العبودية له لأن العبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمره ومحبته ورضاه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخلي عن الذل والذل الخلي عن الحب لا يكون عبادة ، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله ، وهي وإن كانت منفعتها للعبد والله غني عنها فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها[٣] .

وأما محبة الرسول فتقتضي تحقيق المتابعة له ﷺ وموافقته في حب المحبوبات وبغض المكروهات . ومحبته ﷺ متفرعة عن محبة الله تعالى وتابعة لها .

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه مايحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ، ويرضي ما يرضى الله ورسوله ، ويسخط ما يسخط الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك ، بأن ارتكب بعض ما

---

(١) الشفا (٢ / ٥٦٣) .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

(٣) التحفة العراقية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ١٢ ، ١٣) مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية (بتصرف يسير) .

يكرهه اللّه ورسوله أو ترك بعض ما يحبه اللّه ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة .

فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة اللّه ورسوله ، وقد وصف اللّه المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[١]

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ، ولهذا يسمى أهلها « أهل الأهواء »[٢]

والذنوب تنقص من محبة اللّه تعالى بقدر ذلك ، ولكن لا تزيل المحبة للّه ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب ، ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه في حديث حمار[٣] الذي كان يشرب الخمر ، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد فلما كثر ذلك منه لعنه رجل ، فقال النبي ﷺ : « لا تلعنه فإنه يحب اللّه ورسوله »[٤] وفيه دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه ، وإن كان مذنبًا ، إذا كان يحب اللّه ورسوله[٥].

---

(١) الآية (٥٠) من سورة القصص .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٦٦) بتصرف يسير .

(٣) هذا لقبه واسمه النعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري ، وقيل إن القصة وقعت لابنه عبد اللّه . فتح الباري (١٢ / ٧٧) والإصابة (٣ / ٥٤٠ ، ٥٤١) .

(٤) أخرجه في كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة . انظر : فتح الباري (١٢ / ٧٥) .

(٥) كتاب قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢ ، ٧٣) بتحقيق محمد رشاد سالم .

ثانيًا : ومن الآيات التي يستدل بها على وجوب محبة النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[١] فالآية دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين ، وهذه الأولوية تتضمن أمورا منها :

أن يكون النبي أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفس العبد أحب إليه من غيره ، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان .

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره ، وإيثاره على ما سواه .

ومنها : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا ، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده ، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذى هو أولى به منها .

ومن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصيبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والمحبة لهاوالرضا بها والتحاكم إليها ، وعرض ماقاله الرسول عليها ، فإن وافقها قبله ، وإن خالفها التمس وجوه الحيل وبالغ في رده ليا وإعراضا[٢]

ولذلك فإنه ينبغي على كل مسلم أن يعلم أن محبة النبي ﷺ ليست مجرد دعوى تتحقق بتلفظ اللسان فقط ـ كما يظن كثير من الناس ـ بل لابد لهذه الدعوى من البرهان الذي يثبت صدقها ، وبرهان المحبة تحقيق الأولوية في شتى

---

(١) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٢) الرسالة التبوكية (ص ٢٩ ، ٣٠) بتصرف يسير .

صورها وأشكالها فبحسب ذلك التحقيق تتحدد درجة المحبة وتتعين .

وليعلم أنه لا يتم للعبد مقام الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه فضلًا عن ابنه وأبيه . فإذا كان هذا شأن محبة عبده ورسوله فكيف بمحبته سبحانه ؟

ثالثا : ومما يستدل به كذلك على وجوب محبة النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1]. ووجه الاستدلال بهذه الآية : أن الآية قد تضمنت وجوب محبة النبي ﷺ لأنه مما يدخل في محبة اللّٰه محبة ما يحبه اللّٰه ، واللّٰه يحب نبيه وخليله ﷺ فمن أجل ذلك وجبت علينا محبته .

ومن المعلوم أن أصل حب أهل الإيمان هو حب اللّٰه ، ومن أحب اللّٰه أحب من يحبه اللّٰه ، وكل ما يحب سواه فمحبته تكون تبعا لمحبة اللّٰه ، إذ ليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا اللّٰه تعالى .

فالرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل اللّٰه ويطاع لأجل اللّٰه ويتبع لأجل اللّٰه ، وكذا الأنبياء والصالحون وسائر الأعمال الصالحة تحب جميعا لأنها مما يحب اللّٰه .

وبهذا يعلم تعين محبة النبي ﷺ ووجوبها ولزومها .

هذا وقد جاء ذكر محبة الرسول مقترنا بمحبة اللّٰه في قوله تعالى : ﴿ أحب إليكم من اللّٰه ورسوله ﴾ وكذلك في قوله ﷺ « ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما .. »[2]

وفي مواطن أخرى متعددة من السنة كما سيأتي .

(١) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٣

وهذا الاقتران يدلل على مدى الصلة الوثيقة بين محبة اللّٰه ومحبة رسوله ﷺ ، وإن كانت محبة الرسول داخلة ضمن محبة اللّٰه تعالى أصلا ، لكن إفرادها بالذكر مع أنها ضمن محبة اللّٰه فيه إشارة إلى عظم قدرها وإشعار بأهميتها ومكانتها .

رابعا : ومن الأدلة قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي ﷺ ، لأن اللّٰه تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبي ﷺ ، وهذا الإتباع لايتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبي ﷺ ، والإيمان به لابد فيه من تحقق شروطه التي منها محبة النبي ﷺ فعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده »[٢] .

فمحبته ﷺ شرط في الإيمان الذي لا يتحقق الإتباع إلا بوجوده . ومن جهة أخرى فإن محبة اللّٰه مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات واتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه اللّٰه تعالى على عباده وأحبه . وهو سبحانه أعظم شيء بغضًا لمن لم يتبع رسوله . فمن كان صادقًا في دعوى محبة اللّٰه اتبع رسوله لا محالة ، وكان اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما .

فتأمل هذا التلازم بين محبة اللّٰه تعالى ومحبة نبيه ﷺ .

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان .
انظر : فتح الباري (١ / ٥٨) ح ١٤

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على وجوب محبته ﷺ

تضافرت الأدلة من السنة على تأكيد وجوب محبة النبي ﷺ باعتبار هذه المحبة من صميم الدين فلا يتم لأحد إيمان إلا بتحقيقها . بل إنه لا يكتفي بوجود أصلها فقط ، إذ لابد مع ذلك من تقديم محبته بعد محبة الله على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين .

ومما يدل على وجوب تقديم محبته ﷺ على محبة النفس .

أولا : ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ يارسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي .

فقال النبي ﷺ : « لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » . فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي .

فقال النبي ﷺ : « الآن ياعمر »[١] .

فالحديث نص على وجوب تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة النفس .

وأما الدليل على وجوب تقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين .

ثانيا : فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده »[٢] .

ثالثا : وعن أنس رضي الله عنه قال : « قال النبي ﷺ « لا يؤمن أحدكم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ .
انظر : فتح الباري (١١ / ٥٢٣) ح ٦٦٣٢

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٠٦) .

حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »[١].

« فالمراد من قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم » أي : لا يحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته ، ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين ، بل لا يحصل له ذلك حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه أيضًا ، كما تقدم في حديث عمر رضي اللّٰه عنه . فمن لم يكن كذلك ، فهو من أصحاب الكبائر إذا لم يكن كافرًا ، فإنه لا يعهد في لسان الشرع نفي اسم مسمى أمر اللّٰه به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته ، فأما إذا كان الفعل مستحبًا في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب ، ولو صح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب اللّٰه ورسوله ، لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي ﷺ ، بل ولا أبو بكر ولا عمر ، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه ، لجاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الأولين والاخرين ، وهذا لا يقوله عاقل .

وعلى هذا فمن قال : إن المنفي هو الكمال ، فإن أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق ، وإن أراد نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام اللّٰه ورسوله ﷺ .

وأكثر الناس يدعي أن الرسول أحب إليه مما ذكر ، فلابد حينئذ من تصديق ذلك بالعمل والمتابعة له ، وإلا فالمدعي كاذب .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، واللفظ له . انظر : فتح الباري (١ / ٥٨) ح ١٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان (١ / ٤٨) .

فإن القرآن بين أن المحبة التي في القلب تستلزم العمل الظاهر بحبها كما قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] إلى قوله ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] فنفي الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى اللّه ورسوله سمعوا وأطاعوا .

فتبين أن هذا من لوازم الإيمان والمحبة ، ولكن كل مسلم لابد أن يكون محبًا بقدر ما معه من الإسلام ، كما أن كل مؤمن لابد أن يكون مسلمًا وكل مسلم لابد أن يكون مؤمنًا ، وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق ، لأن ذلك لايحصل إلا لخواص المؤمنين ، فإن الاستسلام للّه ومحبته لا يتوقف على هذا الإيمان الخاص .

وهذا الفرق يجده الإنسان من نفسه ويعرفه من غيره ، فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر ، أو ولدوا في الإسلام ، والتزموا شرائعه ، وكانوا من أهل الطاعة للّه ورسوله ، وهم مسلمون ومعهم مطلق الإيمان ، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا إن أعطاهم اللّه ذلك ، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين ، ولا إلى الجهاد ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا ، وليسوا كفارا ولا منافقين ، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب ، ولا عندهم من قوة الحب للّه ورسوله ما

(١) الآية (٤٧) من سورة النور .

(٢) الآية (٥١) من سورة النور .

يقدمونه على الأهل والمال .

وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق[١] .

رابعا : وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »[٢] .

وفي هذا الحديث أخبر ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . والمتأمل في هذه الأمور الثلاثة يرى أنها تتبع كمال محبة العبد لله[٣] لأن محبة الله تكمل بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ذلك لأن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وتفريعها : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

ودفع ضدها : بأن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهة الإلقاء في النار[٤].

والشاهد من الحديث معنا قوله « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

فمن المعلوم أن كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانا صحيحًا لا يخلو عن وجدان

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤١٥ ، ٤١٧) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٣

(٣) المقصود كمال المحبة الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة وليس المراد الكمال المستحب .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٦) .

شيء من تلك المحبة ، غير أن الناس يتفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفي وهم الذين جعلوا محبة الله ورسوله مقدمة على ما سواهما .

ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات .

ومنهم من هو بين هذين الأمرين .

فالحظ الأوفي هو بتحقيق هذه المرتبة من المحبة وهي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » . وذلك بأن يتوجه بكليته نحو هذه الغاية فيحب ما أحب الله ورسوله ويكره ما كرهه الله ورسوله ، فيمتثل للأوامر ويجتنب النواهي ولا يتلقى شيئًا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاة النبي ﷺ ، ولا يسلك إلا طريقته ، ويرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضاه ، ويتخلق بأخلاقه ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان .

وأما قوله : « وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله » ففيه دلالة واضحة على أن حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما .

وفي الحديث « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »[1] .

ومتى كان حب المرء وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥ / ٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥ / ٢٢٩) .

ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها[١] .

خامسا : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال : « وما أعددت للساعة ؟ »

قال : حب الله ورسوله . قال : « فإنك مع من أحببت » .

قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ﷺ « فإنك مع من أحببت » . قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم »[٢] .

سادسًا : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أشد أمتي لي حبًا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله »[٣] .

سابعًا : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه ، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي »[٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٦ ، ٣٦٧) بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب المرء مع من أحب ، انظر : فتح الباري (١٠ / ٥٥٧) ح ٦١٧١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصله ، باب المرء مع من أحب (٨ / ٤٢) واللفظ له .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله . انظر : (٨ / ١٤٥) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٥ / ٦٦٤) ح ٣٧٨٩ وقال الترمذي حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣ / ١٤٩ ، ١٥٠)وصححه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣ / ٢١١) . والخطيب في تاريخ بغداد (٤ / ١٦٠) . والطبراني في الكبير (١٠ / ٣٤١) ح ١٠٦٦٤

ثامنا : وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلًا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه » .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ . قال : فتساورت لها[(١)] رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها ... » الحديث[(٢)] .

وعن سهل بن سعد[(٣)] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . قال : فبات الناس يدوكون[(٤)] ليلتهم : أيهم يعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها . فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل : هو يارسول الله يشتكى عينيه . قال : « فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية .... » الحديث[(٥)] .

○ ○ ○ ○

(١) « تساورت لها » أي : رفعت لها شخصي . النهاية (٢ / ٤٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢١) .

(٣) سهل بن سعد الساعدي الأنصاري من مشاهير الصحابة ، مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة . وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، مات سنة إحدى وتسعين وقيل قبل ذلك . الإصابة (٢ / ٨٧) .

(٤) أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه . النهاية (٢ / ١٤٠)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر انظر : فتح الباري (٧ / ٤٧٦) ح ٤٢١٠ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢١) .

المطلب الثالث

ما جاء عن الصحابة في شان محبته ﷺ

إن مما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه ﷺ كان أتم وأوفر ، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة ، وهم بقدره ﷺ ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم فبالتالي كان حبهم له ﷺ أشد وأكبر .

وإن المتأمل لما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من كلام في هذا الخصوص يلمس صدق تلك المحبة وعظمها في نفوسهم .

فعن عمرو بن العاص[١] رضي الله عنه قال : « وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه اجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عيني منه »[٢].

وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ[٣] .

وقد سأل أبو سفيان بن حرب ـ وهو على الشرك حينذاك ـ زيد بن الدثنة[٤]

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي أسلم قبل الفتح ، أحد دهاة العرب في الإسلام ، وأحد القادة الفاتحين ، فتح مصر وكان أميرًا عليها ، توفي سنة ٤٣ هـ . الإصابة (٣ / ٢ ـ ٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجره (١ / ٧٨) .

(٣) الشفا (٢ / ٥٦٨) .

(٤) زيد بن الدثنة ـ بفتح الدال وكسر المثلثة بعدها نون ـ ابن معاوية الأنصاري البياضي ، شهد بدرًا وأُحدًا ، وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش بالتنعيم . الإصابة (١ / ٥٤٨) .

رضي اللَّه عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقلتوه ـ وكان قد أسر يوم الرجيع ـ[1] أنشدك اللَّه يازيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟ قال : واللَّه ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شركة تؤذية وإني جالس في أهلي .

فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا[2] .

وعن الشعبي قال : جاء رجل من الأنصار الى رسول اللَّه ﷺ ، فقال : لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت وبكى الأنصاري . فقال له رسول اللَّه ﷺ : « ما أبكاك ؟ » قال : ذكرت أنك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك .

فلم يخبره النبي ﷺ بشيء فأنزل اللّه عز وجل على رسوله ﷺ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[3] .

فقال له النبي ﷺ : « أبشر »[4] .

---

(١) الرجيع : بفتح الراء وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث ، وسمي بذلك لاستحالته ، والمراد هنا : اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعه بالقرب منه . فتح الباري (٧ / ٣٧٩) .

(٢) البداية لابن كثير (٤ / ٦٥) ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣ / ٣٢٦) في أمر خبيب .

(٣) الآيتان (٦٩ ، ٧٠) من سورة النساء .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ص ١٣) بتحقيق محمد بن عبد الوهاب العقيل ، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية . وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر . انظر (٢ / ١٨٢) . والحديث له شاهد آخر من حديث عائشة مرفوعًا بنحوه ، أخرجه =

وقال سعد بن معاذ[(١)] رضي الله عنه للنبي ﷺ يوم بدر : يانبي الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بخير[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد جاض[(٣)] أهل المدينة جيضة وقالوا : قتل محمد ، حتى كثرت الصوارخ[(٤)] في ناحية المدينة .

فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت[(٥)] بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استقبلت به أولًا فلما مرت على أحدهم قالت : من هذا ؟ قالوا : أبوك أخوك زوجك ابنك . تقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟

= الطبراني في المعجم الصغير (١ / ٢٦) . وأبو نعيم في الحلية (٨ / ١٢٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٧) : « رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة ، وله شاهد آخر من حديث ابن عباس مرفوعا بنحوه ، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢ / ٨٦) ح رقم ١٢٥٥٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط . وله شاهد من طريق آخر عن سعيد بن جبير مرسلا . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥ / ١٦٣) . وطرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا . والله أعلم .

(١) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي ، سيد الأوس ، صحابي جليل ، شهد بدرًا ، ورمى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرًا ثم مات ، وذلك سنة خمس من الهجرة . الإصابة (٢ / ٣٥) .

(٢) أورده ابن هشام في السيرة (٢ / ١٩٢) وعزاه لابن اسحاق ، وأورده ابن كثير في البداية (٣ / ٢٦٨)

(٣) يقال : جاض في القتال : إذا فر . وجاض عن الحق : عدل .

وأصل الجيض : الميل عن الشيء ، ويروى بالحاء والصاد المهملتين النهاية (١ / ٣٢٤) .

(٤) جمع صارخ : وهو المصوت يعلمه بأمر حادث يستعين به عليه أو ينعي له ميتا . النهاية (٣ / ٢١) .

(٥) أي أخبرت بمقتل أبيها ، وابنها ، وزوجها ، وأخيها .

يقولون : أمامك حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت : بأبي أنت وأمي يارسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب[١] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر اليه . قال : فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك[٢] جلل[٣] .

ولقد حكّم الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم فقالوا : هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحر لخضناه ، نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك[٤] .

وما هذا الإيثار الذي تضمنته هذه الكلمات إلا تعبيرا عما تكنه نفوسهم من المحبة له ﷺ واسمع إلى قول قيس بن صرمة الأنصاري[٥] إذ يقول :

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

(٢) جلل : أي هينة ويسيره ، والكلمة من الأضداد تكون للحقير والعظيم النهاية (١ / ٢٨٩) .

(٣) رواه ابن هشام في السيرة (٣ / ٤٣) . وعنه أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ٤٧) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣ / ٣٠٢) بنحوه .

(٤) روضة المحبين (ص ٢٧٧) .

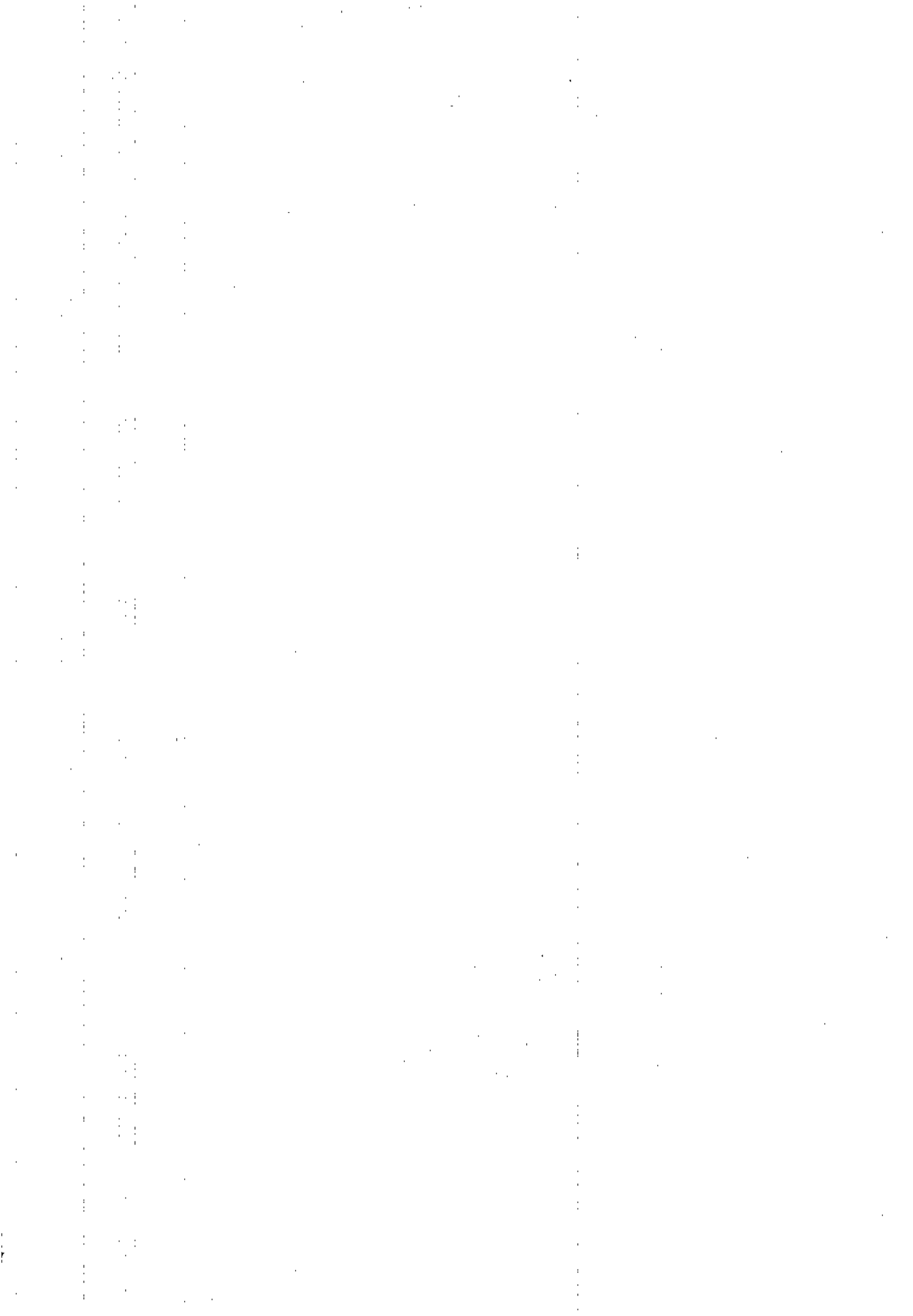
(٥) قيس بن صرمة ، وقيل صرمة بن قيس ، وقيل قيس بن مالك بن صرمة وقيل غير ذلك ، الأوسي الأنصاري ، أدرك الإسلام شيخا كبيرا فأسلم ، وقد قال هذه الأبيات حين قدم النبي ﷺ المدينة . الإصابة (٢ / ١٧٦ - ١٧٧)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى حبيبا مؤاتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا واتقرت به النوى وأصبح مسرورًا بطيبة راضيا
بذلنا له الأموال من حل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نعادي الذي عادىٰ من الناس كلهم جميعًا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره وأن رسول الله أصبح هاديا[1]

○○○○

---

(١) روضة المحبين (ص ٢٧٧) .



الفصل الثاني

علامات محبته ﷺ والثواب المترتب عليها

● وفيه مبحثان :

المبحث الأول : علامات محبته ﷺ .

المبحث الثاني : ثواب محبته ﷺ وثمراتها .

المبحث الأول

علامات محبته ﷺ

● ويشتمل على تمهيد وتسعة مطالب :

المطلب الأول : من علامات محبته اتباعه والأخذ بسنته ﷺ.

المطلب الثاني : من علامات محبته الإكثار من ذكره ﷺ .

المطلب الثالث : من علامات محبته تمني رؤيته والشوق إلى لقائه ﷺ .

المطلب الرابع : من علامات محبته النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

المطلب الخامس : من علامات محبته تعلم القرآن الكريم وتعلم سنته ﷺ .

المطلب السادس : من علامات محبته محبة من أحبهم النبي ﷺ .

المطلب السابع : من علامات محبته بغض من أبغض الله ورسوله .

المطلب الثامن : من علامات محبته الزهد في الدنيا .

المطلب التاسع : التحذير من علامات المحبة البدعية .

● ● ● ●

تمهيد

سن الشارع الكريم علامات ودلائل لمحبة النبي ﷺ ، شرعت ليتسنى من خلالها معرفة من يصدق في دعوى محبته للمصطفي ﷺ ، فكل دعوى لابد لها من برهان ، يدل على صدقها قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

ومن أجل ذلك فإن على كل مسلم أن يكون على علم بتلك الدلائل والعلامات ، وأن يعمل بها ويحققها ، وأن لا يرغب عنها أو يستبدل بها أمورًا أخرى مبتدعة لم يرد فيها دليل من الشرع .

فبتلك العلامات والدلائل تظهر حقيقة المحبة ، فمتى ما كان التحقيق لتلك العلامات أكبر كانت درجة المحبة أرفع وأعظم والعكس بالعكس .

ولذلك تجد أن الصادق في محبته للنبي ﷺ هو الذي تظهر عليه تلك العلامات والدلائل وتراه يسعى جاهدا إلى تحقيقها حتى ينال بذلك منزلة عظيمة من منازل الإيمان .

ومن أهم تلك العلامات ما يلي :

---

(١) الآية (١١١) من سورة البقرة .

المطلب الأول

من علامات محبته اتباعه والأخذ بسنته ﷺ

فاتباع النبي ﷺ والاقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء آثاره واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في العسر واليسر والمنشط والمكره ، هو أول علامات محبته ﷺ ، فالصادق في حب النبي ﷺ هو من تظهر عليه هذه العلامة فيكون متبعا للرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا ومؤثرًا لموافقته في مراده بحيث يكون فعله وقوله تبعًا لما جاء به النبي ﷺ .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال لي » يابنى وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة »[١] .

فالمحب للرسول ﷺ هو من حرص على التمسك بسنته وإحيائها وذلك باستعمال السنة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الأقوال والأفعال ، وتقديم ذلك على هوى النفس وملذاتها كما قال تعالي : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾[٢] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥ / ٤٦) ح ٢٦٧٨ وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

فإحياء السنة واتباع المصطفي دليل محبته كما هو دليل محبة اللَّه عز وجل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] فهذه الآية نزلت عندما ادعى قوم على عهد رسول اللَّه ﷺ أنهم يحبون اللَّه ، فأنزل اللَّه هذه الآية .

وعلى هذا فإن محبة اللَّه ورسوله تقتضي فعل المحبوبات وترك المكروهات ، ولا يتصور أن يكون الشخص محبا للَّه ورسوله وهو معرض عن اتباع سنة المصطفي ﷺ .

ومن أجل ذلك فإن الناس يتفاضلون في درجات محبتهم تفاضلًا عظيمًا ، فمن كان منهم أعظم نصيبًا في اتباع الرسول ﷺ والاقتداء بسنته فهو أعظم درجة عند اللَّه ، ومن نقصت درجة اتباعه فلا شك أن ذلك سيؤثر على المحبة ويضعف درجتها .

وهذا لا يعني أن المخالفة لشيء من السنة ينافي المحبة منافاة كلية ، فالمخالفة إذا لم تصل إلى درجة الكفر فهي تنقص من المحبة ولكن لا تخرج صاحبها عن دائرتها والدليل على ذلك قوله ﷺ للرجل الذي لعن شارب الخمر وقال ما أكثر ما يؤتى به ، فقال ﷺ : « لا تلعنه فإنه يحب اللَّه ورسوله »[2] .

فدل الحديث على أن وقوع المخالفة حتى وإن كانت كبيرة من الكبائر لا يعني ذلك انتفاء وجود محبة اللَّه ورسوله في ذلك الشخص المخالف .

والواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه اللَّه ورسوله ﷺ محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه .

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠٣

فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا .

والواجب عليه كذلك أن يكره ما كرهه اللّٰه ورسوله كراهة توجب الكف عما حرم عليه منه .

فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كره تنزيها كان ذلك فضلا[١].

« فمن أحب اللّٰه ورسوله محبةصادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه مايحبه اللّٰه ورسوله ، ويكره ما يكرهه اللّٰه ورسوله ويرضى ما يرضي اللّٰه ورسوله ، ويسخط ما يسخط اللّٰه ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض .

فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه اللّٰه ورسوله ، أو ترك بعض ما يحبه اللّٰه ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة »[٢] .

o o o o

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٥) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٦) .

المطلب الثاني

من علامات محبته الإكثار من ذكره ﷺ

ومن علامات محبته ﷺ الإكثار من ذكره ﷺ ، فمن أحب شيئا أكثر من ذكره ، ودوام الذكر سبب لدوام المحبة وزيادتها ونمائها .

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله في ضمن تعداده للفوائد والثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي ﷺ : « أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه . وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه ، فإذا قوى هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه »[١] .

والمقصود بالذكر هنا الذكر المشروع وعلى رأسه الصلاة والسلام عليه ﷺ امتثالا لأمر الله تعالى الوارد في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[٢] .

وامتثالا لقوله ﷺ : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا » الحديث[٣] .

---

(١) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (ص ٢٤٨) .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم =

وعن أبي بن كعب قال : قلت : يارسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟
قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : النصف ؟
قال : « ما شئت ،و إن زدت فهو خير » . قلت : الثلثين ؟
قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قال : أجعل لك صلاتي كلها .
قال : « إذًا تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك »[1] .

قال ابن القيم : « سئل شيخنا أبو العباس بن تيمية رضي الله عنه عن تفسير هذا الحديث فقال : كان لأبيّ بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي ﷺ : « هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه فقال : إن زدت فهو خير لك ، فقال له : النصف ، فقال إن زدت فهو خير لك ، إلى أن قال : أجعل لك صلاتى كلها : أى أجعل دعائي كله صلاة عليك ، قال : إذا تكفي همك ويغفر ذنبك ، لأن من صلى على النبي ﷺ صلاة صلى الله بها عشرا ، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر له ذنبه هذا معنى كلامه »[2] .

= يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة (٢ / ٤) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ١٣٦) . وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب صفة يوم القيامة ، باب ٢٣ ، (٤ / ٦٣٦ ، ٦٣٧) ح ٢٤٥٧ وقال : هذا حديث حسن صحيح . والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٢١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٨) ح ١٤، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٥٦) . والحديث في إسناده « عبد الله بن محمد بن عقيل » قال ابن القيم : عبد الله ابن محمد بن عقيل احتج به الأئمة الكبار كالحميدي وأحمد ، وإسحاق ، وعلي بن المديني ، والترمذي وغيرهم ، والترمذي يصحح هذه الترجمة تارة ويحسنها تارة . جلاء الأفهام (ص ٦٦) وقال الألباني في الصحيحه (٩٥٤) « إسناده حسن من أجل الخلاف المعروف في ابن عقيل » .

(٢) جلاء الأفهام (ص ٣٢) .

والشاهد من الحديث أن من محبته ﷺ مداومة الصلاة والسلام عليه والثناء عليه بما هو أهل له من الأوصاف والخصال الحميدة التي وصف بها ﷺ .

وفي الحديث الآخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[١] .

فذكره شُرع لإظهار محبته واحترامه وتوقيره وتعظيمه ﷺ وهذا من علامات محبته ، ولقد ورد أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بعد وفاته ﷺ لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرّت جلودهم وبكوا ، وكذلك كان كثير من التابعين من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه[٢] .

ويدخل ضمن الذكر المشروع تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة ، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل ، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه ، وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك ، ليزدادوا إيمانًا ومحبة له ﷺ ولكي يتأسوا به .

ولا محظور في التمدح بذلك نثرًا وشعرًا مادام أن ذلك في حدود المشروع الذي أمر به الشارع الكريم .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٠١) . وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ « رغم أنف رجل » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب (٥ / ٥٥١) ح ٣٥٤٦ ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٣) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه انظر موارد الظمآن رقم (٢٣٨٨) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه الطبراني في الكبير (١ / ١٣٩ / ٢) وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٧٧) حديث صحيح .

(٢) الشفا (٢ / ٥٧٣) .

نصوص القرآن والسنة ، كأن يتجاوز به حدود بشريته فيصرف له شيء من الأمور الخاصة بالله عز وجل كما فعل بعض الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبي ﷺ .

وكذلك فإن من الأمور المنهي عنها الذكر المقترن بالغناء وأدوات اللهو والطرب والرقص ، وهذا الذكر البدعي هو الذي عليه حال أرباب الطرق والتصوف ، وقد وافقهم على ذلك كثير من عوام الناس ظنًا منهم أن فعل مثل هذه الأمور هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي ﷺ وهو في حقيقة فعله يعد محادة لله ورسوله فقد تبرأ ﷺ ممن أحدث في الدين حيث قال : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع في الباب الرابع بإذن الله .

○○○○

المطلب الثالث

من علامات محبته ﷺ تمنى رؤيته والشوق إلى لقائه

ومن علامات محبته ﷺ محبة رؤيته والشوق إلى لقائه وتمني ذلك ولو كان ذلك مقابل بذل المال والأهل . وهذه العلامة نص عليها قوله ﷺ : « من أشد أمتي لي حبًا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله »[١] .

فهو ﷺ وصف أهل هذه العلامة من أمته التي ستأتي من بعده بأنهم من أشد الناس محبة له ﷺ ، وهذه الأمنية يقدرها حق قدرها أهل الإيمان الذين ترسخت في قلوبهم محبة النبي ﷺ حتى إنهم من شدة محبتهم له ﷺ أن جالت في خواطرهم وأحاسيسهم هذه الأمنية العظيمة حتى إن الواحد منهم لا يبالي أن يدفع ثمنا لهذه الأمنية العزيزة على نفسه ما عنده من الأهل والمال ليرى النبي ﷺ ، ولسان حالهم ومقالهم يقول مع ذلك كله ما أعظم الأمنية وما أرخص الثمن .

فهذه علامة من علامات محبته يتصف بها أهل الإيمان الصادق الراسخ الذين آمنوا بوجوب تقديم محبة رسول الله ﷺ على محبة الولد والوالد والناس أجمعين بل على كل أمر من أمور الدنيا ومظاهرها فيالها من نفوس سمت وسما بها إيمانها لمثل هذا المطلب وهذه الأمنية العزيزة على قلب كل مؤمن عرف قدر النبي ﷺ وحقه وعظيم منزلته .

فجدير بهذه النفوس أن تنال شهادة النبي ﷺ لها بأنها أشد القلوب محبة له .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله (٨ / ١٤٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم لا يراني ، ثم لإن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله »[١] .

ولقد كانت هذه السمة وهي الشوق إلى لقاء النبي ﷺ ورؤيته موجودة في الصحابة رضوان الله عليهم ويشهد لذلك ما جاء في حديث الأشعريين أنهم عند قدومهم إلى المدينة كانوا يرتجزون فيقولون :

غدا نلقى الأحبة محمد وحزبه[٢]

وروي أن بلالا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة ، نادت امرأته واحزناه .

فقال : واطرباه ، غدا ألقى الأحبة محمد وحزبه[٣] .

وقد روي مثل ذلك عن حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهم أجمعين[٤] .

○○○○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب فضل النظر إلى النبي ﷺ وتمنيه (٧ / ٩٦) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ١٠٥ ، ١٥٥) والبيهقي في الدلائل (٥ / ٣٥١) .

(٣) الشفا (٢ / ٥٦٩) .

(٤) المصدر السابق (٢ / ٥٦٩ ، ٥٧٣) .

المطلب الرابع

من علامات محبته ﷺ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

فمن علامات محبته ﷺ : المناصحة لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

قال القرطبي[2] : قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَصَحُوا ﴾ النصح : إخلاص العمل من الغش ومنه التوبة النصوح ... ونصح الشيء : إذا خلص ونصح له القول : أي أخلصه له »[3] .

وأصل النصح في اللغة : الخلوص ، يقال نصحت العسل : إذا خلصته من الشمع . ويقال : نصحته ، ونصحت له[4] .

قال الخطابي : « النصاحة : إخلاص العمل . والناصح : الخالص من كل شيء ، ويقال : نصحت العسل إذا صفيتها »[5] .

---

(١) الآية (٩١) من سورة التوبة .

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ، من كبار المفسرين وهو صاحب التفسير المشهور الذى يعرف « تفسير القرطبي » واسمه « الجامع لأحكام القرآن » توفي رحمه الله سنة ٦٧١ هـ . طبقات المفسرين (٢ / ٦٩ - ٧٠) .

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

(٤) النهاية في غريب الحديث (٥ / ٦٣) وجامع العلوم والحكم (ص ٧٤) .

(٥) غريب الحديث للخطابي (٢ / ٢٢٨) .

وعن تميم الداري[١] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الدين النصيحة » . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[٢] .

فقوله ﷺ : « إن الدين النصيحة » يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل المشهور ، وسمى ذلك كله دينا[٣] . فالنصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا[٤] .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي[٥]: « قال بعض أهل العلم : جماع تفسير النصيحة : هو عناية القلب للمنصوح له من كان .

وهي على وجهين : أحدهما : فرض . والآخر : نافلة .

فالنصيحة المفترضة لله : هي شدة العناية من الناصح ، باتباع محبة الله في أداء ما افترض ، ومجانبة ما حرم الله .

وأما النصيحة التي هي نافلة : فهي إيثار محبته على محبة نفسه ، وذلك أن يعرض له أمران : أحدهما : لنفسه ، والآخر : لربه . فيبدأ بما كان لربه ، ويؤخر ما كان لنفسه . فهذه جملة تفسير النصيحة له الفرض منه والنافلة .

فالفرض منها : مجانبة نهيه ، وإقامة فرضه بجميع جوارحه ، ما كان مطيعًا له .

---

(١) تميم بن أوس بن حارثه الداري ، صحابي مشهور ، كان نصرانيا ثم قدم المدينة فأسلم وذلك سنة تسع من الهجرة ، غزا مع النبي ﷺ ، مات بالشام . الإصابة (١ / ١٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة (١ / ٥٣) .

(٣) ، (٤) جامع العلوم والحكم (ص ٧٤ - ٧٦) .

(٥) محمد بن نصر المروزي ، أبو عبد الله ، إمام في الفقه والحديث كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام ، ولد سنة ٢٠٢ هـ ، وتوفي سنة ٢٩٤ هـ .

تذكرة الحفاظ (٢ / ٢٠١) وتهذيب التهذيب (٩ / ٤٨٩) .

فإن عجز عن القيام بفرضه لآفة حلت به من مرض ، أو حبس ، أو غير ذلك عزم على أداء ما افترض عليه متى زالت عنه العلة المانعة له قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[(١)] فسماهم محسنين بنصيحتهم لله بقلوبهم ، لما منعوا من الجهاد بأنفسهم .

وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات ، ولا يرفع عنه النصح لله لو كان من المرض بحال لا يمكنه عمل شيء بشيء من جوارحه بلسان وغيره غير أن عقله ثابت ، لم يسقط عنه النصح لله بقلبه ، وكذلك النصح لله ولرسوله فيما أوجبه على الناس من أمر ربه .

ومن النصح الواجب لله أن لا يرضى بمعصية العاصي ، ويحب طاعة من أطاع الله ورسوله .

وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض : فبذل المجهود بإيثار الله على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح حتى لا يكون في الناصح فضلا عن غيره ؛ لأن الناصح إذا اجتهد لمن ينصحه لم يؤثر نفسه عليه ، وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته . فكذلك الناصح لربه . ومن تنفل لله بدون الاجتهاد فهو ناصح على قدر عمله ، غير محقق للنصح بالكمال »[(٢)] .

قال القاضي عياض : « نصيحة الله تعالى : صحة الاعتقاد له بالوحدانية ، ووصفه بما هو أهله ، وتنزيهه عما لا يجوز عليه ، والرغبة في محابه والبعد عن

(١) الآية (٩١) من سورة التوبة .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩١ - ٦٩٢) .

مساخطه ، والإخلاص في عباداته[١] .

وقال الخطابي : « معنى النصيحة لله سبحانه : صحة الاعتقاد في وحدانيته ، وإخلاص النية في عبادته »[٢] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح[٣] : « النصيحة لله تعالى : توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال ، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها ، وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصفه الإخلاص ، والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وما ضاهي ذلك ، والدعاء إلى ذلك والحث عليه »[٤] .

وأما النصيحة لكتاب الله : فقال عنها محمد بن نصر المروزي : « وأما النصيحة لكتاب الله : فشدة حبه ، وتعظيم قدره - إذ هو كلام الخالق - وشدة الرغبة في فهمه ، ثم شدة العناية في تدبره ، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه ، ويقوم له بعد ما يفهمه .

وكذلك الناصح من القلب ، يتفهم وصية من ينصحه ، وإن ورد عليه كتاب منه عني بفهمه ، ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه .

فكذلك الناصح لكتاب الله يُعنى بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى ، ثم ينشر ما فهم في العباد ، ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه »[٥] .

---

(١) الشفا (٢ / ٥٨٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٧٤) .

(٣) واسمه : عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان الكردي أبو عمرو ، أحد أئمة المسلمين علمًا ودينًا ، ولد سنة ٥٥٧ هـ وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . الأعلام (٤ / ٢٠٧ - ٢٠٨) .

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٥) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٣) .

وقال القاضي عياض : « والنصيحة لكتابه الإيمان به ، والعمل بما فيه وتحسين تلاوته ، والتخشع عنده ، والتعظيم له ، وتفهمه ، والتفقه فيه ، والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين »[١] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لكتابه : الإيمان به وتعظيمه ، وتنزيهه ، وتلاوته حق تلاوته ، والوقوف مع أوامره ونواهيه ، وتفهم علومه وأمثاله ، وتدبر آياته ، والدعاء إليه ، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه »[٢] .

وقال النووي[٣] : « وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى :

فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته »[٤] .

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ : فقال الإمام أحمد « من مفروضات القلوب النصيحة للرسول ﷺ »[٥] .

---

(١) الشفا (٢ / ٥٨٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٣) يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني ، النووي ، الشافعي علامة في الفقه والحديث ، وله مصنفات كثيرة ، توفي سنة ٦٧٦ هـ الأعلام (٨ / ١٤٩) .

(٤) شرح صحيح مسلم (٢ / ٣٨) .

(٥) الشفا (٢ / ٥٨٤) .

وقال محمد بن نصر المروزي : « وأما النصيحة للرسول ﷺ في حياته : فبذل المجهود في طاعته ، ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده ، والمسارعة إلى محبته . وأما بعد وفاته : فالعناية بطلب سنته ، والبحث عن أخلاقه وآدابه ، وتعظيم أمره ، ولزوم القيام به ، وشدة الغضب والإعراض عن من يدين بخلاف سنته والغضب على من ضيعها لأثرة دنيا ، وإن كان متدينا بها .

وحب من كان منه بسبيل من قرابة ، أو صهر ، أو هجرة ، أو نصرة أو صحبة ساعة من ليل أو نهار على الإسلام ، والتشبه به في زيه ولباسه »[1].

وقال القاضي عياض « قال أبو بكر الآجري وغيره : النصح له يقتضي نصحين : نصحًا في حياته ، ونصحًا بعد مماته .

ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ، معاداة من عاداه ، والسمع والطاعة له ، وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[3] .

وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته : فالتزام التوقير والإجلال ، وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته ، والتفقه في شريعته ، ومحبة آل بيته وأصحابه ، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها ، وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته ، والبحث عن تعريف أخلاقه وسيره وآدابه ، والصبر على ذلك[4].

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٣) .

(٢) الآية (٢٣) من سورة الأحزاب .

(٣) الآية (٨) من سورة الحشر .

(٤) الشفا (٢ / ٥٨٤ - ٥٨٥) .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لرسوله ﷺ الإيمان به ، وبما جاء به ، وتوقيره وتبجيله ، والتمسك بطاعته وإحياء سنته واشتنشار علومه ونشرها ، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ووالاها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه ونحوذلك »[1] .

وقال النووي : « وأما النصيحة لرسول الله ﷺ : فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حيًا وميتًا ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ونفي التهمة عنها ، واستثارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قرائتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك »[2] .

وقال القرطبي : « والنصيحة لرسول الله ﷺ : التصديق بنبوته ، والتزام طاعته في أمره ونهيه ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه ، وتوقيره ، ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيمه ، وتعظيم سنته ، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها ، والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء إليها ، والتخلق بأخلاقه الكريمة ﷺ »[3]

وأما النصح لأئمة المسلمين : فقال عنه محمد بن نصر المروزي : « فحب

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٢) شرح النووي (٢ / ٣٨) .

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

صلاحهم ورشادهم وعدلهم ، وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله »[١] .

وقال القاضي عياض : « وأما النصح لأئمة المسلمين : فطاعتهم في الحق ، ومعونتهم فيه ، وأمرهم به ، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه ، وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين ، وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم »[٢] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه وتذكيرهم به ، وتنبيههم في رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك »[٣] .

وقال القرطبي : « والنصح للأئمة المسلمين ترك الخروج عليهم ، وإرشادهم إلى الحق وتنبيههم فيما أغفلوا من أمور المسلمين ، ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم »[٤]

وقال النووي : « قال الخطابي : ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٣ - ٦٩٤) .

(٢) الشفا (٢ / ٥٨٥) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٤) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

من أصحاب الولايات ، وهذا هو المشهور[١] »

وأما النصيحة لعامة المسلمين : فيقول عنها محمد بن نصر المروزي : « وأما النصيحة للمسلمين : فأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ويشفق عليهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقر كبيرهم ، ويحزن لحزنهم ، ويفرح لفرحهم ، وإن ضره ذلك في دنياه ـ كرخص أسعارهم ـ وإن كان في ذلك ربح ما يبيع من تجارته ، وكذلك جميع ما يضرهم عامة يحب صلاحهم والفتهم ودوام النعم عليهم ، ونصرهم على عدوهم ، ودفع كل أذى ومكروه عنهم »[٢] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك »[٣] .

وقال القاضي عياض : « والنصح لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم ، ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم ، وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم ، وستر عوراتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع إليهم »[٤] .

وقال القرطبي : « والنصح للعامة : ترك معاداتهم ، وإرشادهم وحب

---

(١) شرح النووي (٢ / ٣٨ ـ ٣٩) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٤) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٤) الشفا (٢ / ٥٨٦) .

الصالحين منهم ، والدعاء لجميعهم وإرادة الخير لكافتهم . وفي الحديث الصحيح « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١] [٢] .

وعن جرير بن عبد الله[٣] قال : « بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فلقنني « فيما استطعت والنصح لكل مسلم »[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « حق المؤمن على المؤمن ست » . قيل : وما هن يارسول الله ؟

قال : « إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه »[٥] .

○○○○

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم فتح الباري (١٠ / ٤٣٨) ح ٦٠١١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

(٢) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

(٣) جرير بن عبد الله البجلي ، صحابي جليل ، اختلف في وقت إسلامه وكان له بلاء حسن في الفتوحات ، مات سنة ٥١ هـ ، وقيل ٥٤ هـ الإصابة (١ / ٢٣٣ - ٢٣٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس . فتح الباري (١٣ / ١٩٣) ح ٧٢٠٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة (١ / ٥٤)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب حق المسلم على المسلم رد السلام (٧ / ٣) .

المطلب الخامس

من علامات محبته ﷺ تعلم القرآن الكريم

من علامات محبته ﷺ تعلم القرآن الكريم الناطق بشريعته ، والمداومة على تلاوته ، وفهم معانيه ، وكذلك تعلم سنته ﷺ وتعليمها ومحبة أهلها

قال القاضي عياض : « ومنها ـ أي من علامات محبته ـ أن يحب القرآن الذي أتى به ﷺ ، وهدى به واهتدى ، وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها : « إن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن »[١] .

وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه »[٢] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٣] .

وقال ﷺ : « كتاب الله عز وجل هو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة »[٤] .

وقال ﷺ : « كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل »[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل (٢ / ١٦٨ ـ ١٧٠) .

(٢) الشفا (٢ / ٥٧٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه . فتح الباري (٩ / ٧٤) ح ٥٠٢٧

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٣) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله »[١] .

وقد سبق عند ذكر النصيحة « لكتاب الله » ذكر أقوال العلماء فيما يجب على المسلم تجاه كتاب الله فليرجع إليه .

ومن علامات محبته ﷺ أن يحب سنته ويقف عند حدودها[٢] وهذا ما سبق بيانه في الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة .

○○○○

(١) أخرجه البيهقي في الأدب (ص ٥٢٢) ، وعزاه السيوطي في مناهل الصفا (ص ١٨٦) للبيهقي في الآداب وابن الضريس في فضائل القرآن .

(٢) الشفا (٢ / ٥٧٦) .

المطلب السادس

من علامات محبته ﷺ محبة من احبهم النبي ﷺ

إن من علامات محبته ﷺ والتي يجب على المؤمن الأخذ بها ، محبته لمن أحب النبي ﷺ ، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب شيئا أحب من يحبه[١] .

فإن من محبة الله وطاعته : محبة رسوله وطاعته .

ومن محبة رسوله وطاعته : محبة من أحبه الرسول ، وطاعة من أمر الرسول بطاعته[٢] .

أ ـ قال البيهقي : « ودخل في جملة محبته ﷺ حب آله[٣] .

وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ[٤] .

فعن زيد بن أرقم[٥] رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى « خما » بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : « أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين :

---

(١) الشفا (٢ / ٥٧٣) .

(٢) حقوق آل البيت (ص ١٩) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٢٨٢) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠٧) .

(٥) زيد بن أرقم بن زيد ، صحابي جليل ، لم يشهد بدرًا ولا أحدًا لصغر سنه ، وأول مشاهده الخندق وقيل المريسيع ، مات بالكوفة سنة ست وستين ، وقيل ثمان وستين . الإصابة (١/ ٥٤٢) .

أولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه . ثم قال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » . فقيل لزيد : ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قيل : ومن هم ؟ قال : آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس . قيل : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم[1].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله لما أنزل عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2]. سأل الصحابة النبي ﷺ كيف يصلون عليه فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[3].

فالصلاة على النبي ﷺ حق له ولآله دون سائر الأمة[4] وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « أرقبوا[5] محمدًا ﷺ في أهل بيته »[6] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٢ ، ١٢٣) .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ .
فتح الباري (١١ / ١٥٢) ح ٦٣٥٧ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٦) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ١٧٤) .

(٥) أرقبوا : المراقبة للشيء المحافظة عليه ، يقول : احفظوه فيهم فلا تسيئوا إليهم . فتح الباري (٧ / ٧٩) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصحابة ، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ .
فتح الباري (٧ / ٧٨) ح ٣٧١٣ .

وعنه أيضا أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي »[١] .

« فآل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها ، فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ »[٢]

« فالصلاة على آله هي من تمام الصلاة عليه وتوابعها ، لأن ذلك مما تقر به عينه ، ويزيده الله به شرفًا وعلوًا ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا »[٣]

« وكذلك علينا احترامهم وإكرامهم والإحسان إليهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا .

ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعليّ وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين »[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] « وآل محمد ﷺ هم الذين حرمت عليهم الصدقة[٦] هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء » .

والأحاديث في فضائلهم ومناقبهم كثيرة جدًا ، وهي مبسوطة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها من كتب الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ .
فتح الباري (٧ / ٧٧ ، ٧٨) ح ٣٧١٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ « لا نورث وما تركناه صدقة » (٥ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠٧) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ١٧٥) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ١١٣) .

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠٧) .

(٦) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال : =

ب ـ وكذلك فإن من أصول أهل السنة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ . ويحفظون لهن فضلهن ، وحقوقهن . فقد أبانهن الله من نساء العالمين في الفضيلة فقال تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾[1] .

وجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[2] [3] .

= القول الأول : هم الذين حرمت عليهم الصدقة . وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء :

أحدها : أنهم بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه .

والثاني : أنهم بنو هاشم خاصة وهذا مذهب أبي حنيفة ، والرواية عن أحمد ، واختيار ابن القاسم صاحب مالك

والثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى بني غالب ، ويدخل فيهم بنو المطلب ، وبنو أمية ، وبنو نوفل ومن فوقهم إلى بني غالب ، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك حكاه صاحب « الجواهر » عنه وحكاه اللخمي في « التبصرة » عن أصبغ ، ولم يحكه عن أشهب .

وهذا القول في الآل أعني ـ أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين ، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي .

القول الثاني : أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة ، حكاه ابن عبد البر في التمهيد .

القول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم ، وأقدم من روى عنه هذا القول جابر بن عبد الله ، ذكره البيهقي عنه ، ورواه عن سفيان الثوري وغيره ، واختاره بعض أصحاب الشافعي . حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه ، ورجحه الشيخ محي الدين النووي في « شرح مسلم » واختاره الأزهري .

القول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته حكاه حسين والراغب وجماعة .

ثم ذكر رحمه الله حجج هذه الأقوال وبين ما فيها من الصحيح والضعيف إلى أن قال : « والصحيح هو القول الأول ، ويليه القول الثاني . أما القول الثالث والرابع فضعيفان » . جلاء الأفهام (ص ١٦٤ ـ ١٧٧) .

(١) الآية (٣٢) من سورة الأحزاب . (٢) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٤) وتفسير القرطبي (١٤ / ١٢٣ ، ١٧٧) .

وجعل حرمة الزوجية بعد وفاة النبي ﷺ باقية ما بقين فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾[1] فعلينا من حفظ حقوقهن بعد ذهابهن الصلاة عليهن مع الصلاة على النبي ﷺ .

فعن أبي حميد الساعدي[2] رضي الله عنه أنهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[3] .

فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن[4] .

وكذلك الاستغفار لهن ، وذكر مدائحهن وفضائلهن وحسن الثناء عليهن ، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأكثر ، وذلك لمكانتهن من رسول الله ﷺ ، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة[5] .

وأزواج النبي ﷺ هن من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة :

١ ـ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[6] .

---

(١) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

(٢) أبو حميد الساعدي ، اختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن بن سعد وقيل غير ذلك ، صحابي مشهور ، شهد أحدًا وما بعدها ، وتوفي في آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد . الإصابة (٤ / ٤٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ . فتح الباري (١١ / ١٦٩) ح ٦٣٦٠ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٧) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ٢٠٠)

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٢٨٢ ـ ٢٨٤) .

(٦) وهي أولهن ، وقد تزوجها ﷺ بمكة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته فكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح =

٢ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها[١] .

٣ ـ سودة بنت زمعة رضي الله عنها[٢] .

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها[٣] .

٥ ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما[٤] .

= ومن خصائلها رضى الله عنها :

١ ـ أنه لم يتزوج عليها غيرها .

٢ ـ أن أولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية .

٣ ـ أنها خير نساء الأمة . جلاء الأفهام (ص ١٨٠) .

(١) تزوجها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل لثلاث وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى ، وهي بنت تسع سنين ، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة .

ومن خصائصها رضي الله عنها :

١ ـ أنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه فقد سئل النبي ﷺ . أي الناس أحب اليك ؟ قال : « عائشة » قيل ومن الرجال ؟ قال : « أبوها » متفق عليه (خ / ٤٣٥٨) (م / ٢٣٨٤) .

٢ ـ أنه لم يتزوج بكرا غيرها . جلاء الأفهام (ص ١٨٢ ـ ١٨٥) .

(٢) سودة بنت زمعة بن قيس . تزوجها بعد خديجة ، وكبرت عنده وأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها وهذا من خواصها : أنها آثرت بيومها لعائشة تقربًا إلى النبي ﷺ وحبًا له . جلاء الأفهام (ص ١٨٢) .

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تزوجها النبي ﷺ بعد عائشة ، وقيل إنها ولدت قبل المبعث بخمس سنين ، وكانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند حصن بن حذافة وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة . وكانت رضي الله عنها صوامة قوامة .

الإصابة (٤ / ٣٦٤ ، ٣٦٥) وجلاء الأفهام (ص ١٨٥) .

(٤) واسمها رملة بنت صخر بن حرب ، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة ، فتنصر بالحبشة ، وأتم الله لها الإسلام ، وتزوجها رسول الله ﷺ وهي بأرض الحبشة ، وأصدقها عنه النجاشي . وهي التي أكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة ، وقالت : إنك مشرك ، ومنعته من الجلوس عليه . الإصابة (٤ / ٢٩٨ ـ ٣٠٠) .

٦ ـ أم سلمة رضي الله عنها[١] .

٧ ـ زينب بنت جحش رضي الله عنها[٢] .

٨ ـ زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها[٣] .

٩ ـ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها[٤] .

١٠ ـ صفية بنت حيي رضي الله عنها[٥] .

---

(١) واسمها هند بنت أبي أمية ، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، وتوفيت سنة اثنتين وستين ودفنت بالبقيع ، وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتا ، وقيل : بل ميمونة .
الإصابة (٤ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٥ ـ ١٩٧)

(٢) زينب بنت جحش : وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة ، فطلقها فزوجها الله إياه من فوق سبع سموات وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله ﷺ . وتقول : « زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سماواته » توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع . الإصابة (٤ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨) .

(٣) زينب بنت خزيمة الهلالية ، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة ، وكانت قبله عند عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد ، وكانت تسمى أم المساكين ، لكثرة اطعامها المساكين ، ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة ثم توفيت رضي الله عنها .
الإصابة (٤ / ٣٠٩ ـ ٣١٠) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨) .

(٤) جويرية بنت الحارث المصطلقية ، وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها ، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة وتوفيت سنة ست وخمسين ، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق ، وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، وكان ذلك من بركتها على قومها .
الإصابة (٤ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨) وجلاء الأفهام (ص (١٩٨) .

(٥) صفية بنت حيي من ذرية هارون بن عمران ، أخي موسى ، تزوجها النبي ﷺ ، سنة سبع ، فإنها سبيت من خيبر ، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق ، فقتله رسول الله ﷺ ، توفيت سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة خمسين .
من خصائصها أن الرسول ﷺ أعتقها وجعل عتقها صداقها وقال لها النبي ﷺ « إنك لابنة نبي =

١١ - ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[١] .

فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة .

ج - ومن محبته ﷺ محبة أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين :

قال البيهقي : « ويدخل في جملة حب النبي ﷺ حب أصحابه ؛ لأن الله عز وجل أثنى عليهم ومدحهم فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[٤] .

= وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي » .

الإصابة (٤ / ٣٣٧ - ٣٣٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨ - ١٩٩) .

(١) ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها بسرف ، وبنى بها بسرف ، وماتت بسرف ، وهي على سبعة أميال من مكة ، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين ، وتوفيت سنة ثلاث وستين ، وهي خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهي خالة خالد بن الوليد أيضا .

الإصابة (٤ / ٣٩٧ - ٣٩٩) وجلاء الأفهام (ص ١٩٩) .

(٢) الآية (٢٩) من سورة الفتح . (٣) الآية (١٨) من سورة الفتح .

(٤) الآية (١٠٠) من سورة التوبة .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١]

فإذا أنزلوا هذه المنزلة استحقوا من جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم لأن الله تعالى إذا رضي عن أحد أحبه وواجب على العبد أن يحب من يحب مولاه[٢]

فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله ﷺ محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣]

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف و نصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام .

وبعد وفاته كانوا هم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين الأمة ، فقد بلغوا عن رسول الله ﷺ ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شتى بقاع الأرض ، وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم ، وذبوا عن هذا الدين بسنانهم ولسانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسلمين الموحدين جميعًا .

وكيف لا يكونون كذلك وهم خير قرون هذه الأمة بشهادة النبي ﷺ .

---

(١) الآية (٧٤) من سورة الأنفال .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٢٨٧) .

(٣) الآية (١٠) من سورة الحشر .

فعن عمران بن حصين[١] رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة ... الحديث[٢] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... » الحديث[٣]

ومما يدل على عظم فضل الصحبة وجلالة شأنها ما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[٤] فهذا الحديث يدل على أن شأن الصحبة لا يعدله شيء .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم »[٥]

---

(١) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي ، صحابي جليل ، أسلم عام خيبر وغزا عدة غزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح مات سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة ثلاث وخمسين من الهجرة . الإصابة (٣ / ٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على جور إذا أشهد . فتح الباري (٥ / ٢٥٨ - ٢٥٩) ح ٢٦٥١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٣ - ١٨٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على جور إذا أشهد . فتح الباري (٥ / ٢٥٩) ح ٢٦٥٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٤ - ١٨٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذا خليلا » . فتح الباري (٧ / ٢١) ح ٣٦٧٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٧ / ١٨٨)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حب الأنصار من الإيمان . انظر : فتح الباري (٧ / ١١٣) ح ٣٧٨٤ واللفظ له . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته ... (١ / ٦٠)

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي ﷺ . ولقد عقد البخاري ومسلم في صحيحيهما وكذا أهل السنن وغيرهم ، كل منهم كتابا لفضائل الصحابة أوردوا فيه الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة رضوان الله عليهم .

وعن معتقد السلف نحو أصحاب رسول الله ﷺ يقول أبو زرعة الرازي[١] : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق . وذلك أن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة . وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة »[٢]

وقال الخطيب البغدادي[٣] : « عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن ، فمن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٥] .

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي ، أبو زرعة من أئمة حفاظ الحديث ، ذكر أنه يحفظ مائة ألف حديث ، توفي سنة (٢٦٤ هـ) . تهذيب التهذيب (٧ / ٣٠ ـ ٣٤) .

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص ٩٧) .

(٣) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين وصاحب مصنفات من أشهرها تاريخ بغداد ، توفي سنة (٤٦٣ هـ) . الأعلام (١ / ١٧٢) .

(٤) الآية (١١٠) من سورة آل عمران .

(٥) الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

وهذا اللفظ وإن كان عامًا فالمراد به الخاص وقيل : هو وارد في الصحابة دون غيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[3]

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5] .

في آيات يكثر إيرادها ، ويطول تعدادها .

ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك ، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم ...

---

(١) الآية (١٧) من سورة الفتح .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة .

(٣) الآيات (١٠ ، ١١ ، ١٢) من سورة الواقعة .

(٤) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

(٥) الآيتان (٨ ، ٩) من سورة الحشر .

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل اللّه تعالى لهم ـ المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ...

على أنه لو لم يرد من اللّه عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، والنصرة ، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين .

وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء[(١)]

وقال ابن حجر : « اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة »[(٢)]

وقال صاحب العقيدة الطحاوية : « ونحب أصحاب رسول اللّه ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإحسان ، وبغضهم كفر وطغيان »[(٣)]

وقال البيهقي : « وإذا ظهر أن حب الصحابة من الإيمان فحبهم أن يعتقد فضائلهم ويعترف لهم بها ويعرف لكل ذي حق منهم حقه ، ولكل ذي عنا في الإسلام عناه ولكل ذي منزلة عند الرسول ﷺ منزلته ، وينشر محاسنهم

(١) الكفاية في علم الرواية (ص ٩٣ ـ ٩٦) .
(٢) الإصابة (١ / ١٧) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٢٨) .

ويدعو بالخير لهم ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم ولا يتتبع زلاتهم وهفواتهم ولا يتعمد تهجين أحد منهم ببث مالا يحسن عنه ، ويسكت عما لا يقع ضرورة إلى الخوض فيه فيما كان بينهم وبالله التوفيق »[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]

وطاعة النبي ﷺ في قوله : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع : من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل ، على من أنفق من بعده وقاتل ، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ـ : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[3] وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة[4] كما أخبر به ﷺ ، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة .

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (ص ٢٩٧) .

(٢) الآية (١٠) من سورة الحشر .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدرا . فتح الباري (٧ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥) ح ٣٩٨٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل بدر (٧ / ١٦٨ ـ ١٦٩) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (٧ / ١٦٩) .

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة وغيرهم من الصحابة .

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي رضي الله عنهم ، كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة ... ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم »(١) .

وبعد : فهذه نماذج من أقوال السلف ومعتقدهم تجاه الصحابة رضوان الله عليهم تبين مدى اعترافهم بفضلهم ومراتبهم ومنازلهم التي وردت بها نصوص القرآن والسنة ، فهم أصحاب رسول الله ﷺ فبحبهم لرسول الله ﷺ وحب رسول الله ﷺ لهم ، نحبهم ونحفظ لهم فضلهم ونحترم لهم تلك المنزلة التي أنزلوا إياها ، ونرجو أن يحشرنا الله معهم وأن يجمعنا بهم في الجنة على سرر متقابلين .

o o o o

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٢ - ١٥٣) .

المطلب السابع

من علامات محبته ﷺ بغض من ابغض الله ورسوله

ومعاداة من عاداه ، ومجانبة من خالف سنته ، وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته(١)

قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « على المؤمن أن يعادي في الله ، ويوالي في الله . فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه ـ وإن ظلمه ـ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية .

قال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٣)

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي ، وأمر بالإصلاح بينهم .

---

(١) الشفا (٢ / ٥٧٥) .

(٢) الآية (٢٢) من سورة المجادلة .

(٣) الآيتان (٩ ، ١٠) من سورة الحجرات .

فالمؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك .

والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك .

فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب والإكرام والثواب لأوليائه . ويكون البغض والإهانة والعقاب لأعدائه .

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة . استحق الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير . واستحق المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر . فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا : كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة[1] .

فالناس باعتبار الحب والبغض والولاء والبراء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : من يحب جملة :

وهو من آمن بالله ورسوله ، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علما وعملا واعتقادًا ، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله ، وانقاد لأوامره وانتهي عما نهي الله عنه ورسوله ، وأحب في الله ، ووالى في الله وأبغض في الله ، وعادى في الله وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائنًا من كان .

الصنف الثاني : من يحب من وجه ويبغض من وجه .

وهو المسلم الذي خلط عملا صالحاً وآخر سيئًا .

فيحب ويوالى على قدر ما معه من الخير ، ولا يبغض أكثر مما يصلح وإذا أردت الدليل على ذلك : فهو في قصة ذلك الرجل من الصحابة والذي كان

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٠٨ - ٢٠٩) .

يشرب الخمر ، فأتي به إلى رسول اللّٰه ﷺ فلعنه رجل وقال : ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ « لا تلعنه فإنه يحب اللّٰه ورسوله »[١] .

الصنف الثالث : من يبغض جملة .

وهو من كفر باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره وأنه كله بقضاء اللّٰه وقدره ، وأنكر البعث بعد الموت ، أو أنكر أحد أركان الإسلام الخمسة ، أو أشرك اللّٰه في عبادته أحدًا من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وصرف لهم نوعا من أنواع العبادة : كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثه والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق .

أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين ، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة ، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو احدها »[٢] .

فعلى هذا التقسيم تتضح صورة الحب والبغض ، والولاء والبراء .

فيوالي ويحب المؤمنَ المستقيم على دينه ولاءً وحبًا كاملين .

ويتبرء ويعادي الكفرة والملحدين والمشركين والمرتدين ويعادون عداوة وبغضًا كاملين .

وأما من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئا فيوالى بحسب ما عنده من الإيمان ، ويعادى بحسب ما هو عليه من الشر .

٥٥٥٥

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٣

(٢) إرشاد الطالب لابن سحمان (ص ١٩) .

المطلب الثامن

من علامات محبته ﷺ الزهد في الدنيا

إن من علامات محبة النبي ﷺ الزهد في الدنيا والصبر على شدائدها ، وعدم الركون إلى زخرفها وملذاتها . وذلك اقتداءً بالنبي ﷺ واتباعا لما كان عليه . فلقد كان من صفاته ﷺ زهده في أمور الدنيا وحبه للكفاف من العيش وايثاره الآخرة على الأولى .

فهو القائل ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[(١)] .

وهو القائل : « مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف[(٢)] فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها »[(٣)] .

والزهد المقصود هنا هو الزهد الشرعي لا الزهد البدعي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الزهد : هو عما لا ينفع . إما لانتفاء نفعه . أو لكونه مرجوحا ، لأنه مفوت لما هو أنفع منه ، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه . فالزهد من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه . فالواجبات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » . فتح الباري (١١ / ٢٣٣) ح ٦٤١٦

(٢) يوم صائف : أي حار . القاموس (٣ / ١٧٠) .

(٣) أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد (١ / ٢٨٦ - ٢٨٨) ح ٦٤ ، وأخرجه عنه الإمام أحمد في المسند (١ / ٤٤١) وفي الزهد (٨) والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٠٩ - ٣١٠) وصححه ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٦) بعد عزوه لأحمد رجاله رجال الصحيح ، غير هلال بن خباب وهو ثقة . وقال محقق كتاب الزهد لوكيع : « والحديث مع ماله من الشواهد يرتقي إلى درجة الصحة » . الزهد لوكيع (١ / ٢٨٨) .

والمستحبات لا يصلح فيها الزهد . وكذا المنافع الخالصة أو الراجحة فالزهد فيها حمق . أما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد وكذا المباحات »[1].

« والفرق بين الزهد والورع : أن الزهد : ترك مالا ينفع في الآخرة .

وأما الورع : فهو ترك ما يخشى ضرره في الآخرة »[2]

« والقلب المعلق بالشهوات لا يصلح له زهد ولا ورع »[3] .

والزهد أنواع :

١- زهد في الحرام وهو فرض عين .

٢- زهد في الشبهات ، وهو بحسب مراتب الشبهة .

فإن قويت التحق بالواجب .

وإن ضعفت كان مستحبا .

٣- زهد في الفضول : وهو الزهد فيما لا يغني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره .

٤- زهد في الناس أي فيما عندهم .

٥ - زهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله ، وهذا أصعب الأنواع وأشقها .

٦- زهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه .

وأفضل الزهد : إخفاء الزهد ، وأصعبه الزهد في الحظوظ[4] .

والزهد الشرعي ينقسم باعتبار حكمه إلى قسمين :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٦١٥) بتصرف .

(٢،٣) الفوائد لابن القيم (١١٨) .

(٤) الفوائد لابن القيم (ص ١١٨) .

القسم الأول منه : ما هو فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام .

القسم الثاني منه : ما هو مستحب وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة ، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه .

مفهوم الزهد في الدنيا :

ليس المراد بالزهد في الدنيا تخليتها من اليد وإخراجها ، وقعوده صفرًا . وإنما المراد إخراجها من القلب بالكلية بحيث لا يلتفت الزاهد إليها ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانت في يده .

فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك .

وهذا كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، فلم يزده ذلك إلا زهدا فيها .

وكحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهدهم المثل مع أن خزائن الأموال تحت أيديهم .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

١ ـ أحدها : علم العبد أنها ظل زائل ، وخيال زائر ، وأنها كما قال تعالى فيها : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ﴾[1] ونحوها من الآيات .

---

(١) الآية (٢٠) من سورة الحديد .

وسماها سبحانه ﴿ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1]ونهي عن الاغترار بها وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين بها ، وحذرنا مثل مصارعهم وذم من رضي بها واطمأن إليها .

٢ـ الثاني : علمه أن وراءها دارا أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا ، وهي دار البقاء ، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها .

٣ـ الثالث : معرفته بأن زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له منها .

وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها .

فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره ، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه ، وبقي حرصه وتعبه وكده ضائعًا والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك .

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها وتثبت قدمه في مقامه »[2].

الزهد البدعي :

وهو الذي عليه حال كثير من المتصوفة الذين تركوا الكسب والاكتساب ولم يأخذوا بالأسباب ، وانقطعوا انقطاعا تاما عن الوسائل المشروعة لتحصيل الرزق . فأصبحوا بذلك عالة على الناس يتكففونهم ويعيشون على صدقاتهم وزكاتهم وأوقافهم ، وصاروا عضوا أشل في مجتمعاتهم ، فأوقعوا أنفسهم في محاذير كثيرة منها :

١ـ دخولهم في الرهبانية التي نهى الشارع الحكيم عنها .

٢ـ مخالفتهم لأوامر اللّٰه لعباده بالسعي في الأرض وطلب الرزق الحلال

٣ـ وقوعهم في مسألة الناس مع قدرتهم على طلب الرزق فاستحقوا بذلك الوعيد الشديد الوارد في هذا الشأن .

(١) الآية (١٨٥) من سورة آل عمران .

(٢) طريق الهجرتين (٤٥٣ ـ ٤٥٦) بتصرف .

فالواجب على المسلم الحذر من مشابهة هؤلاء في أحوالهم فالزهد المشروع إنما هو قلة الرغبة في الموجود لا قلة الرغبة في المفقود . وعلامة قلة الرغبة في الموجود إنفاقه في سبيل اللّٰه . فخلاصة القول : إنه من المعلوم أن كل دعوى لابد لها من دليل عليها ، ليثبت صدقها ويؤكدها ويبرهن عليها .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]

وكذا الحال في دعوى محبة الرسول ﷺ لابد لمدعي هذه المحبة من علامات وأدلة تؤكد دعواه وتبرهن صدق ما قاله . وما تقدم من علامات وأدلة تعد أبرز وأهم العلامات التي تدلل وتبرهن على صحة تلك الدعوى .

وعلى العموم فكل عمل يعمله المسلم مما حث الشارع على فعله يعد ذلك دليلا على محبة الرسول ﷺ ، شريطة تحري الإخلاص في ذلك العمل وإرادة وجه اللّٰه تعالى به .

وعلى هذا الأساس فإنه بقدر التزام المسلم بعلامات المحبة وحرصه على تطبيقها تتحدد درجة محبته للنبي ﷺ ودرجة إيمانه كذلك .

فمحبته ﷺ هي جزء من أجزاء الإيمان ، والإيمان كما هو معلوم يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي . فتزداد المحبة بمقدار الالتزام بتلك العلامات . وتنقص بمقدار البعد عنها .

○○○○

---

(١) الآية (١١١) من سورة البقرة .

المطلب التاسع

التحذير من علامات المحبة البدعية

يظن البعض من الناس أن له الحق في التعبير عن محبته للنبي ﷺ بما يراه ويستحسنه من الأمور ، من غير أن يراعي في ذلك قواعد الشرع وأصوله وهذا الصنف من الناس تراه منساقا مع عواطفه جاعلًا لها حق التشريع في هذا الدين . فتراه يغلو في حق النبي ﷺ حتى يصل به إلى بعض مراتب الألوهية .

وتراه يبتدع في دين الله أمورًا تصل إلى حد العظائم . وتراه يُقْدِمُ على الشركيات والكفريات . وكل ذلك بدعوى محبة النبي ﷺ .

ولقد حكم الله عز وجل بالضلال على هذا الصنف فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(1) .

فالمتبعون لعواطفهم وأهوائهم المحكمون لها ، لابد وأن يكونوا نابذين لهدي الله المتمثل في الكتاب والسنة ، واللذين يشتملان على قواعد هذا الدين وأصوله والتي من ضمنها تحريم الابتداع في الدين والإحداث فيه ، وتحريم الغلو بشتى مظاهره وأشكاله ، وتحريم الشرك بمختلف صوره وألوانه .

ولذلك حكم الله بضلالهم وغوايتهم وبعدهم عن الصراط المستقيم . فحري بأمثال هؤلاء أن يقلعوا عن غيهم ، وأن يحكموا في عواطفهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

فمحبة النبي ﷺ من الدين ، وتحقيقها يكون عن طريق ما شرع في هذا الدين ، لا عن طريق البدع وما تهواه النفوس فالبدع قد حذرنا نبينا ﷺ منها

---

(1) الآية (٥٠) من سورة القصص .

بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور » وهذا الحديث يعني في هذا المقام أن ليس لأحد الحق في التعبير عن محبة النبي ﷺ إلا بما جاء به النبي ﷺ فعلى المسلم أن يدرك هذا الأمر وليحذر من سبل أهل الضلال والانحراف .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[1] .

وإن الناظر في أحوال أولئك المفتونين بالبدع تحت دعوى محبة النبي ﷺ يجد أنهم قد رغبوا في تلك الأمور المبتدعة لأنها أمور لا مشقة فيها على النفس فجعلوها بدلا مما يجب عليهم من الأعمال والطاعات التي تشق على نفوسهم الضعيفة المريضة ، فالمحبة عند هؤلاء تنحصر في مظاهر التعظيم اللساني المليء بالغلو والشرك والمقترن بالاجتماع على موائد الطعام والذي لا يخلو في بعض الأحيان من المنكرات والمحرمات .

ويحق للمرء أن يتساءل أي محبة هذه التي تجيز لهؤلاء أن يبتدعوا في دين الله بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل ؟ لاشك أن فعل هذه الأمور يناقض المحبة ويضادها جملة وتفصيلا ، ولا عذر لفاعلها فيما أقدم عليه وإن كان فعل ذلك بحسن نية ، فحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين ، فلقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية ، فمازالوا على حالهم تلك حتى صارت أديانهم على غير ما جاءت به رسلهم .

ومما يؤسف له أن كثيرا من الناس يتمسك بتلك البدع تقليدا لمشائخه أو عشيرته أو أهل بلده . إلى غير ذلك من العصبيات الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي أعمت بصائر الكثير منهم وأضلتهم عن سبيل الله .

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

ولقد كان من الحري بهؤلاء أن يقتدوا بصحابة رسول الله ﷺ ، الذين كانوا أشد الأمة محبة للنبي ﷺ ، وأشدهم تعظيما له وكانوا أحرص الناس على الخير ممن جاء بعدهم ، والذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في هذا السبيل .

فلقد كان من سنن الصحابة رضوان الله عليهم حرصهم على اتباع النبي ﷺ لأنهم يؤمنون بأن منشأ محبته وثباتها وقوتها إنما يكون بمتابعته ﷺ في أقواله وأفعاله وسلوكه وتصرفاته .

كما أنهم يؤمنون بأن الابتداع في الدين يضاد تلك المحبة وينافيها ولذلك لم يُعهد عنهم أنهم ابتدعوا أشياء من عند أنفسهم لإظهار محبتهم للنبي ﷺ كما ابتدع المتأخرون ما ابتدعوه من البدع تحت ستار المحبة والتعظيم له ﷺ .

فإذا كان هذا هو شأن الصحابة فيما أثر عنهم من الآثار وهم المشهود لهم بأنهم أشد الأمة وأفضلها محبة وتعظيما للنبي ﷺ ، أفلا يسع من جاء بعدهم ما وسعهم ، فيتركوا تلك الأمور المبتدعة التي أحدثت من بعدهم ، والتي لم يأذن بها الله ولم تكن من هدي رسول الله ﷺ ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم ، ومن لم يتسع له ما اتسع للصحابة رضي الله عنهم ، فلا وسع الله عليه في الدنيا ولا في الآخرة .

فعن قتادة قال : قال ابن مسعود رضي الله عنه : « من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم »[١] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢ / ١١٩) .

المبحث الثاني

ثواب محبته ﷺ وثمراتها

● ويشتمل على تمهيد ومطلبين :

المطلب الأول : ثمار المحبة في الحياة الدنيا .

المطلب الثاني : ثواب المحبة في الآخرة .

● ● ● ●

تمهيد

يؤمن المسلم أنه بفعله للطاعات وسائر العبادات يفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله ورجاء ما عنده من الثواب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة .

ذلك لأن كل عمل صالح مشروع له ثمرة ، فالله سبحانه كريم يجود على أهل طاعته وعبادته ، ويمن عليهم بفضله فيضاعف لهم درجات أعمالهم .

قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾(٣)

والمحبة من أفضل أعمال العباد وأحبها إلى الله عز وجل ، فبها يذوق العبد حلاوة الإيمان كما في الحديث « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »(٤).

وبها يستكمل الإيمان كما في الحديث : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »(٥) .

وهي من أفضل الإيمان كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سئل

---

(١) الآية (٣٨) من سورة النور .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٨٤) من سورة القصص .

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٣ .

(٥) تقدم تخريجه ص ٣١١

رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان ؟

قال : « أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله في الله وتعمل لسانك في ذكر الله ... »[1] . فهذه الأحاديث تبين اكتساب المحبة لهذه الدرجة الرفيعة من الدين فمن أعظم الواجبات على المؤمن محبة الله ومحبة ما يحبه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وما يحبه من الأشخاص كالأنبياء والملائكة وصالحي بني آدم وموالاتهم ، وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . مع وجوب تقديم محبة الله تعالى على جميع المحاب وإيثار مرضاته على حظوظ النفس .

ولقد دلت النصوص على عظم ثواب المحبة ومدى نفع ثمرتها .

والحديث هنا عن ثمرة المحبة يتناول محبة الله ومحبة رسوله ﷺ وذلك لما بين الأمرين من التلازم .

فمحبة الله لا تتم إلا بمحبة ما يحبه الله وكراهة ما يكرهه .

ولا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا باتباع ما أمر به واجتناب ما نهي عنه ، فصار من لوازم محبته سبحانه وتعالى محبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته ؛ ولهذا قرن الله محبته ومحبة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2] .

وورد مثل ذلك في كلام النبي ﷺ كما في حديث : « ثلاث من كن فيه وجد

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٤٧) .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ... » الحديث .

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك أن كلا من الحب ، والإيمان والتصديق هي حقوق مشتركة بين الله ورسوله . فالله سبحانه وتعالى كما أوجب الإيمان به على خلقه أوجب كذلك عليهم الإيمان برسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ آمنوا بالله ورسوله ﴾ . وكذلك أوجب على الخلق محبته ومحبة رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ .. أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

وكذا الحال بالنسبة للتصديق قال تعالى : ﴿ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[1]

وقد نظم ابن القيم رحمه الله هذا في نونيته حيث قال :

والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان[2]

وثمار محبة الله ورسوله منها ما هو دنيوي ، ومنها ما هو أخروي .

وسنعرض لكلا النوعين ليعلم المسلم عظم فضل الله على عباده المحبين له ولرسوله .

ο ο ο ο

---

(١) الآية (٢٢) من سورة الأحزاب .

(٢) شرح النونية لابن عيسى (٢ / ٣٤٧)

وتكميلا للفائدة : فإن الحق الذي يختص الله به على عباده دون سواه هو : عبادته بأمره لا بهوى النفس ، وذلك كالحج والصلاة والذبح والنذر واليمين والتوبة والتوكل والإنابة والرجاء ونحوها من العبادات فهي حق لله لا يشاركه فيه غيره .

وأما الحق الذي يختص بالرسول ﷺ فهو التعزير والتوقير كما في قوله تعالى : ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾ الآية (٩) من سورة الفتح .

انظر : شرح النونية لابن عيسى (٢ / ٣٤٨) .

المطلب الأول

ثمار المحبة في الحياة الدنيا

من أعظم ثمار المحبة في هذه الحياة الدنيا هو ما تورثه في الجوارح من فعل للطاعات والقربات مما يرضي الله عز وجل ويكسب محبته .

فمتى ما تمكنت المحبة من القلب واستغرق بها واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى رضا الرب وطاعته ، وصارت النفس مطمئنة حينئذ بإرادة مولاها عن مرادها وهواها ، فمن أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه .

وهذا هو معنى الحديث الإلهي « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها » الحديث[١] .

فالمحبة الصادقة شجرة في القلب عروقها الذل للمحبوب ، وساقها معرفته ، وأغصانها خشيته ، وورقها الحياء منه ، وثمرتها طاعته ، ومادتها التي تسقيها ذكره[٢] .

فالمحبة تملأ القلب ذلًا لله وتكسبه معرفة وخشية وخوفًا وحياءً من الله تبارك وتعالى ، لتثمر بذلك طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وخشيته في السر والعلانية ، وثمار الطاعة لا تعد ولا تحصى وأعظمها : محبة الله للعبد وهذا أشرف مقصود وأرفع درجة وأعظم مقام يناله العبد ثوابًا وثمرة لمحبته لله عز وجل .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب التواضع .

فتح الباري (١١ / ٣٤٠ - ٣٤١) ح ٦٥٠٢

(٢) روضة المحبين (ص ٤٠٩) .

وقد يظن البعض أن الغاية هي أن تحب اللّٰه ، ولكن الأمر خلاف ذلك ، فالغاية أن يحبك اللّٰه عز وجل وليست الغاية أن تحب اللّٰه عز وجل ، فالمؤمن يسعى لهذه الغاية ويتمنى تحققها والفوز بها قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] .

فالآية هنا إشارة إلى ثمرة المحبة ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ قال ابن القيم عند هذه الآية « فجعل سبحانه متابعة رسوله سببًا لمحبتهم له ، وكون العبد محبوبًا للّٰه أعلى من كونه محبا للّٰه ، فليس الشأن أن تحب اللّٰه ولكن الشأن أن يحبك اللّٰه »[2] .

وقد وصف اللّٰه سبحانه نفسه في كتابه العزيز بأنه يحب عباده المؤمنين ، ويحبونه ، وأخبر أنهم أشد حبًا للّٰه ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[3] .

ووصف نفسه بأنه الودود ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾[4] والودود هو الحبيب ، والود خالص الحب ، فهو يود عباده المؤمنين ويودونه[5] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[6] قال بعض السلف في تفسيرها يحبهم ويحببهم إلى عباده[7] .

فالفوز بمحبة اللّٰه فيه الخير كله فعن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه قال : قال

(١) الآية (٩) من سورة آل عمران .

(٢) روضة المحبين (ص ٢٦٦) .

(٣) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٤) من سورة البروج .

(٥) روضة المحبين (٤٠٩) .

(٦) الآية (٩٦) من سورة مريم .

(٧) روضة المحبين (ص ٤١٢) .

رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه »[(١)] .

فتأمل كمال الموافقة في الكراهة كيف اقتضى كراهة الرب تعالى لمساءة عبده بالموت لما كره العبد مساخط ربه ، وكمال الموافقة كيف اقتضى موافقته في قضاء حوائجه وإجابة طلباته وإعاذته مما استعاذ به ، كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[(٢)] .

وتأمل « الباء » في قوله « فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى » كيف تجدها مبينة لمعنى قوله « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ... الخ » فإن سمع سمع بالله ، وإن أبصر أبصر به ، وإن بطش بطش به ، وإن مشى مشى به ، وهذا تحقيق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[(٣)]وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(٤)]وقوله تعالى:

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٧٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب باب (٧) . فتح الباري (٨ / ٥٢٤ ـ ٥٢٥) ح ٤٧٨٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب القسم بين الزوجات (٤ / ١٧٤) .

(٣) الآية (١٢٨) من سورة النحل .

(٤) الآية (٦٩) من سورة العنكبوت .

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)]

وتأمل كذلك كيف جعل محبته لعبده متعلقة بأداء فرائضه ، والتقرب إليه بالنوافل بعدها لا غير ، وفي هذا تعزية لمدعي محبته بدون ذلك أنه ليس من أهلها ، وإنما معه الأماني الباطلة والدعاوي الكاذبة[(٢)] .

ومما يناله العبد كذلك من محبة الله له محبة من في السماء له ووضع القبول له في أهل الأرض .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض »[(٣)] .

وفي لفظ لمسلم : « إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه » قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ... » الحديث[(٤)].

وفي لفظ آخر لمسلم عن سهيل بن أبي صالح قال : كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه .

فقلت لأبي : يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبدِ العزيز .

قال : وما ذاك ؟

---

(١) الآية (١٩) من سورة الأنفال .

(٢) روضة المحبين (ص ٤١١) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب المقة (المحبة) من الله تعالى .

انظر : فتح الباري (١٠ / ٤٦١) ح ٦٠٤٠

(٤) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٨ / ٤٠ ، ٤١) .

قلت : لما له من الحب في قلوب الناس .

فقال : إني سمعت أبا هريرة رضي اللّه عنه يحدث عن رسول اللّه ﷺ ثم ذكر الحديث[١] .

٥ ٥ ٥ ٥

---

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب اللّه عبدًا حببه إلى عباده (٨ / ٤١) .

المطلب الثاني

ثواب المحبة في الآخرة

أما على صعيد الثواب الأخروي فمن أعظم ما ورد في ذلك تلك البشارة التي وردت على لسان النبي ﷺ والتي استبشر لها الصحابة رضوان الله عليهم ولم يفرحوا بشيء بعد الإسلام أشد من فرحهم بها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال : « وما أعددت للساعة ؟ »

قال : حب الله ورسوله . قال : « فإنك مع من أحببت » .

قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ﷺ « فإنك مع من أحببت » .

قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم(١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم ؟ قال رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب »(٢) .

ولاشك أن هذه البشرى عامة للأمة جميعها بمعنى أن من تحققت فيه محبة

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣١٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله .

انظر : فتح الباري (١٠ / ٥٥٧) ح ٦١٦٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب المرء مع من أحب (٨ / ٤٣) واللفظ له .

الله ورسوله فهو مستحق لتلك البشرى ، ولكن مما يجدر التنبيه عليه ههنا مرة أخرى أنه لا يكفي مجرد دعوى محبة الله ومحبة النبي ﷺ باللسان فقط بل لابد من تحقيق المتابعة له ، وكل ما يوصل إلى تحقيق المحبة ، فمرافقة النبي ﷺ في الجنة لابد أن يصاحبها اجتهاد ممن يطلبها ، وإن كان ليس من شرط ذلك الاجتهاد في الطاعة أن يصل إلى درجة اجتهاد النبي ﷺ ومما يشهد لهذا ويؤكده ما ورد في حديث ربيعة بن كعب الأسلمي[(١)] أنه قال : كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : « سل » .

فقلت : يارسول الله أسألك مرافقتك في الجنة . فقال : « أوغير ذلك ؟ » .

قلت : هو ذاك . قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود »[(٢)] .

فطلب النبي ﷺ من الصحابي الذي سأله مرافقته في الجنة أن يكثر من صلاة النافلة ، وفي هذا دليل على أن العمل مطلوب ممن أراد أن يصل إلى هذه الأمنية العظيمة وأن مجرد تمني القلب وقول اللسان لا يكفي لتحقيق ذلك .

ومما يؤكد أن نوال شرف مرافقة النبي ﷺ في الجنة متعلق باتباع شريعته وطاعته ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[(٣)] ومن الثواب الأخروي الذي يناله المحب لله ولرسوله هو غفران الذنوب وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ

---

(١) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي ، صحابي ، كان من أهل الصفة مات سنة ثلاث وستين من الهجرة . الإصابة (١ / ٤٩٨)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه (٢ / ٥٢) .

(٣) الآية (٦٩) من سورة النساء .

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[١] .

فأخبر سبحانه في هذه الآية عن مغفرته لذنوب الذين حققوا محبته ومحبة نبيه على الوجه المطلوب منهم ، وهذه منة امتن الله بها على أهل محبته ، إذ وعدهم إن هم اتبعوا رسوله ﷺ وأطاعوه أنه يجزيهم على فعلهم ذلك ، ويكرمهم بشرف محبته لهم ويتوج ذلك الشرف العظيم والمنزلة العالية بأن يمحو عنهم خطاياهم ويكفر عنهم سيئاتهم التي اكتسبوها .

ولاشك أن حصول هذين الأمرين أي « المحبة » و « المغفرة » هما غاية ما يتمنى المؤمن الفوز به ، فأي فوز أعظم وأكبر من الفوز برضى الله وغفرانه .

فرضي الله هو سبيل كل نعيم دائم مقيم ، وغفرانه هو الأمان من كل عذاب أليم .

ومن ثمرات محبته ﷺ ما ورد في ثواب ذكره الذي هو أحد علامات ودلائل محبته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى علي واحد ة صلى الله عليه عشرا »[٢]والصلاة معناها هنا الثناء ، فهي ثناء على الرسول ﷺ وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيمًا وتشريفًا والجزاء من جنس العمل ، فمن اثنى على رسول الله ﷺ جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه[٣] . فهذه ثمرة من ثمرات الذكر الذي هو علامة من علامات المحبة .

ومما ورد كذلك حديث أبي بن كعب قال : قلت : يارسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟

---

(١) الآية (٩) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٧) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٩) .

قال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : النصف ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : الثلثين ؟

قال : « ما شئت وإن زدت فهو خير » .

قال : أجعل لك صلاتي كلها .

قال : « إذًا تكفى همك ويغفر لك ذنبك »[1] .

والعبارة الأخيرة هي موطن الشاهد ههنا ، فهذا من الثواب الحاصل من المحبة لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره ، « وكما أن الذكر من نتائج الحب ، فالحب أيضا من نتائج الذكر ، فكل منهما يثمر الآخر ، وزرع المحبة إنما يسقى بماء الذكر ، وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة[2] .

وقد سبق بيان معنى الحديث[3] .

وعلى العموم فإن ثواب كل طاعة من الطاعات إنما هو في الحقيقة ثمرة للمحبة وذلك لأن المحبة أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين .

o o o o

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٢٧) .

(٢) روضة المحبين (ص ٢٦٥) .

(٣) انظر (ص ٣٢٧) .

فهرس موضوعات الجزء الأول

○ ○ ○ ○